هديتك مع ا...
براعم الايمان

الوعي الإسلامي
AL-WAEI AL-ISLAMI
اسلامية شهرية جامعة
العدد - ٢٤٧ - رجب ١٤١٥هـ/ ديسمبر (ك١) ١٩٩٤م



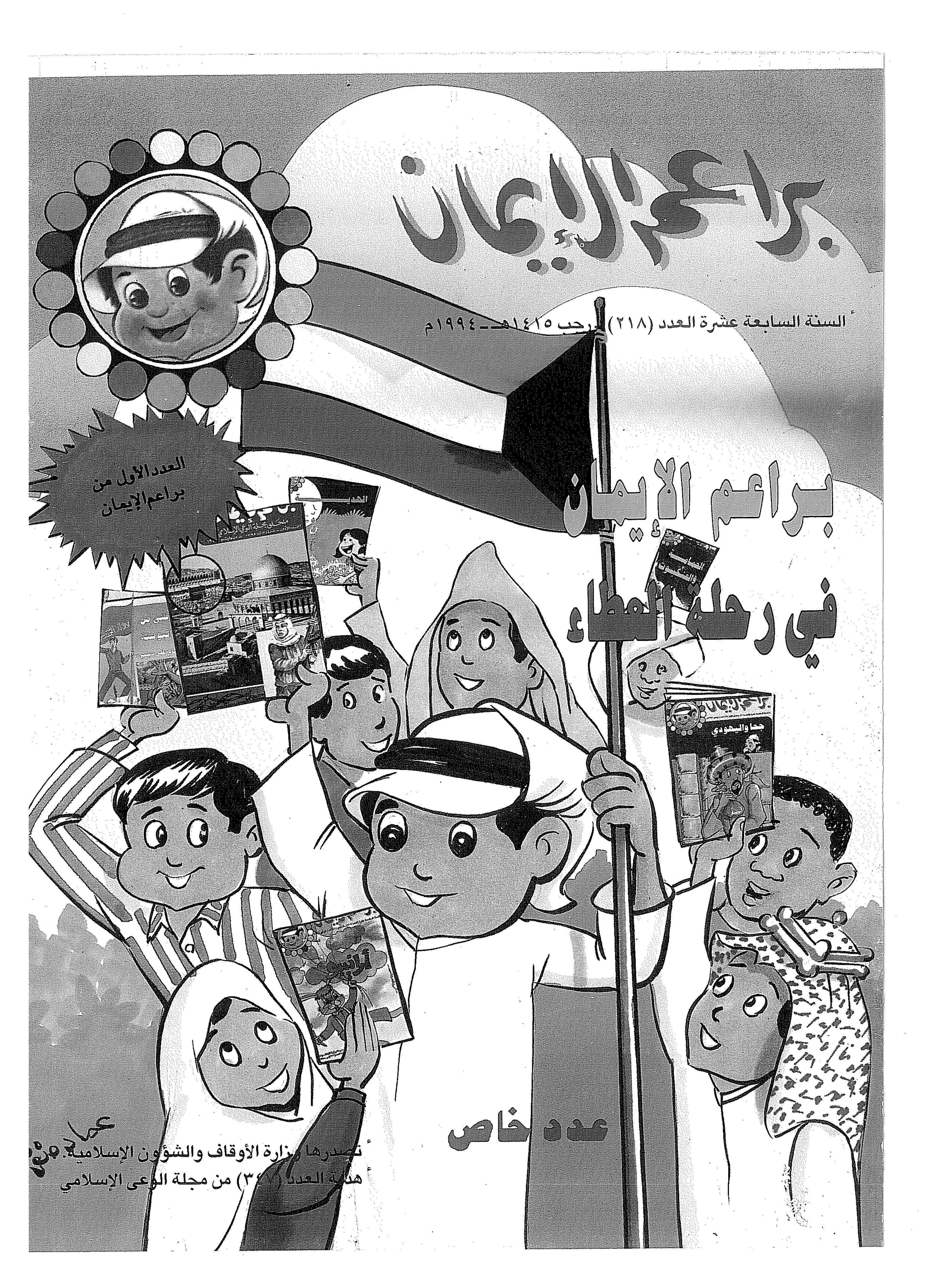
الاسراء والمعراج وفجرنا القادم



ملتقى الوفاء على أرض الكويت

عجاز القرآن العلمي والتشريعي

علم المقاصد بين الضرورة والحذر



براعم الإيمان
السنة السابعة عشرة العدد (٢١٨) رجب ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
العدد الأول من براعم الإيمان
براعم الإيمان
في رحلة العطاء
عدد خاص
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
هدية العدد (٣٤٧) من مجلة الوعي الإسلامي

الوعي الإسلامي

AL-WAEI AL-ISLAMI

إسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٧ - السنة الحادية والثلاثون - رجب ١٤١٥هـ / ديسمبر (ك١) ١٩٩٤م

كلمة العدد

نجاحات الزمن الصعب

تتلقى (الوعي الإسلامي) كمّاً كبيرا من الرسائل اليومية التي تشيد بموضوعاتها الجادّة، ويطالبون بزيادة الكميات المطبوعة، وفتح أسواق جديدة، لتصبح المجلة في متناول أكبر عدد من القرّاء، عدا عن العتاب الذي يصلنا من مناطق الأقليات المسلمة في أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا، مما يعني الكثير لفريق العمل الذي يشعر بروح التواصل مع هؤلاء الأحبة بعيدا عن متاعب العمل وآمال المهنة..

وتتقدّم بعض المؤسسات والهيئات، بالإضافة إلى أخوة أعزاء كُثُر باقتراحات من شأنها - في رأيهم - تعزيز موقع الإعلام الإسلامي، منها ترجمة مقالات مختارة إلى اللغة الإنكليزية، فعدد المقبلين على الإسلام في ازدياد، وعدد الناطقين بغير العربية من المسلمين أنفسهم في ازدياد، والكل يسعى إلى الكلمة الجادّة، والموقف السليم، والخبر الصادق، الأمر الذي أصبح نادراً في كثير من أنحاء عالمنا المعاصر..

ما يهمنا في الأمر هو تقدير هؤلاء للجهد المبذول، وللهدف السامي الذي ترنو إليه الوزارة وقد جعلت من صلب اهتماماتها تنفيذ كلّ ما من شأنه إنارة الطريق وفتح الأفق أمام عقل المسلم وقلبه ولسانه، أوليس المؤمن بأصغريه: قلبه ولسانه؟

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

مدير التحرير
MANAGING EDITOR
د. صلاح الدين أرقه دان
Dr. S.S. ARKADAN

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاخراج الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي (١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

المراسلات:

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة بأسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم ارسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت: ٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

أقرأ في العدد

الوعي الإسلامي

الاسراء والمعراج وفجرنا القادم

ملتقى الوفاء على أرض الكويت

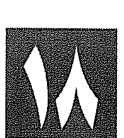
إعجاز القرآن العلمي والتشريعي

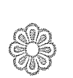
علم المقاصد بين الضرورة والحذر

لـلإسراء والمعـراج أكثـر من بُعْد، وأكثرمـن ارتباط عقدي وثقـافي وتاريخي وحضـاري وعاطفي، نما مع الأيام، وربط في نفس المسلم، بين الأرض والسماء، وبين بيت اللـه الحرام في مكـة، وبيت المقـدس في فلسطين.. وفي زمن العـلاقات المعقّـدة والظروف الصعبة يبقى اللجوء إلى الله سبحانـه والاعتصام بحبلـه والاقتداء بنبيه صـاحب الذكرى فجرنـا البازغ وصبحنـــا المشرق، أليس الصبـح بقريب؟

ملف الإسراء والمعراج

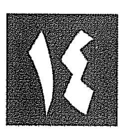
عملنـا في ملـف العـدد على إبراز معاني معجزة الإسراء والمعراج من زوايا عـدّة أبرزها تفنيد دعاوى الصهيونية في أن هذه الأرض الطـاهرة المبـاركـة هي وعْدٌ خـاصٌ بذرية إسحق عليـه السلام، فقد بنت الصهيونية كـل مشروعها على تجنيد الحلفـاء الـدوليين، وإلهاب عـاطفـة يهود العـالم وجمعهـم ليحلـوا محل الشعب العربي المسلم في بيت المقدس وأكنـاف بيت المقـدس، مـدّعيـة أنها تنفذ إرادة السماء ووعد إبراهيم عليه السلام بامتلاك البـلاد وإقامة دولة (إسرائيل)، ومحمـد عبـد الـرحمن السحرتي يـردّ بشكل مـوضـوعي على هـذه الأباطيل.

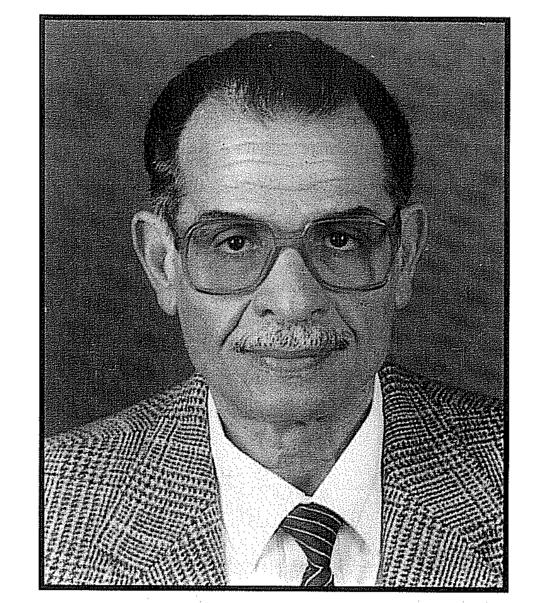




الأدب الإسلامي يدعو إلى تحرير إرادة الإنسان

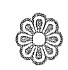
للحـوار مع الأديب الأريـب الـدكتـور الطبيب نجيب الكيلاني نكهـة خاصة، وهـو من أوائل الـداعين إلى قيـام أدب إسـلامي واضـح الملامح، وأصـدر في سبيل ذلك ثمانية كتب تعالج الموضوع من زاوية نظرية، بالإضافة إلى كتاباته الإبداعيـة الفنية التطبيقيـة، وفي حوار خـالد محمـد خلاوي معـه تحدث عن رسالة الأدب الإسلامي والالتــزام ووسيلـــة القصة وغاياتها.





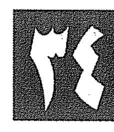
اقرأ في الأعداد القادمة

- مخاطر الاستشراق على الفكر الاسلامي / محمد عبيد محمد
- الصحوة الاسلامية بين النظرية والتطبيق / مجدي عبد الجواد الداغر
- الكهوف / حنان ابراهيم عبد الهادي
- انتهاكات حقوق الانسان المسلم / سيد زرد المحامي
- الاسلام دين المستقبل / صلاح الدين حسين محمد شهاب الدين
- صورة المرأة في أفلام الفيديو وخطورتها على المجتمع / محمد يوسف مصطفى
- الأمية والأميون، نظرة لغوية بلاغية وقرآنية / أ.د. عبد الجواد محمد
- مفاهيم خاطئة عن الأعشاب وعسل النحل / مي علي إبراهيم كشك
- أطفالنا والقلق / أميمة محمد عز الدين
- الثقافة العربية بين التحدي الحقيقي والتحدي الزائف / د. محمد مورو
- جامعات اسلامية في الصين / محمود بيومي

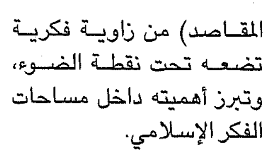


علم المقاصد بين الضرورة والحذر

إن الإقرار بصلاحية الشريعة الإسلامية الغرّاء لكل زمان ومكان يرتبط بقدرتها وأهليتها للإجابة على قضايا الإنسان، وإقامة واقع المسلمين على هدي من القرآن الكريم والسنّة الشريفة، ومحمد الصالح بن عزيّز يعالج في مقاله موضوع (علم المقاصد) من زاوية فكرية تضعه تحت نقطة الضوء، وتبرز أهميته داخل مساحات الفكر الإسلامي.

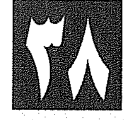


٣٤



من إعجاز القرآن العلمي

علي عبد اللاه طنطاوي في مقاله يعرض صورا من إعجاز القرآن الكريم العلمي، بمدخل عن المظاهر الكونية التي تكلم عنها القرآن، والإعجاز التشريعي الذي لم يُسبق إليه من قبل، وفيه تتحقق العدالة وتقديم الرنسان في ميادين الاستخلاف في الأرض.



٣٨

القصيدة العربية المعاصرة وإشكالية الغموض

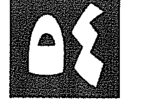
إذا كان للفن على الشاعر حق، إن قصر في الوفاء به، تنصل من تبعة المسؤولية وكلفة الالتزام، فبماذا نسوغ استشراء ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر إلى حد بات معه هذا الشعر - أو كاد - كتلة من الطلاسم والألغاز يشق على القاريء المثقف فكها، وقطب الريسوني يسعى في مقاله إل الإجابة عن هذا التساؤل.



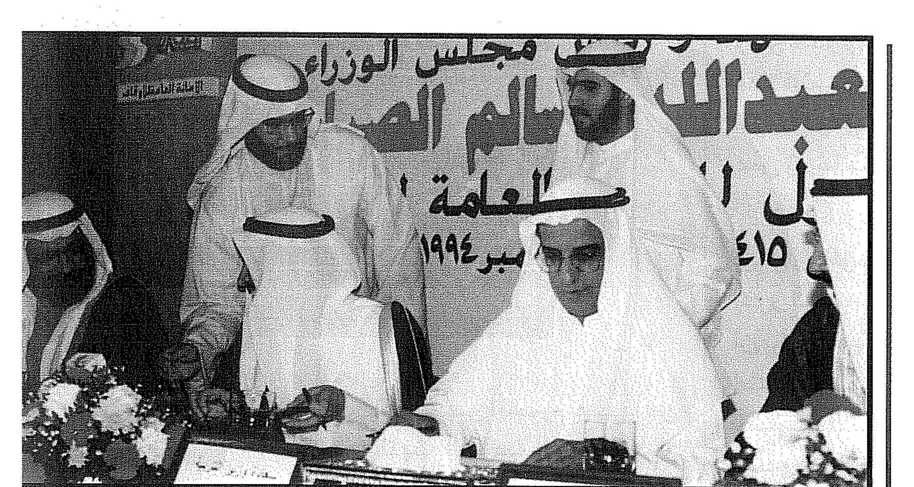
٤٧

الزكاة ودورها في التنمية الاقتصادية

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة التي لا تقوم إلا بها وعليها، وإذا كان لكل ركن خاصية يتميز بها، فإن خاصية الزكاة تتجلى في بعدها الاقتصادي والاجتماعي، فهي تندرج في اطار العلاقة الأفقية التي تجمع بين العباد في مختلف شوونهم الحياتية والمادية، فعن دور الزكاة الاقتصادي يأخذنا الحسين عصمة في جولة عامة.



٥٤



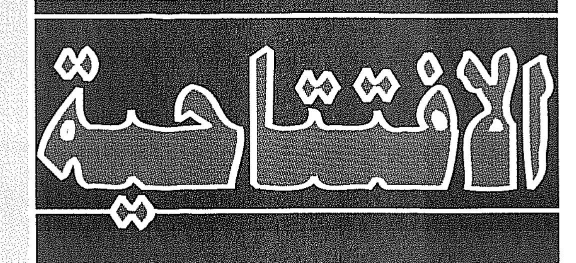
الآفاق المستقبلية للأوقاف في الكويت

انطلاقا من أهمية الوقف ودوره الفاعل في عملية التنمية، وبمناسبة مرور سنة واحدة على إنشاء الأمانة العامة للأوقاف، عقدت الأمانة العامة للأوقاف تحت رعاية الشيخ سعد العبدالله ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، لقاءها السنوي الأول، وحضره حشد من المسؤولين والعلماء والمفكرين والباحثين، يتقدمهم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. علي فهد الزميع الذي افتتح اللقاء نيابة عن راعي الحفل تحت شعار: (الآفاق المستقبلية للأوقاف في الكويت).

١٠



الفهرس



شهدت الكويت في الشهر المنصرم عددا من النشاطات المهمة الساعية إلى تفعيل دور (الوقف) ووضع عربته على خط سير الحضارة كما هو شأنه التاريخي..

والذي وقع في الكويت لم يكن عملية (إنعاش) للوقف بمقدار ما كان عملية استنهاض لعمل مؤسسي يعتبر بحق من مفاخر الحضارة الإسلامية، فقد ساهم الوقف في البناء الحضاري الانساني واقتبست الدول الغربية بعد احتكاكها بالمسلمين من خلال (الحروب الصليبية) و(الأندلس) CHARETABLE (العمل الخيري) NON-PROPHETABLE (الذي لا يبغي الربح) والذي ساهم بدوره في تحقيق كثير من البرامج الموازية والمساندة لنشر الفكر الغربي ومناطق نفوذه في العالم، بالإضافة إلى معالجة سلبيات الحياة الاجتماعية كالفقر والتشرد والاغتصاب..

وفي إحياء رسالة الوقف بالمعنى التي انتهجته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال (الأمانة العامة للوقف) مظهر حضاري من مظاهر التمسك بالدين والحرص عليه والعمل على ترتيب الحياة الإسلامية وفقا لمنهجه، والمضي في أولوية من أولويات البناء الحضاري المؤدي إلى الهدف الأسمى في طاعة الله ورضوانه والاحتكام إلى شرعه، في عالم لم يعد يقرّ بالشعارات الخالية من المضمون، ولا بالبرامج الوهمية البعيدة عن حقائق الواقع..

والمسلمون في سعيهم لإيجاد مكان مناسب لهم في خارطة القوى العالمية يحتاجون إلى رسالة حضارية متميزة تؤهلهم ليكون لهم دور فاعل في مسيرة البشرية كما هو عهدها بهم وعهدهم بها..

ولإن كان إدراك المسلمين الفكري لا يغفل عن أهمية التنمية؛ وهم يرون بأم العين التكتلات الاقتصادية العملاقة تقام في مشارق الأرض ومغاربها؛ ويرون تأثير العملية التنموية في رفع أقوام وخفض آخرين، ويواجهون تحديات إقليمية تنظر إليهم كسوق تصريف لبضائعها، وأيد عاملة رخيصة مستعدة للعمل مقابل لقيمات يقمن الصلب بسبب غياب مشاريع وطنية وقومية فاعلية توظّف طاقاتهم وسواعدهم؛ إن كان إدراكهم الفكري والنظري لا يغفل عن هذا؛ فلابد لهم من ترجمة النظرية إلى واقع يبدأ من الفرص المتاحة، وعلى رأسها المؤسسات القائمة الراسية والضاربة في عمق تاريخهم الفكري والعملي..

فلا غرو إذن أن تتجه الأنظار البصيرة إلى الوقف، باعتباره المؤسسة الاقتصادية الاسلامية الكبرى التي تحمل بذور التنمية وتغذيها في كافة مجالات الحياة، والأمل يحدوها أن يكون الوقف البداية الصحيحة لتنمية المجتمع من خلال إطار إسلامي، كما كان الوقف في صدر الإسلام بداية النهضة الإسلامية، وأحد أهم عوامل نشوء حضارتها ونموها وازدهارها، وعسى أن تكون الخطوة بحد ذاتها مقدمة على طريق إصلاح حال الأمة وازدهار حاضرها



واستمرار مستقبلها..

ويستمد الوقف مشروعيته من قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ ومن قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، ومن تجربة السلف الصالح في عصر النبوة وما تبعه من قرون، وكان أول وقف في الإسلام مسجد (قباء) يليه (المسجد النبوي الشريف) بالمدينة المنورة، وكان أول وقف خيري، وقف النبي ﷺ لسبعة بساتين بالمدينة، ثم تلاه وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه..

وأهم ما ميّز التجربة الإسلامية التاريخية الوقفية، تحرير مفهوم الوقف من حبس أعيان العقارات والأراضي إلى

تنمية الأحباس وانخراطها في دورة الحياة الدنيا ليتحقق من خلالها التكامل الحركي بين الدنيا والآخرة، فما من طاعة دينية في الإسلام إلا ولها انعكاس خير على حياة الناس أفراداً وجماعات، وما من عمل دنيوي في الإسلام إلا وله بعد أخروي يتمثّل في النية الخالصة لقبول العمل وما يرتبط به من بذل الجهد والاتقان..

ولذلك لم يقتصر دور الوقف ورسالته في الحياة الإسلامية على الأمور التعبّدية البحتة، كما فعلت نظم الوقف السابقة، بل امتدت آفاقه لتشمل كل جوانب تنمية المجتمع والنهوض به، فقد كان الوقف المصدر الرئيس لبناء المساجد، والمستشفيات والمصحات والعناية بصحة الإنسان، وتعليم الطب، وترجمة المراجع الطبية واستنساخها، وتطوير فن الصيدلة..

وساهم الوقف في تنمية العملية التربوية، فقامت حلقات العلم والمدارس وكفالة العلماء وطلاب العلم من الأوقاف، ولم يقتصر التعليم المذكور على العلوم الدينية البحتة وإنما توسع في كل ميدان يغذي المعرفة الإنسانية وينمّيها، فشارك الوقف في إنشاء المكتبات العامة، الثابتة والمتنقلة، وتزويدها بالكتب والمراجع، واستنساخها وترجمتها، وتوفير أماكن الإقامة للباحثين واحتياجاتهم الحياتية الضرورية..

وساهم الوقف الإسلامي في إمداد الجيوش وتجهيزها للدفاع عن ديار المسلمين وبناء القلاع وغير ذلك من الأمور العسكرية. ولم يكن دوره في ميدان البناء والإعمار أقل منه في ميدان الجهاد والدفاع، فساهم الوقف في توفير الخدمات المدنية العامة من شق الطرقات وتعبيدها خارج المدن، وإصلاحها وتبليطها داخلها، وإنشاء سبل الماء وحفر الآبار، وكذا فعل في ميدان الرعاية الاجتماعية لذوي الحاجات والأيتام والعجزة والأرامل وأبناء السبيل وصغار الكسبة، وسواهم..

ولا شك أن مثل هذه الدائرة المتكاملة ما بين عمل الدولة والتزاماتها ومبادرة الأفراد وإقدامهم، جعل للمجتمع المسلم ميزات أهلته ليقوم بدور القيادة الحكيمة في عالم كان بأمسّ الحاجة لتطبيق عملي لشعارات تكريم الإنسان وتقديمه على مخلوقات الله، فالرعاية في الدولة المسلمة لم تكن محصورة بأتباعها والمؤمنين بمبادئها، وإنما شملت جميع الناس بما في ذلك أهل الذمة والمستأمنين، واللاجئين السياسيين..

ولقد أدى الوقف من خلال الميادين المذكورة إلى تنشيط الحضارة الإسلامية إلى درجة دفعت بعض الباحثين المنصفين إلى القول بأن (الوقف هو صانع الحضارة الاسلامية) لما أدى إليه من تنمية المجتمعات المسلمة، وتوفير الخدمات الأساسية للمسلمين، ورعاية أوجه تقدم وتطور العالم الاسلامي بما وفره من تمويل مالي مستقل لا يتأثر بغوائل الزمان، ولا يضعف بقلة الموارد المالية للدولة، ولا يقعد بتدخل خارجي أو تقهقر محلي، وفوق ذلك له صفة الاستمرارية والديمومة بإذن الله..

ولإن كان واقع (الوقف) اليوم في أغلب بلدان العالم الإسلامي لا يتوافق مع الدور التاريخي والأهداف الأساسية التي من أجلها قامت (مؤسسة الوقف)، فذلك يعود إلى عوامل وأسباب تاريخية وسياسية وآلية وفكرية، جعلت (الوقف) جزءا من حلبة الصراع، وكان جموده نتيجة طبيعية لدخول الفكر الإسلامي المعاصر في أزمة الجمود والتشرنق والانفصال عن التيارات الفكرية المعاصرة، إما خوفا على الهوية وإما تخوفا من المواءمة والموازنة بين الموروث ومتطلبات العصرنة. ومع ذلك فقد ابتدأت الأمور مع الصحوة المعاصرة بالعودة باتجاه الانفراج والتفاعل مع الواقع والمواءمة بينه وبين الأصول الفكرية والتراث الفقهي، ويقوم على تغذية وخدمة هذا التوجه أفراد ومؤسسات نذروا أنفسهم لخدمة دينهم ومجتمعاتهم بما يدفع باتجاه تحقيق الأهداف السامية المرجوّة..

ويبقى السؤال الموجه للمعنيين من الفقهاء والباحثين والعاملين عن عصرنة التعريف. ذلك لأن التصوّر عن أي عمل وتأديته على الوجه المطلوب نتيجة طبيعية لتعريفه وتحديد إطاره النظري، ومقتضى العصر وتلاحق أحداثه ومفاهيمه تدفع بشكل أكيد وحثيث إلى إعادة النظر في صياغة مفهوم الوقف، ذلك أن التعريف عمل اجتهادي بحت موضوع لما يتناسب مع عمل المؤسسة الوقفية، الأمر الذي يحتاج إلى معاصرة لمتطلبات الوقف وتحقيق المأمول منه حاضرا ومستقبلاً، ويتسق مع الأهداف والتطلعات التي يسعى لها مسلمو اليوم في مسيرة بناء مجتمعهم ومستقبلهم..

والثقة المطلوب قيامها بين الواقفين والوقف نتيجة عملية للدراسات والممارسات والآليات السليمة التي ستضع النظرية الفكرية داخل الإطار السليم من الممارسة، فالنجاحات اللائحية والنتائج العملية تصب جميعاً في موضوع تشغيل الدورة المنتجة لحركة العمل الوقفي وإبعاده عن الصورة الكلاسيكية الروتينية التي كادت تدفع بكثير من الشباب إلى البحث عن بدائل، وفي النجاحات المتوقعة لمشروعات التطوير والتحريك أمل كبير في إعادة ترتيب البيت الإسلامي ودوائر نشاطه الاقتصادي ومبادراته الفردية، وإقامة رواسيه المؤسسية، ولا يصح مهما دار الأمر أن نجمد أمام واقع يدفعنا إلى المراوحة ونحن نسمع قوله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، وقول رسوله ﷺ: «من تساوى يوماه فهو مغبون»، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين■

ملتقى الوفاء للمجالس الخليجية الشعبية



جلسة الافتتاح

الشيخ سعد العبد الله: من الضروري إنجاز عملية التنمية الشاملة للمجتمعات الخليجية حتى تواكب ركب التقدم

تعبيراً عن الروابط والتلاحم وصدق المشاعر بين أبناء مجلس التعاون الخليجي، وعزمهم على رفد مسيرة الخير والعطاء في إطار المجلس، شهدت الكويت خلال الفترة من ١٠-١٣ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ، الموافق ١٣-١٦ نوفمبر «تشرين الثاني» ١٩٩٤م، ملتقى الوفاء للمجالس الخليجية الشعبية (الشورى والوطني والأمة)، لدول الخليج العربية.

الشيخ سعد: المرحلة دقيقة

وكان الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء قد افتتح الملتقى نيابة عن راعي الحفل سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، وبحضور رئيس البرلمان الدولي رئيس مجلس الشعب

إعداد: تمام أحمد

المصري د.أحمد فتحي سرور، والعديد من الوفود المشاركة من رؤساء المجالس السابقين، والوزراء والنواب الحاليين والسابقين، والمحافظين، وكبار الشخصيات، وسفراء الدول العربية والأجنبية..

وأشار الشيخ سعد في الكلمة التي ألقاها نيابة عن أمير البلاد إلى خطورة المرحلة التي تجتازها المنطقة، والأخطار والتحديات التي تواجهها، مما يحتم وحدة الصف، والموقف، والكلمة. ومضاعفة التنسيق والتعاون، حماية لأمننا، وحفاظا على مصالحنا في ظل نظام عالمي جديد حافل بالمستجدات، والمتغيرات.

وأعرب الشيخ سعد عن أمله في أن يضيف الملتقى لجهود التنسيق والتعاون القائمة بين بلدان الخليج قيمة ودعماً فعالاً تحت مظلة مجلس التعاون الخليجي، وحث سموه على ضرورة إنجاز عملية التنمية الشاملة للمجتمعات الخليجية، حتى تواكب ركب التقدم العالمي وتؤمن للأجيال الخليجية حياة كريمة ومستقبلاً زاهراً.

السعدون: الملتقى فرصة للتشاور

من جانبه أكد رئيس مجلس الأمة الكويتي الأستاذ أحمد عبد العزيز السعدون في كلمته في حفل الافتتاح على قوة العلاقات الأخوية التي تربط بين الدول الأعضاء في مجلس التعاون، مشيرا إلى الوقفة الشجاعة للدول الأعضاء، إلى جانب الكويت، وأشاد بموقف دول المجلس إزاء التهديدات العراقية الأخيرة. وقال: إن الملتقى سيكون فرصة للتشاور حول كل ما من شأنه دعم مسيرة مجلس

التعاون، وطالب العراق بتنفيذ كافة القرارات الدولية، لا سيما إطلاق سراح الأسرى والمرتهنين الكويتيين، وأقسم على مواصلة الجهود دون تراخ إلى أن يتحقق الإفراج عنهم.

د. سرور: أنتم أحق بالشكر والامتنان

أما د. أحمد فتحي سرور رئيس البرلمان الدولي رئيس مجلس الشعب المصري، فرحب في كلمته بلقاء الوفاء بين الأشقاء، وقال مخاطبا الحضور: أنتم أحق بالشكر والامتنان، لأنكم سجلتم بحروف من نور أروع آيات الوفاء باحتضانكم أبناء الكويت في المحنة التي ألمت بها، وشددتم أزرها بشهامة وعزيمة صلبة، ووصف قرار العراق الأخير الذي اعترف به بالكويت بأنه قرار إيجابي، وشدد على قيام بغداد بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي كاملة لتأكيد حسن نواياها، ونوه إلى مطالبة الاتحاد البرلماني الدولي كافة البرلمانات والحكومات باستخدام نفوذها من أجل الإفراج الفوري وغير المشروط عن الأسرى والمرتهنين الكويتيين.

مشاورات ومداولات

وعلى مدار أيام اللقاء وخلال المناقشات والمداولات أكدت الوفود المشاركة في اللقاء على ضرورة تحقيق التنسيق والتكامل وتعميق وتوثيق الصلات والروابط.

فقد دعا رئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن جبير

أحمد السعدون: سنواصل الجهود دون كلل إلى أن يتحقق الإفراج عن الأسرى

النظام العراقي إلى تنفيذ جميع القرارات الدولية ذات الصلة بعدوانه الغاشم، مؤكداً أن التعاون الخليجي اقتضاه الوفاء لعلاقات دينية وتاريخية وجغرافية.

وأكد رئيس مجلس الشورى في سلطنة عمان عبد الله القتبي فاعلية وجدوى العمل الخليجي المشترك، الذي تأسس على التشاور والإجماع، مما يوفر الإطار المناسب للانطلاق وتحقيق الأهداف.

ورأى رئيس مجلس الشورى البحريني إبراهيم حميدان أن السبيل الأمثل لمعالجة القضايا هو احترام الحدود القائمة والمتعارف عليها بين الدول، ودعا إلى إنشاء مؤسسات تمويل مشتركة بين دول المجلس في الصناعة والزراعة لاستكمال الترابط.

وشدد رئيس الوفد الإماراتي عبد الله المحيربي على ضرورة تعميق وتوثيق الروابط وأوجه التعاون بين شعوب المنطقة في مختلف المجالات خدمة للأهداف السامية للأمة العربية التي يحرص على إرسائها أصحاب الجلالة والسمو بدول مجلس التعاون.

وتمنى رئيس مجلس النواب المغربي محمد جلال السعيد أن يكون قرار النظام العراقي الاعتراف بسيادة الكويت متبوعا بإجراءات أخرى تتعلق باستئصال وإزالة كل الشوائب التي تعكر صفو العلاقات بين الجيران حتى يعمّ السلام في هذه المنطقة الغالية من وطننا العربي.

ورأى رئيس الوفد القطري محمد بن مبارك الخليفي الملتقى تجسيدا للتكامل والتلاحم بين أبناء المنطقة، وتوثيقا لعرى الروابط بين دول التعاون الشقيقة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

البيان الختامي

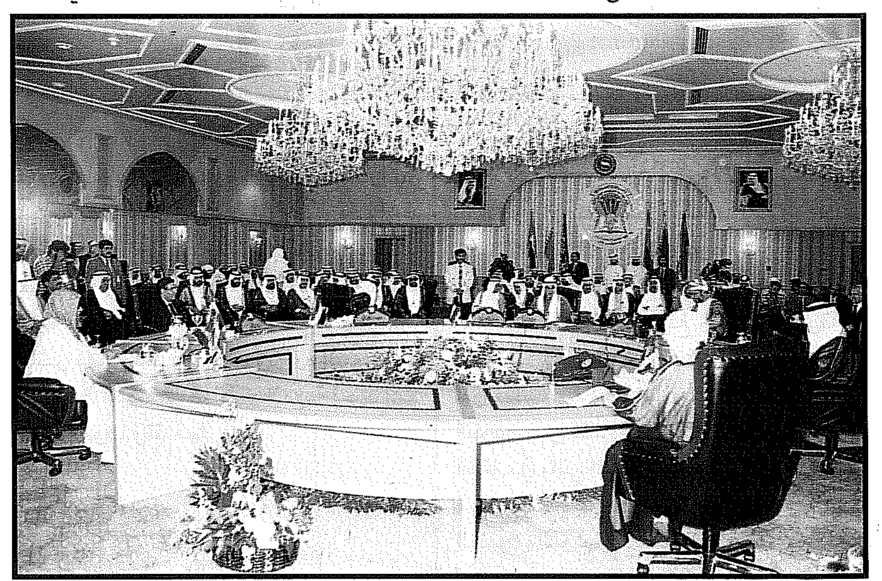
هذا وقد أكد البيان الختامي الذي صدر عن الملتقى على ضرورة تعزيز وتوثيق أواصر التعاون والتنسيق بين أعضاء ملتقى الوفاء في إطار الشريعة الإسلامية ودعم ومؤازرة القرارات والجهود المخلصة والبناءة لقادة دول المجلس لتحقيق مزيد من الإنجازات والآمال والطموحات الهادفة إلى خير وإسعاد دول وشعوب المجلس على جميع الأصعدة.

فقد أوصت لجنة توثيق الروابط المنبثقة عن الملتقى في تقريرها بعقد لقاءات دورية بين مجالس الشورى والوطني والأمة تتم بالتناوب في كل دولة من الدول الست لتوثيق العلاقات بينها وتعزيز تواصلها، بما يخدم مصالح دولها ومواطنيها. كما دعت المجالس الخليجية إلى العمل على التنسيق فيما بينها لتوثيق الروابط وتبادل المعلومات والخبرات.

أما لجنة دعم مسيرة التعاون فقد دعت في تقريرها إلى ترسيخ وعي المواطن لمسؤولياته تجاه مجلس التعاون وتعميق الإيمان بأهدافه ومرتكزاته. والاهتمام بوسائل الإعلام ودورها في مجال نشر قيمنا الدينية والتركيز على أهمية بناء مناهج التربية والتعليم، بما يتناسب وطموحات شعوب المنطقة، وتشجيع مؤسسات البحث العلمي بدول المجلس، ومضاعفة الجهود والتعاون بين دول المجلس في مجال البيئة والتنمية، وتسهيل توظيف وانتقال مواطني دول المجلس ومعالجة المشاكل الخاصة بالتركيبة السكانية، والدعوة إلى إقامة المزيد من المشاريع الاستثمارية المشتركة.

برقية شكر

وبعد تلاوة البيان الختامي طير المجتمعون برقية شكر وامتنان لسمو أمير البلاد لرعايته الكريمة للملتقى، وتوجيهاته القيمة التي كان لها أبلغ الأثر في نجاح هذا اللقاء المبارك□



● الجلسة الختامية للملتقى

اللقاء السنوي الأول للأمانة العامة للوقف

انطلاقا من أهمية الوقف ودوره الفاعل في عملية التنمية الاقتصادية والرقي الاجتماعي باعتباره أحد المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام وبمناسبة مرور سنة واحدة على إنشاء الأمانة العامة للأوقاف، بموجب المرسوم الأميري رقم (٢٥٧)، الصادر بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ، الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٩٣م، عقدت الأمانة العامة للأوقاف تحت رعاية الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء لقاءها السنوي الأول بفندق (المريديان) بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ، الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٩٤م.. وقد حضر اللقاء حشد كبير من النواب والوزراء الحاليين والسابقين، وعدد كبير من المسؤولين والعلماء والمفكرين والباحثين، يتقدمهم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. علي فهد الزميع الذي افتتح اللقاء نيابة عن راعي الحفل تحت شعار: (الآفاق المستقبلية للأوقاف في الكويت).



●الوزير الزميع يلقي كلمة الافتتاح

■المشاركون في الحوار أكدوا على ضرورة بناء وترسيخ جسور الثقة بين الأمانة العامة للأوقاف وجمهور الواقفين

افتتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم رتلها المقرئ أحمد خضر الطرابلسي، ثم ألقى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.علي فهد الزميع كلمة أشار فيها إلى واقع الأمة، والمأزق التي هي فيه، وسط عالم تتصارع فيه القوى الكبرى والصغرى لإيجاد مكان مناسب على خارطة القوى العالمية، وبيّن أن المأزق الفكري المعاصر للأمة هو محصلة الفهم الجزئي للإسلام، وإهمال الكثير من القيم الحضارية، ومنها قيم الوقف، مما أدى إلى دخول الفكر الإسلامي في أزمة عنيفة، بعد أن تجمد فترة طويلة، وتشرنق على نفسه، وانفصل عن التيارات الفكرية لعصره، وأدى انفتاحه على حضارة العصر وتياراتها الفكرية المتجددة إلى أزمة المواءمة والموازنة بين الفكر الموروث ومقتضيات الحياة العصرية ومتطلباتها، ودخل الوقف تلك الأزمة التي مرت بها كافة النظم الإسلامية، وتأثر بها، وفقد فاعليته ودوره التنموي، وافتقدت المجتمعات الإسلامية أحد أهم عوامل نموها وتقدمها.

أعراض متشابهة

وعرج السيد الوزير على نشأة الوقف في الكويت وأشار إلى أن أول وقف هو مسجد البحر (الإبراهيم) الذي أسس عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م كما يرجع تاريخ بعض حجج الوقف المسجلة إلى عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م، وبلغ مجموع الأوقاف المسجلة لدى الوزارة ٤٤٠ وقفا ساهمت المرأة بنسبة ٣٨٪ منها، وقد عانى الوقف في الكويت من نفس الأعراض التي عانى منها الوقف في باقي العالم الإسلامي إضافة إلى أن الوفرة النفطية أدت إلى قيام الدولة بالدور التنموي الرئيسي فانكمش الوقف وقصرت أنشطته على مجالات هامشية واستمرت

■المأزق الفكري المعاصر للأمة هو محصلة الفهم الجزئي للإسلام وإهمال الكثير من القيم الحضارية

■مشروع قانون للوقف تجري الآن مراجعته وصياغته بالصورة النهائية

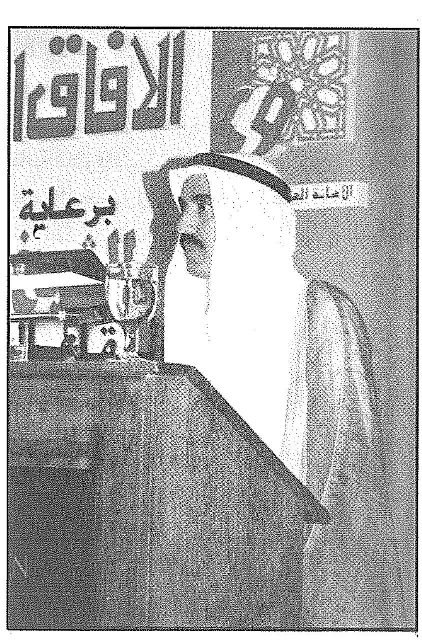


الحالة هكذا حتى جاءت الأزمات وبدت الحاجة ماسة من جديد لإحياء دور الوقف ومشاركته في التنمية ودراسة أسباب القصور، وأكد أن محاولة الخروج بالوقف من تلك الأزمة يقع ضمن الإطار العام لترشيد مسارات الصحوة الإسلامية ودفعها لأوجه تنمية المجتمع.

منطلقات التطوير

وتناول الوزير منطلقات التطوير الجديدة التي رافقت إنشاء الأمانة العامة للوقف وأوضح أن أمانة الوقف انتهت من إعداد مشروع قانون للوقف تجري الآن مراجعته بصيغته النهائية، وأن العمل يجري لإنشاء جهاز حديث لتنمية واستثمار الأموال الموقوفة باستخدام أدوات الاستثمار الحديثة، وفق الصيغ العصرية في صرف ريع الأموال الموقوفة ممثلة في الصناديق الوقفية التي تعتبر إطارا تنظيميا لصرف ريع الوقف في الأغراض التي حددها الواقفون، وأعلن عن إنشاء عشرة صناديق وقفية تغطي معظم مجالات التنمية، وخصصت لكل صندوق أصول وقفية، وهذه الصناديق هي:

رعاية المعاقين والفئات الخاصة، رعاية المساجد، التنمية العلمية، القرآن الكريم وعلومه، التنمية الصحية، الثقافة والفكر، المحافظة على البيئة، رعاية الأسرة والطفولة، التعريف بالإسلام، التعبئة المعنوية. هذا بالإضافة إلى صندوق لمعالجة ظاهرة الفقر أنشأه بيت الزكاة وتدير استثماراته الأمانة العامة للأوقاف .. وأعلن أيضاً أن الأمانة بصدد عقد اتفاقيات ثنائية مع كل من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ووزارة الصحة ووزارة التربية للتعاون المشترك في الأعمال التنموية ودعا كل المتمسكين بالإسلام والداعين إلى تطبيق الشريعة، وكل القوى



●د.عبد المحسن العثمان الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف

الفاعلة في المجتمع إلى أن تساهم في إنجاح التجربة الجديدة.

تنسيق مع المؤسسات الحكومية والأهلية

بعد ذلك ألقى الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف عبد المحسن محمد العثمان كلمة تطرق من خلالها لنشأة الأوقاف في الكويت وكيف كانت تدار في الماضي، وحتى عام ١٩٨٢م، عندما تحولت إلى قطاع يشرف عليه وكيل وزارة مساعد في وزارة الأوقاف وعندما دخلت الكويت مرحلة الإعمار بعد التحرير جرت محاولات جادة ومعمقة للنهوض بالوقف وإحياء دوره في تنمية المجتمع وكشف أسباب عزوف أهل الخير عن الوقف وانخفاض عوائده وأوضح أن الرأي تمخض أخيراً على ضرورة تأسيس كيان خاص مستقل للوقف يعمل بالتنسيق والتعاون مع المؤسسات الحكومية والأهلية لتلمس الاحتياجات التنموية للمجتمع.

استراتيجية الأمانة

واستعرض السيد العثمان ملامح الاستراتيجية العامة للأمانة المتمثلة في إحياء سنة الوقف ودوره في صناعة الحضارة الإسلامية وتطوير صرف ريع الأوقاف،

اللقاء السنوي الأول للأمانة العامة للوقف

وتنويع استثمارات الوقف وبناء الأمانة العامة للأوقاف وإنشاء صناديق خير الوقفية التي أعلن عنها الوزير في كلمته، والتي تمثل الدفعة الأولى وتعتبر الصيغة المناسبة لتحقيق المشاركة الشعبية في تلمس الاحتياجات التنموية للمجتمع، وتجنيد الطاقات الأهلية للمساهمة في الوفاء بها من خلال الدعوة للوقف.

اتفاقيات تعاون

وفي ختام حفل الافتتاح قام وزراء الأوقاف والتربية والشؤون الاجتماعية والعمل، والصحة العامة، بتوقيع اتفاقيات التعاون المشترك بين وزاراتهم من خلال الصناديق الوقفية العشرة التي أعلنت الأمانة عن إنشائها.

حوار مفتوح

وبعدها جرى لقاء مفتوح حول الآفاق المستقبلية للأوقاف في الكويت شارك فيه عدد من الوزراء الحاليين والسابقين وعدد من النواب ورجال العلم والفكر والثقافة الذين غصت بهم مائدة الحوار، والذين أشادوا جميعا بالتجربة الجديدة للوقف وركزوا من خلال النقاش والحوار على النقاط التالية:

١) ضرورة بناء جسور الثقة بين جمهور الواقفين والأمانة العامة للوقف، من أجل إنجاح التجربة وترسيخها وتطويرها.

٢) إعطاء الأمور التعليمية والفكرية والثقافية أهمية أكثر من خلال الصناديق الوقفية، حتى يعود للوقف دوره العظيم في بناء المدارس والجامعات ودور العلم.

٣) ضروة الاستفادة من العمل التطوعي الخيري الذي تفخر به الكويت، والذي رفع اسمها عاليا في شتى أرجاء المعمورة.

٤) ضرورة إقامة صندوق وقفي إعلامي لدعم العمل الإعلامي الإسلامي حتى يستطيع مواجهة الحملات الإعلامية الوافدة



●جانب من حفل الافتتاح

تراجع دور الوقف أدى إلى افتقاد المجتمعات الإسلامية أحد أهم عوامل نموها وتقدمها وازدهارها

التي تستهدف صياغة عقول أبناء الأمة بما يخالف هويتها وعقيدتها.

٥) فتح فرصة لذوي الدخول المحدودة للمشاركة في الوقف الخيري عن طريق طرح أسهم وقفية.

هذا وقد وعد الإخوة المسؤولون في الأمانة العامة للأوقاف بدراسة هذه الأمور وغيرها تمهيدا للوصول إلى أفضل السبل والوسائل حتى يمارس الوقف الإسلامي دوره الرائد في عملية التنمية الشاملة التي نحن اليوم في أمس الحاجة إليها□

رسالة الأمانة العامة للأوقاف

تتلخص رسالة الأمانة العامة للأوقاف:

بإحياء سنة الوقف، وتفعيل دوره في تنمية المجتمع من خلال التلاحم بين العمل الرسمي والشعبي وفق الثوابت الشرعية، ومعطيات الحاضر، ومتطلبات المستقبل.

انطلاقا من هذه الرسالة تسعى الأمانة العامة إلى..

– إحياء سنة الوقف بالصورة التي تعزز قناعة المواطن الكويتي بالوقف كمؤسسة دينية تنموية.

– تطوير صرف ريع الأوقاف بالتركيز على دعم المشاريع ذات العائد الاجتماعي العالي مع الالتزام الدقيق بشروط الواقفين والمقاصد الشرعية للوقف.

– توثيق الصلة بالواقفين ومتابعة تزويدهم بالمعلومات والبيانات الخاصة بالأصول الموقوفة.

– تنمية ريع الأموال الموقوفة، من خلال إدارة استثمارية محترفة.

– تسهيل مشاركة المواطن الكويتي في تكوين أوقاف جديدة تعزيزا لقيم حب الخير في نفسه، ومساهمة منه في خدمة دينه ومجتمعه.

– إبراز أصالة الرعيل الأول من الواقفين من أهل الكويت في حب الخير والإيقاف على أوجه البر، وتوثيق الصلة بورثتهم، ومتابعة شؤون المحتاج منهم وفاءً وتقديرا لهذا الرعيل.

اتفاقية بروتوكول تعاون بين حكومتي البحرين والكويت في مجال الشؤون الإسلامية والأوقاف

انطلاقا من إيمان حكومتي دولة البحرين ودولة الكويت بأهمية التعاون وضرورة التكامل بينهما في مختلف مجالات الشؤون الإسلامية، وتوطيدا لروابط الإخوة الإسلامية والعربية والخليجية بين الشعبين الشقيقين، وتعزيزا وتأكيدا لواقع العلاقات التاريخية القائمة بين الهيئات الرسمية والشعبية في كلتا الدولتين، وتقنينا لتلك العلاقات التي تزداد توثقا وترابطا، فقد تم الاتفاق على تعزيز التعاون في ثلاثة مجالات رئيسية، هي: الشؤون الإسلامية، والزكاة، والأوقاف، وذلك بموجب الاتفاقية التي وقعها في الكويت يوم ١٨ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ، الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٩٤م، كل من الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وزير العدل والشؤون الإسلامية بدولة البحرين، والدكتور علي فهد الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت..

ففي مجال الشؤون الإسلامية تم الاتفاق على ما يلي:

١) توحيد الجهود لإحياء التراث الإسلامي وإبراز المعالم الثقافية للحضارة الإنسانية.

٢) تبادل الوفود وعقد الاجتماعات واللقاءات الدورية بين المختصين والوعاظ في كلا البلدين للإسهام في الأنشطة الثقافة الإسلامية، وترسيخ قيم ومفاهيم الدين الإسلامي.

٣) تبادل الخبرات والوسائل المتبعة في كلا البلدين لعلاج الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالعمل في المجال الإسلامي أو التي تتأثر به أو تؤثر فيه.

٤) تبادل المعلومات في مجال خطط وبرامج تدريب الوعاظ، وتبادل إيفاد الدارسين إلى برامج التدريب والتأهيل العلمي التي تعقد في كلا البلدين.

٥) تبادل الخبرات في مجال خطط ومناهج تحفيظ القرآن الكريم وتجويده والعلوم الدينية، وإجراء المسابقات المشتركة.

٦) رعاية المساجد ودعم المراكز الإسلامية وتأسيس معاهد لتعليم اللغة العربية وعلوم الدين في كلتا الدولتين.

٧) العمل على زيادة المنح الدراسية لأبناء البلدين للدراسة بالمعاهد الإسلامية والجامعات في كلتا الدولتين، وتسهيل الحصول على الكوادر العلمية في مجال الوعظ والدعوة والإمامة والخطابة.

٨) تبادل الخبرات في مجال تنشيط دور المسجد كمركز إشعاع ديني وروحي وإحياء فكرة المسجد الجامع.

٩) العمل على تنظيم وتبادل الأنشطة الثقافية الإسلامية بين البلدين.

١٠) القيام ببحوث مشتركة في مجالات العمل الإسلامي وظواهره تكون مرتبطة بظروف البيئة المشتركة للدولتين، ومتأثرة بالمناخ العام الموحد لكلاهما..

أما في مجال الزكاة فقد تم الاتفاق على ما يلي:

١) التنسيق بين النظم المتعلقة بتشريعات الزكاة في كل من الدولتين وتبادل الخبرات وإيجاد فرص التعاون بين بيت الزكاة الكويتي وفروعه، وكافة الأجهزة المعنية ذات النشاط في دولة البحرين.

٢) التعاون في إنشاء وتطوير دور الرعاية الاجتماعية في الدولتين لرعاية الفئات الضعيفة وإجراء الدراسات اللازمة لتنفيذ مشروعات اجتماعية واقتصادية، وتوفير الآلات والأدوات المطلوبة للتشغيل بهدف التدريب على مختلف الصناعات والحرف التي تساعدهم على تحقيق حياة كريمة لهم..

وفي مجال الأوقاف فقد تم الاتفاق على م يلي:

١) تبادل المعلومات والخبرات والرسا العلمية في كافة المسائل المتعلقة بالأوقا وطرق إدارتها وأفضل السبل لاستثم أموالها.

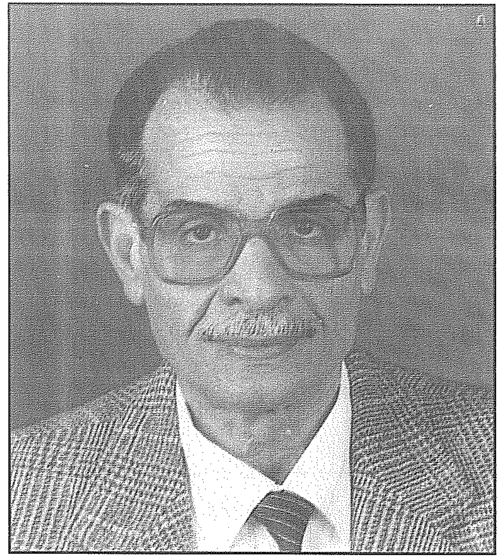
٢) تتعاون وزارة العدل والشؤو الإسلامية في البحرين مع الأمانة العام للأوقاف في الكويت في مجالات استثمار وتنم الأموال الموقوفة وإحياء أصولها والقيا بمشروعات استثمارية مشتركة لتحقي الأهداف السابقة.

٣) التخطيط للقيام بمشروعات مشترك لتوظيف ريع الأموال الموقوفة في المجالا التنموية في الدولتين.

هذا وقد اتفق على تشكيل لجنة برئاسة ك من وزيري الأوقاف والشؤون الإسلامية بك من الدولتين لدفع عملية التعاون وتبادل الرأ والمشورة فيما يتعلق بشؤون الدعوة واختيا أفضل السبل لتنفيذ بنود هذا الاتفاق .. وذل لضمان تحقيق الأهداف السامية المتوخاة خدمة الإسلام وصالح الشعبين الشقيقين كل من البحرين والكويت.

والجدير بالذكر أن مؤتمرا صحفيا عقد بع توقيع الاتفاقية أشاد فيه وزير العد والشؤون الإسلامية البحريني بعمق العلاقا الكويتية البحرينية وتمنى أن يمتد التعاو ليشمل كل دول الخليج العربية كما أشاد ببي الزكاة الكويتي، وإنجازاته الكبيرة.

وقد شكره الدكتور الزميع على هذ العواطف الطيبة، وأكد في كلمته على وحد وترابط البلدين عبر التاريخ، وأشاد بالموقف الأخوي الذي وقفته البحرين خلال الغز العراقي الغاشم، ودعمها اللامحدود لقضي الكويت العادلة□



الأديــــب والـــروائي الإســـلامي الكـــبير

يعد الدكتور نجيب الكيلاني من أوائل الداعين إلى قيام أدب إسلامي ولقد أصدر في هذا المجال عدداً من الكتب النظرية (ثمانية كتب) وعدداً من الإبداعات الفنية التطبيقية في الرواية والقصة والشعر كما أصدر أول سلسلة من نوعها في الأدب العربي المعاصر عن بعض قضايا ومشاكل العالم الإسلامي منها «ليالي تركستان» و«عذراء جاكرتا» و«عمالقة الشمال» عن نيجريا و«الظل الأسود» عن أثيوبيا و«عمر يظهر في القدس» عن فلسطين.

د. نجيـــب الكيلانـــي للوعـــي الإسلامـــي:

الأدب الإســـلامي أدب دعـــوة يسعى إلى تحريـــر الإنســـان

أجرى الحوار: خالـد محمد خلاوي

ولقد قـامت رابطـة الأدب الإسـلامي مـؤخـراً بتكـريمـه رائداً لـلأدب الإسـلامي وأهـدتـه درع الرابطة.

ومن الجدير بـالذكـر ان د.نجيب الكيلاني كتب أول قصة في أول عدد صدر من «الوعي الإسلامي» منذ أكثر من ثلاثين عاماً من عمر المجلة.

يؤكد د. نجيب على أن الأدب الإسـلامي الناجح لايعني الانحصار في دائرة الموضوعـات التاريخية وإنما يعني أساسـاً بقضايـا العصر وواقع الحياة ومشاكلها من خلال الـرؤية الإسلامية الصحيحة وفي إطار الشكل الفني الجميل المتطور.

وأكد في حواره مع «الـوعي الإسلامي» أن الأدب الإسـلامي عـــالمي بطبعـــه وأنـــه أدب لكل العصوروالأمـاكن ذلك لأنه يتشح بـرداء الإسلام وهو رسالة عالمية وفيما يلي نص الحوار..

تكامل الشكل والمضمون

● هل يكفي المضمـون الإسـلامي فقط للحكم على الأدب بأنه أدب إسلامي؟

●● الأدب الإســـلامـي – كأي أدب – شكـل ومضمـون، فـالأدب بـدون شكل فني يفتقـد صفتـه الرئيسية،ومعـروف أن شكل القصة القصيرة يختلف عن شكل المسرحيـة أو القصيـدة فلكل نـوع من هـذا الألوان قـواعده ومواصفـاته الخاصة، أمـا المضمون فيختلف من فلسفة إلى فلسفة ومن مذهب أدبي لآخر، ومن البديهي أن الأدب الإسلامي لايهدد القيم الفنية، أو يتجـاهل المضمـون الإسلامي الصحيح بـاعتبـار الأدب الإسلامي هو تعبير فني جميل مـؤثر من خلال الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والحياة والعلاقات الإنسانية وقضـايـا المجتمعات والخير والشر، والعمل على خلق عالم تسوده المحبة والعدالة والسلام.من هنا نرى الأدب الإسلامي حريص على إجادة الشكل الفني أو الصـورة الفنيـة، وحـريص أيضـا على تطـوريها وتجديدها.

دور الأدب في الحياة

● كثيرمن النـــاس لايعـرفـــون دور الأدب في الحياة. فما دور الأديب المسلم في خدمة المجتمع؟

●● لـو لم يكن الأدب مـرتبطاً بـواقع الحيـاة والناس لما كـانت فعاليتـه وتأثيره والاستمتـاع به والاستجـابة لـه.. والأديب المسلم مسؤول يـؤدي رسالة تجمع بين الجمالية والفائدة، وكثراً ماقلنا إن الأدب وسيلة وليس غـاية وأنه يفتح الطـريق أمام العقل والـوجـدان للسمـو والحلم بعـــالم أفضل وأروع، يـوحي بـالكثير من الاتجاهـات والأفكـار، واتخاذ «المواقف» التـي تخدم الفـــرد والمجتمع، وتثري الحياة بالخير والجمال والمحبة والشماعر الإنسـانيـــة الـرفيعـــة وتترجم عن قيم الحضـارة الإسلامية مـلاذ الخائفين والمقهورين والمعذبين في عالم اليوم، ذلك أن رسـالـة الأدب الإسلامي رسالة عـالمية، تحارب التعصب والجمود والاستغـلال، وتسعى إلى تحرير إدارة الإنسان، وإطـلاق حريته في رطار الاقتناع بالالتزام الإسلامي التابع من قلب الإنسان، وليـس الإلزام الـذي تفرضـه قوي الشر والخديعـة وتسخير البشر للسيـاسـات الجامحة، والنفعيـة المتـوحشـة، ذلك أن الأدب الإســـلامي مستمـــد روحـه من كتـــاب اللـــه وقـــوة الإيمان وتوجيهات رسول الإنسانية ﷺ.

الأدب وسيلة دعوية

● هل يمكن اعتبار الأدب الإسلامي أحد وسائل الدعوة إلى الله؟ وماهو دور الأديب المسلم في خدمة قضايا المسلمين؟

●● بالتـأكيد فإن الأدب الإسلامـي أدب دعوة وليس هذا بغريب في عالمنـا المعاصر الذي نرى فيه أن كل المذاهب الأدبية المعـاصرة تنبع عن فلسفات ومدارس فكرية وضعية متضاربة ونحن نسعى إلى أن نعتمد منهج الله منطلقـاً لأدبنا الإسلامي حتى نصحح انحرافات الآداب العالمية، دون أن نتخاصم

معها بل نحاورها وتستفيد منها من إيجابيات، ونترك سلبياتها.

وقضايا المسلمين ومشاكلهم كثيرة ومتنوعة والرباط الذي يربط بين أبناء أمتنا يفرض علينا أن نسعى جادين في إلقاء الضوء على هذا القضايا والتعبير عنها بالأساليب الفنية الجميلة المستحدثة، وأظنني قدمت في هذا المجال ولأول مرة في أدبنا المعاصر روايات وقصصاً عن ذلك، أذكر منها« ليالي تركستان» و«عمالقة الشمال» و«عذراء جاكرتا» و«الظل الأسود» و«دم لفطير صهيون» وغيرها.

المذاهب والتيارات المعاصرة

● ما موقف الأديب المسلم من المذاهب والتيارات الأدبية والفكرية المعاصرة؟.

●● الأديب الإسلامي ليس منغلقاً على نفسه إنه يفتح أبوابه ونوافذه لتلقي المذاهب والتيارات الأدبية المعاصرة، ويتفحصها بعناية ويعاملها بثقة ودراية وله أن يأخذ ويرفض، مادام محصناً تحصينا قوياً يقيم العقيدة الإسلامية إن الذين يتلقون لقاح الأمراض المعدية لن تصيبهم العدوى، وخاصة أننا نشعر بإعتزاز عقيدتنا وفكرنا ولانذكر على الآخرين حقهم في ذلك نحن لانخاصم الآداب العالمية، ونرحب بالجيد والجميل والمفيد منها، ولانرفض إلا ما ينحرف بفطرة الإنسان ويثير مكامن غريزته وحيوانيته ويطغى على الجانب الأخلاقي والروحي فيها.

عالمية الأدب الإسلامي

● كيف تتحقق عالمية الأدب الإسلامي؟

●● الأدب الإسلامي عالمي بطعه، وهو أدب لكل العصور والأماكن، ذلك لأنه يتشح برداء الإسلام وهو رسالة عالمية وأن قضاياه إنسانية بطبيعتها وأنه يحفل بواقع الماض والحاضر ويحلم بالمستقبل الأفضل ويجمع الخلائق على معاني الإخاء والعدل والحرية والمحبة..قد تكون هناك معوقات لشيوع الأدب الإسلامي على مستوى العالم ولكن هناك أدبيات إسلامية ترجمت لكل لغات العالم الإسلامي بالذات، والبعض الآخر ترجم إلى اللغات الأوروبية وهذا الأمر يحتاج إلى جهود منظمة ودعم مستمر وأعتقد أن رابطة الأدب الإسلامي تمكنها أن تفعل الكثير في هذا المجال، وكذلك الغيوريون على دينهم ولغتهم.

بين الصفوة والجماهير

● يقال عن الأدب الإسلامي إنه أدب صفوة لا أدب جماهير فما رأيكم في ذلك؟

●● الأدب الإسلامي بطبيعته أدب لجميع فئات الأمة للأطفال والكبار للنساء والرجال،للوهلين تعليمياً وغير المؤهلين، وهو قادر على تقديم ابداعاته لكل هذه الشرائح بالاسلوب الذي يناسب كل شريحة ويؤثر حتى ولو إستخدمنا اللغة المبسطة أو العامية(في أضيق نطاق وعند الضرورة)ولانستطيع تجاهل الأميين، ونحن عندما ندعو إلى الإسلام مثلاً فنحن نخاطب كافة المستويات عنا قال الرسول ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم».

تميّز القصة الإسلامية

●من خلال تجاربكم في جالي القصة والرواية، ماالذي يميز القصة الإسلامية عن غيرها من القصص؟

●● القصة والرواية والمسرحية أيضاً وكذلك الشعر الأفلام السينمائية ودراما الاذاعة والتليفزون كلها فنون مهمة، وكثيراً ماتتشابه، لكن هناك الأدباء المتميزون الذين يحرصون على القيم الفنية والفكرية، والقصة الإسلامية بصفة عامة تحرص على الجميع بين الشكل الجيد والمضمون الصادق والقصة تترك انطباعاً معيناً لدى قارئها أو مشاهدها، فإذا كان هذا الانطباع إيجابياً وبناءاً ومؤثراً وذلك من خلال إستجابة المتلقي للفكرة والاقتناع بها واتخاذ موقف حياتي محدد بصددها.. عندئذ تكون القصة قد حققت هدفها الأسمى وأصبحت فن بناء لاهدم، وآلة تغيير لاجمود ووسيلة إصلاح لاإفساد.

إن القصة وسيلة غايتها بناء الوجدان. المسلم الحي والشخصية الإسلامية المتوازنة، التي تستطيع أن تفعل مافعله «قرآننا» عندما غير وجه الجزيرة العربية وغير وجه العالم كله، وترك بصماته اكثر من عشر قرناً من الزمان.

الالتزام والإبداع

● البعض يرى أن الإلتزام يعوق حرية الإبداع وخاصة عند تناول قضايا المرأة والجنس فكيف يمكن للأديب الإسلامي وخاصة الروائي تناول قضايا الجنس والجريمة في ادبه؟.

●● إن الالتزام في رأيي لايمكن أن يعوق حرية الابداع في أي موضوع من الموضوعات،وخاصة أن الالتزام في أدبنا الإسلامي يأتي من قناعة ذاتية وينبع من ضميرنا وليس مفروضاً علينا ومادام الأمد كذلك فمن أين تأتي القيود ولقد كررنا القول في أن الالتزام الذاتي غير الإلزام المفروض من خارج ذات الأديب، ونحن نكتب عن المرأة لأنه لايمكن تجاهل مشاعرها وأفكارها ونكتب عنها حبية وزوجة وأم وإبنة ونعالج الحب والجنس بدرجات متفاوتة لهدف معين وليس للإثارة والإفساد، والحكم يأتي في النهاية من محصلة العمل الفني والتأثير الكلي للعمل الأدبي..

وفي القرآن الكريم نماذج عديدة للنساء والرجال، حتى الشهودة الفائرة في المرأة نراها صورت أروع تصوير وأصدقه في سورة يوسف وقد حدث شيء من الخلاف بين النقاد الإسلاميين حول هذه النقطة روبما تكون حدثت بعض التجاوزات في البدايات لكن مواصلة التجارب وتتابع الابداع، سوف يقود إلى نماذج قد تكون أفضل شكلاً ومضموناً..وأنا شخصياً كبت رواية «ملكة العنب» وبطلتها أمرأة ولن تجد في هذه الرواية مايمكن أن يؤخذ على عند معالجتي لهذه القصة، بل كتبت عليها بثقة «رواية من الأدب الإسلامي المعاصر» وطبيعى أن مثل هذه الأمور لاتقاس بمقاييس واضحة محددة تماماً، ولكن تختلف فيها الإجتهادات والمحصلة النهائية للعمل الأدبي هي التي تحكم له أو عليه أما الجريمة فهى موضوع شائع في الآداب كلها، لكن الأهم في ذلك كيف تعالج هذه الجريمة ومن أي منظور نأخذها والهدف منها.

وصية للأديب الناشيء

● بماذا يوصي د. نجيب الأديب الناشيء الذي يريد أن يكون أديباً إسلامياً متميزاً؟

●● لابد للأديب الشاب الذي يريد أن يصبح أديباً إسلامياً أن يعمق صلته بالقرآن الكريم وبالتراث حتى يكون قاعدة متينة لثقافته الإسلامية بالإضافة إلى الاتصال بالآداب العالمية فلابد أن يطلع على مصادر الثقافة والمعرفة ولكن بشرط الحصانة والتي لاتتم إلا بالتعمق في الثقافة الإسلامية ولكي يكون أيضاً متميزاً لابد أن يعرف قواعد الفنون: كيف تكتب القصة؟كيف تكتب المسرحية؟ كيف يكتب الشعر باللغة الصحيحة السليمة لكل فن من فنون الأدب قواعده التي لابد أن تحترم بل وإذا استطاع أن يضيف عليها فليضف..كل هذا لابد أن يهتم به الأديب الإسلامي الذي يريد أن يكون له مكانه، كذلك لاحظت أن بعض الإسلاميين لايكتبون إلا للإسلاميين وأريد أن يكتبوا للإسلاميين وغيرهم أريد لأدبنا أن يدخل كل بيت وأن يقرأه الجميع.

لقد كان الأدب الإسلامي ومازال حقيقة واقعة فرضت نفسها في الصحف والمجلات والجامعات وعلينا أن نواصل المسيرة□

تنظيم العمل الخيري في الكـــويت

نظمت وزارتا الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ والشؤون الاجتماعية والعمل؛ بالتنسيق مع القيادات الرسمية والشعبية للعمل الخيري إطاراً عاماً لتنظيم العمل الخيري في الكويت. وقال وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. علي الزميع: إن بيت الزكاة سيكون المظلة القانونية والمالية لعمل لجان الزكاة، وذلك في إطار النظم والقواعد التي تعتمدها السلطة المختصة.

وذكر أنه سيتم تقنين العلاقة بين بيت الزكاة ولجان الزكاة من خلال اللوائح التي يصدرها بيت الزكاة وتتضمن قواعد إنشاء لجان الزكاة وإجراءاته، ودور بيت الزكاة في مراجعة مدى توفر شروط إنشاء تلك اللجان، واتخاذ قرارات إنشاء اللجان ومتابعتها والإشراف المالي عليها، ومتابعة أنشطتها الاجتماعية، والأمور المتعلقة بميزانيتها. وفيما يتعلق باللجان الخيرية قال الوزير الزميع: إن جميع لجان العمل الخيري ستنتقل من المساجد في مدة أقصاها منتصف ديسمبر الجاري. وذكر أن ممثلين من وزارتي الأوقاف والشؤون الإسلامية والشؤون الاجتماعية والعمل سيشتركون في عضوية اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة. وأشار إلى أنه سيمنح العمل الخيري الداخلي أولوية في مجالات اهتمامات الهيئات والجمعيات، مما يتعين معه البحث عن سبل تنشيطه لتغطية الاحتياجات التي يكشف عنها الواقع الميداني للمجتمع الكويتي وشرائحه. وأشاد الوزيران د. علي الزميع، وأحمد الكليب في ختام اجتماعهما مع القيادات الرسمية والشعبية للعمل الخيري في الكويت الذي عقد في منتصف شهر أكتوبر الماضي، بجهود جميع العاملين في القطاع الخيري الشعبي على الدور الإيجابي الذي يضطلعون به في خدمة الإسلام وخدمة وطنهم بالإضافة إلى مجهوداته الخارجية نحو خدمة الإسلام ودعم قضايا الكويت العادلة على الصعيد العالمي.

العمل على استكمال تطبيق الشريعة

زار السيد/ وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. علي فهد الزميع مقرّ (اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية) ليلة السبت ١٢/١١/٩٤م والتقى رئيسها د. خالد المذكور وأعضائها، وحضر معه كل من: وكيل الوزارة خالد الزير، والأمين العام للوقف عبد المحسن العثمان، ومدير عام بيت الزكاة عبد القادر العجيل، وتم طرح ما أنجزته اللجنة في الفترة الأخيرة بالإضافة إلى استعراض استراتيجية الوزارة.. وقال د. علي الزميع: إن ما توصّلت إليه اللجنة بشأن استكمال تطبيق الشريعة يعتبر جهداً طيباً، ويسير على الطريق الصحيح لأنه مبني على دراسات علمية متأنيّة تراعي الأحكام الشرعية والمصلحة العامّة.

كيف نتعامل مع الأزمات؟

أقام قسم الواعظات بإدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ندوة في صالة أحمد شيخان الفارسي بالسرة حول كيفية التعامل مع الأزمات، حضرها عدد من الأخوات الإعلاميات، ومديرة إدارة برامج الأسرة والطفل بإذاعة الكويت عائشة اليحيى. وذلك بهدف توعية المرأة بكيفية التعامل والتعايش وقت الأزمات، وما ردود الأفعال بعد الصدمة حول أية أزمة سواء كانت سياسية أو عسكرية.

حاضر فيها كل من نضال الحاي، ومي البدر، وبدرية العزاز، وكانت عريفة الندوة موضي العميري. وتركز الحديث حول مبدأ الثقة بالله عز وجل والتوكل عليه في كل الظروف والأحوال، ومن ثمار ذلك السكينة والطمأنينة والرضاء.

واتفقت المحاضرات على ضرورة الربط بين الأزمات والابتلاءات التي يمتحن الله فيها عباده، وكيفية وضع العلاج والحلول الواقعية لها بعيداً عن التشنج والتسرع والتخبط في اتخاذ القرارات، متخذين من رضى النفس والسكينة وسيلة لتذليل الصعاب وإزاحة العقبات.

واختتمت الندوة بكلمة بدرية العزاز حول تجربة الأزمة السابقة، والأساليب العملية لمواجهة الأزمة الحالية ومحاربة الإشاعات ومقاومتها، وأوضحت وسائل الثبات من الذكر والدعاء لله عز وجل، والتمسك بكتاب الله وفهمه الفهم الصحيح، وتطبيق أحكامه. وفي نهاية الندوة فتح المجال للتعقيب والمناقشة.

مساجد الكويت تساهم في المجهود الحربي

نظراً للظروف التي تمر بها البلاد في مواجهة الاستفزازات والنوايا العدوانية للنظام العراقي الحاكم في بغداد، وانطلاقاً من الروح الوطنية التي أبداها جميع أبناء الكويت بمختلف فئاتهم، واستعدادهم للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الحفاظ على تراب وطننا الحبيب. قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالتعاون والتنسيق مع الهيئة الشعبية لجمع التبرعات وبيت الزكاة، والأمانة العامة للوقف، واللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة بتنظيم حملة لجمع التبرعات بالمساجد، مساهمة منها في تدعيم المجهود الحربي.

الفائزون في المسابقة الثقافية الثانية

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.علي فهد الزميع، أقامت الوزارة يوم ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٥هـ (٣/١١/٩٤م)، الحفل الختامي للمسابقة الثقافية الثانية للبحث والقصة القصيرة والشعر.

وقد تضمن الحفل - الذي حضره كل من وكيل الوزارة خالد الزير، والوكيل المساعد لشؤون المساجد والثقافة الإسلامية عبد العزيز بدر القناعي - تكريم (٣٠) فائزاً بالمسابقة الثقافية في مجالات البحث، والقصة القصيرة والشعر.

وفي بداية الحفل تلا أحد طلبة كلية الشريعة الإسلامية بعضاً من آيات القرآن الكريم، ثم ألقى وكيل وزارة الأوقاف خالد الزير كلمة الوزارة نيابة عن راعي الحفل، أكد فيها اهتمام الوزارة بالثقافة الأدبية كاهتمامها بأبواب الفقه، والعقيدة، والسيرة، وعلوم القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

وأضاف الزير موضحاً أن من أعظم أهداف الوزارة نشر العلم النافع الذي يعود على المجتمع بما يحقق تقدمه، ويرفع شأنه. وأوضح وكيل الوزارة أن الأدب الحديث والقديم يمثلان التعبير الصادق والتصوير الرفيع لحاجات الأمة ومتطلبات الحياة، وفي نفس الوقت يصون الدعوة بأسلوب قيم ورفيع.

وقال الزير: إنه كما كان للأبطال الشجعان مبادئهم في الدفاع عن الإسلام وفتح الأمصار والأقطار، فإن للشعر والأدب ميادينهما في فتح مغاليق القلوب عن الإسلام، والرد على أعدائه.

وأضاف: إن وزارة الأوقاف بعدما رأت مكانة الأدب قديماً وحديثاً، وحرص الإسلام على الارتقاء بالمستوى الفكري والأدبي، وحاجة الشباب وتعطشهم للعمل الجاد والبناء، لذلك قامت الوزارة بفتح المجال لجميع الطوائف كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء للتسابق إلى مغفرة من ربهم مؤكداً أن المسابقة الثقافية الأولى أثبتت مقدرتها على تحريك الأفكار من خلال تقدم أعداد كبيرة للمشاركة بها، كما شهدت المسابقة الثانية لهم مشاركة كبيرة وفعالة وإقبالاً عظيماً.

وبعد أن ألقى وكيل الوزارة خالد الزير كلمته قام وبرفقته الوكيل المساعد لشؤون الثقافة الإسلامية وشؤون المساجد عبد العزيز البدر - وبحضور مدير إدارة الثقافة الإسلامية حمد الشهاب - بتوزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة الثقافية والذي بلغ عددهم ٣٠ فائزاً، وهم في مجال البحث الأول: طارق خليل الأسود، والثاني: بثينة عيسى يوسف الثاقب، والثالث: منى معتوق أمان، الرابع: أيمن الشاذلي حسن حبيب، الخامس: مهلي فارس أسمر الفضلي، السادس: مشعل العتيبي، السابع: مبارك عبد الرزاق العنزي، الثامن: إبراهيم علي محمد، التاسع: سامي حسن محمد مبارك، العاشر: بشرى سعد الدين علي.

وفي مجال القصة القصيرة فالعشرة الفائزون هم بالترتيب: عبدالله جوزف فيشال، قتادة عبد الرحمن جميعان، مريم محمد حمد بوحمدي، منيرة أحمد عيسى العبيدلي، مريم حجي محمد الحجي، كفاية عبيد علي العنزي، علي عقال راشد الشمري، أمل ياسين، عقلة حمد عودة الشمري، وخلود داود أحمد عاشور.

وفي مسابقة (الشعر)، فاز كل من: طلال الخضيري السعيدي، حمد شلاش الشمري، عبد المحسن أحمد الطبطائي، أسماء فتحي رجب محمد سليمان، فؤاد عبد الرحمن محمد طلب، سمير الرفاعي، سعد حسن عبد الغني خضر، عبد الله محمود الجاموس، رفيع أوسولالي يقيني، صفاء خليل إبراهيم أبو عمارة، وعباس حلمي بسيسوس احتياطي.

ومن الجدير بالذكر أن جوائز المسابقات المادية (تتراوح ما بين ٥٠٠ دينار للفائزين من الأول إلى الثامن.



تطالعنا في هذه الأيام المباركة نسمات شهر رجب المعظم. ذلك الشهر الذي يقترن في قلب كل مسلم بذكرى عزيزة غالية تحتل مكانة عظيمة فيه الا وهي ذكرى الاسراء والمعراج ذلك الحادث الذي سجله التاريخ بكل تقدير وفخار حيث كانت الرحلة المباركة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى بالقدس، لتؤكد هذه الرحلة بالدليل العملي ذلك الرباط الروحي بين المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وألسنتهم. وأراني يعتريني الحياء والخجل كلما تحدثت عن هذه الذكرى العطرة، ذلك لان الأرض المقدسة التي شرفها الله تعالى بإسراء الرسول ﷺ اليها وعروجه منها الى الملأ الأعلى مازالت تقع تحت سيطرة شرذمة من اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين. نعم يحق لكل مسلم يهتم بأمر المسلمين ان لاينعم له عيش ولا يهدأ له بال كلما حلت هذه الذكرى، لماذا؟ لانها تعيد الى أذهاننا معنا قضية فلسطين بكل احتمالاتها فهي قضية اسلامية أولا وقبل كل شيء.



بقلم: د. محمد السقا عيد

وإن العين لتدمع والقلب ليحزن ما يحدث هذه الأيام في القدس والخليل ونابلس وغزة وكل أرض فلسطين من قتل وسفك دماء واغتصاب كل هذا وغيره الكثير يستصرخنا أن نهب وأن يكون لنا موقف إسلامي موحد جاد ضد الهجمة الصهيونية التي تستهدف كل مسلم على وجه البسيطة.

لقد تزايدت الاعمال الاجرامية التي يقوم بها الكيان الاسرائيلي المحتل لارض فلسطين ضد أصحاب الحق الشرعيين. حتى أنه أصبح التنكيل بالمسلمين هناك هواية يمارسها الصهاينة في كل وقت وأصبح واضحا انهم يجدون راحتهم في مطاردة إمرأة أو قتل طفل صغير وتعذيب شيخ كبير.

ولتعلم: أن القدس والمقدسات الاسلامية وبخاصة المسجد الاقصى تحظى بالنصيب الأكبر من تلك الممارسات العدائية.

فمنذ عام ١٩٦٧م وحتى الآن واليهود يخططون لدخول المسجد الأقصى والصلاة فيه وذلك تمهيداً لاحتلاله.

تلك القبلة التي أصبح المسلمون الآن يتركونها

■ يهدف الإسرائيليون من جرّاء تهويد القدس طمس هويتها الإسلامية، يضربون بكل المواثيق عرض الحائط

الا مرة واحدة كل سنة حينما يحل شهر رجب. يتذكر المسلمون عندئذ مناسبة الاسراء والمعراج كحدث تاريخي ليس إلا. تلك القبلة تذكركم أيها المسلمون في كل وقت وتناديكم أن تفكوا أسرها. تدعوكم أن تحطموا قبضة الاعداء الحديدية التي انتهكت كل شيء في أرض فلسطين المحتلة. ويجب على كل مسلم على وجه هذه الارض أن يستوعب حقيقة هامة وهي أن القدس ومقدساتها هي قضيته، ذلك أنها قبلة المسلمين الاولى التي دنسها أعداء الله الصهاينة بأعمالهم القمعية البشعة ضد المسلمين أصحاب الحق الشرعيين وضد مقدساتهم الطاهرة.

وإذا كان هناك من يخطط ليجعل من القضية الفلسطينية والقدس ومقدساتها الاسلامية قضية محلية أو قضية لاجئين ليصرف بهذا مسلمي العالم عنها فإن واجبنا نحن المسلمين أن نكشف تلك المخططات الخبيثة ونفند مزاعم أصحابها وننبه المسلمين الى خطورة الانقياد لافكار وخطط أعدائنا الذين لا يدخرون وسعاً ولا جهداً في سبيل الايقاع بالمسلمين.

وأحوال المسلمين في الارض المحتلة تسير من سيء الى أسوأ فقد بلغت ممارسات العدو الصهيوني ضد شعبنا الصادق مدى بعيدا وخطيرا ذلك لانهم لا يتورعون عن إتيان أي عمل اجرامي مهما كان بقصد تذويب الشخصية الاسلامية المتميزة لشعبنا المسلم وابعادنا عن هويتنا الاسلامية. وهل هناك أبشع من الاستيلاء على مساجد المسلمين في القرى الفلسطينية وعرضها للبيع؟

وهل هناك أبشع من نبش الصهاينة قبور المسلمين وعرضها للبيع أيضا لاقامة الفنادق السياحية الاسرائيلية عليها.

عذراً.. صاحب الذكرى

حقا إنها شبه عار– ودليل عجز وضعف – في جبين مليار مسلم ما يحدث في هذه الايام ضد إخواننا المسلمين في الأرض المحتلة.

إن قلبي ينفطر ويكاد يتقطع من هول ما قرأت ولكنني سأنقل اليك خلاصة ما نشر بالصحف اليومية القاهرية التي تعرضت لهذه المأساة.

خلاصتها أنه قام الاسرائيليون بمجزرة بشعة ضد المسلمين هناك حيث اقتحم جنود الاحتلال والبوليس الاسرائيلي ساحة المسجد الاقصى واعتدوا على المسلمين الامنين بطريقة وحشية

بالرصاص، راح ضحية هذه المجزرة واحد وعشرون شخصا وأصيب ألف آخرون. ومازالت الاحداث تكشف كل يوم ما تتمخض عنه هذه المجزرة.

وإنني لأتساءل بدهشة؟ أين الرأي العام العالمي؟؟ دعونا من هذا؛ أين رد الفعل الاسلامي تجاه هذه الفعلة البشعة؟؟ إخواني حقا:

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نار نفخت بها لشبت
ولكن أنت تنفخ في الرماد

ترى ما رد فعل العالم الاسلامي لو قام اليهود فعلا بتنفيذ مخططهم الخبيث. هدم المسجد الاقصى (لا قدر الله) وبناء هيكل سليمان المزعوم؟

اعتقد أن الفعل سيكون مجرد استنكار وتراشق بالكلمات ولن يتجاوز ذلك. والبقية تأتي. فاللهم لا حول ولا قوة إلا بك. ويقول الشاعر واصفاً هذه الحالة السيئة:

قد مسنا الضر يارحمن عن سفه
واستأسدت أمم الكفران والعجم
يهود خيبر عادو من كشتهم
مثل الجراد وسيل النقمة العرم
عاثوا فسادا بأرض المسلمين ضحى
وأحرقوا النسل بالنيران والنقم
ودنّسوا المسجد الاقصى وحرمته
وبات في قبضة الباغين فانتقم
وابعث عليهم عذاب الرجز يمحقهم
وطهر الارض منهم عدل مصطلم

وخلاصة القول، أن الممارسات التي يقوم بها الكيان المحتل ضد الفلسطينيين أعمال اجرامية بشعة لم يعرف التاريخ كله مثلها، إنها أعمال يطأطىء الشيطان رأسه خجلاً أمامها، إن قضية الوجود الاسرائيلي الطارىء في أرضنا تأتي على رأس قضايانا المصيرية.

وفلسطين هي قضية المسلمين عبر العصور والاجيال عبر الحاضر والمستقبل.

وفي اعتقادي أنه ستأتي الاجيال القادمة لتحق عجزنا عن تحقيقه تماما كما حدث أيام الغزو الصليبي حيث محى الجيل اللاحق بقيادة صلاح الدين الايوبي عجز وتقصير الأجيال السابقة التي أضاعت القدس وفلسطين.

وتبذل اسرائيل محاولات محمومة في إطار تهويد مدينة القدس وفلسطين ومدينة العرب الخالدة ولا تستهدف مؤامرات التهويد تهويد الارض فحسب ولكنها تستهدف كذلك تهويد الممتلكات الفلسطينية أيضا بمزيد من المطاردات والمصادرات وطرد أصحابها وتشييد المستوطنات الاسرائيلية عليها. انها تستهدف

– تهويد المقدسات وذلك بتغيير معالمها

– تهويد الفكر والثقافة والسلوك. وفي النهاية تهدف الى تهويد انماط الحياة جميعها.

ويجدر بنا أن نذكر مقولة (بن جوريون) التي تعبر تعبيراً حقيقيا عما يدبره الكيان الغاضب (لا معنى لاسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل).

وهذا بيجين فيلسوف الارهاب الصهيوني يقول: (لاحق للعرب أو المسلمين في القدس حيث إن المسجد الاقصى ليس الا معبداً يهودياً) ولا أملك التعليق على هذا الكلام الا بالتأكيد على:

أن أرضنا ومقدساتنا في فلسطين بحاجة الى حقيقة يذكرها التاريخ. وقفة تعيد الثقة الكاملة الى المسلمين في ذاتهم وقدراتهم. وقفة توقظهم من سباتهم على واقع مرير وصمت أكثر مرارة من قياداته الاسلامية.

فلنجدد جميعا العهد مع الله تعالى ونتخذ من ذكرى الاسراء والمعراج بداية انطلاق نستعين فيه بالله لتحرير القدس والمسجد الاقصى وكل أرض دنها العدوان واحتلها الغاصب حتى لا يعترينا الخجل عندما يسألنا صاحب الذكرى ﷺ عما حدث للمسلمين من بعده في موقف يوم الحشر.

لماذا الجفاف ياعين؟

ان نظرة ثاقبة على بقعة العالم الاسلامي من حولنا لستدعي منا أن نقف وقفة مع أنفسنا لنتدارك أنفسنا قبل أن نندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

لقد أصبحت الاخطار تتهدد الامة من كل صوب وحدب ومع كل شمس كل يوم تشتعل الحرب وتستعر معها نار الفتنة حتى تقضي على كل محاولة للفهم والاصلاح.

كل هذا وأبناء الامة الاسلامية مشغولين في الحروب فيما بينهم تارة بتراشق الكلمات فيما بينهم وأخرى بالسلاح.

إخواني المسلمين: كيف ضاعت دولة الاندلس؟ وكيف استولت الصهيونية الغادرة على أرض فلسطين؟ وكيف شرد عشرات الآلاف من الرجال والاطفال والنساء في الصحاري وفي فيافي الضياع؟

أين المليار مسلم الذين يملأون القارات الخمس؟ هم الذين قد فرض عليهم جميعا الجهاد في سبيله للذود عن مقدساته؟

أو ليس الله قد أنزل في القرآن سورة كاملة تحث المسلمين على النفير العام تسمى سورة (براءة) أو (سورة التوبة)، فأين فريضة الجهاد أيها المسلمون؟

ولماذا لا تتحدوا بعد تفرق وتكونوا على قلب رجل واحد يرهب اعداء الله؟ لماذا؟

مالذي افتقدناه؟ وما الذي ضاع منا؟ اعقمت الامة الاسلامية فلم تنجب أمثال (طارق بن زياد) أو (عمرو بن العاص) أو (عقبة بن نافع) و (خالد بن الوليد)؟

ما الذي ينقصنا إذن؟ إن أياً منا إذا عاش مع نفسه فترة وتوغل في أعماق ذاته لحظة لعرف أن الذي ينقصنا نحن المسلمين في عصرنا الراهن هو الوحدة الاسلامية التي تحركنا نحو الاتحاد والتجمع بعد شتات عندها فقط نستطيع أن نلبي نداء مقدساتنا بإحياء تلك الفريضة لفريضة التي تناسيناها كمسلمين الا وهي فريضة الجهاد.

ما أحوجنا حقا الى احياء تلك الفريضة.

هذه الخواطر وغيرها كفيلةبأن لا تدع الدموع تجف من المآقي. ولكن قد يسأل سائل: أهذا هو الحل؟ لست أقصد هذا فالبكاء كما نعلم حيلة النساء ولكن ما أقصده هو أن يكون هناك رد فعل ايجابي حتى ولو بدمع العين فإذا تحركت عيوننا. جميعا كمسلمين وأهدرت الدمع المدرار فليس بعيدا تبدأ شرارة التغيير فتجتمع على كلمة الحق قلوبنا وتتحد كلمتنا ويجمع الله شتات قلوبنا ويثبت على الحق أقدامنا.

كلمة لابد منها

أخي المسلم: انه لمن المؤسف حقا أن نكون أصحاب الدين عظيم هو الاسلام بما حوى من حلول ومعالجات ناجحة ثم نترك هذا كله لنلتمس حلولا واقدة بالية لدى الشرق والغرب.

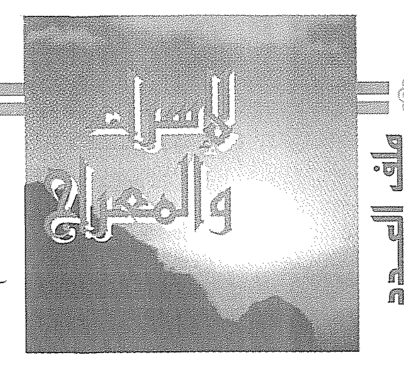
فلنجمع شتات قلوبنا ونقف يداً واحدة في مواجهة ذلك الغزو الزاحف الذي يهدف إلى محو ديننا الاسلامي.

فهذا الدين يعلم أنفسنا ويعودها على الجرأة في تبليغ الحق والتضحية في سبيل الايمان.

وحتى لا تنسى

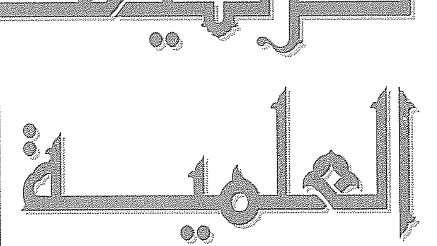
● فإن القدس الشريف مازالت تعاني الاحتلال الاسرائيلي والاسر الصهيوني منذ عام ١٩٦٧م حتى الآن، وينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا ولا عن بالنا أن العدو الاسرائيلي قد أحرق الاقصى المبارك بتاريخ ٢١/٨/٦٩ قصداً وعمداً.

● ولا تنس أخي المسلم أن القدس أخت مكة فهي أمانة في أعناق المسلمين وكلنا مسؤولون أمام الله تعالى عن تضييعها فماذا نقول كمسلمين لصاحب الذكرى ﷺ ولم نأخذ بسنته؟بل ماذا نقول لله تعالى يوم الحساب؟ لك الله ياقدس، وعفواً يا صاحب الذكرى□



في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية، أسرى الله بنبيه محمد ﷺ، من المسجد الحرام بمكة، إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، وطوى النبي ﷺ هذه المسافة الشاسعة، في فترة وجيزه من الليل، وهناك رأى من آيات ربه الكبرى، وجمع الله له الأنبياء، فصلى بهم في بيت المقدس ثم عُرج به ﷺ إلى السموات العلا فرأى من آيات ربه الكبرى، وأوحى الله إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات في اليوم والليله، وإلى هذه المعجزة، أشار القرآن في الآية الأولى من سورة الإسراء﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

ولما رجع النبي ﷺ إلى مضجعه أخبر الناس بما رآه فصدقه، كل من آمن به إيمانا قويا، وكذبه كفار قريش، وارتد كثير ممن كان في قلوبهم مرض!



معجزة تزكيها الحقائق العلمية

بقلم: أمين محمد عثمان

جاء في كتب السير أن النبي ﷺ، أخبر بمسراه السيدة أم هاني بنت ابي طالب وكان مضطجعا في بيتها وأنه عزم على أن يخرج إلى قومه ليخبرهم بذلك، فصدقة ولكنها تعلقت بردائه وقالت: أنشدك الله يا ابن عمي، أن لاتحدث بهذا قريشا، فيكذبك من صدقك، وينكرون مقالتك، فضرب النبي ﷺ بيده على ردائه فانتزعه منها، وانتهى ﷺ، إلى نفر من قريش فيهم المطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام وقعد النبي ﷺ حزينا لأنه عرف أن الناس سوف تكذبه، فسأله أبو جهل مستهزئا: يامحمد؛ هل كان من شيء؟ قال: «نعم أُسريَ بي الليلة». قال: إين؟ قال: «إلى بيت المقدس». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال النبي: «نعم»، قال: رأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بماحدثتني؟ قال: «نعم». فصاح أبو جهل يامعشر قريش، فانفضت إليه المجالس، وجاء حتى جلسوا إليهما. فقال رسول الله ﷺ: «إني أُسريَ بي الليلة إلى بيت المقدس، فبعث لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى».

فلما سمعت قريش ذلك ضجت، وأعظمت ذلك الإسراء وصار بعضهم يصفق، وبعضهم يضع يده على رأسه متعجبا. وقال المطعم بن عدي: إن أمرك قبل اليوم، كان أمر يسيرا، لكن قولك اليوم يشهد انك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل، مصعدا شهرا، ومنحدرا شهرا، ثم تزعم أنك أتيته في ليلة وحدة؟ واللات والعزى لا أصدقك.

قال ابن هشام في سيرته: قال الحسن: وأنزل الله فيمن ارتد عن إسلامه قوله تعالى: ﴿وماجلعنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة المعلونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا خفيانا كبيرا﴾ [الإسراء:٦٠].

تصديق الصِّدِّيق

وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أبو بكر: أو قد قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: والله لئن كان قال ذلك فقد صدق، فما تنكرون من قوله؟ فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل او نهار فأصدقه، وهذا أبعد مما تعجبون منه.

قال أصحاب السير: ومن ذلك اليوم لقب أبو بكر بالصِّدِّيق نزل في حقه قوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ [الزمر:٣٣].

لقد كانت قريش تعلم أن محمدا لم يدخل بيت المقدس قط، فقال بعضهم: يامحمد صف لنا بيت المقدس إن كنت قد رأيته. قال النبي ﷺ: «فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط، فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته»، وفي رواية: «فرفع لي المسجد حتى نظرت إليه»

ثم أخذ النبي ﷺ يصفه فكان يخبرهم بما يعرفونه عنه، وأبو بكر يقول: (صدقت صدقت) وقالت قريش: صدق الوليد بن المغيرة في قوله: إنك لساحر.

وعلى هذا فلا معنى ولا وجه لقول بعض المسلمين، مماحسنت طويتهم إن الإسراء بالنبي ﷺ كان، بالروح لا بالجسد وفي

النوم لا في اليقظة مستدلين بقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلافتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾.

ووجه أستدلالهم بهذه الآية، ادعاؤهم أن الرؤيا بالقصر من غير (تاء) لاتكون إلا في النوم، فأما التي تكون (بالعين) في اليقظة فيقال فيها (رؤية) ويرد على ذلك من وجهين:

١- أما أولا: فقد استعمل العرب (الرؤيا) بالقصر في اليقظة ومنه قوله (الراعي) الشاعر يصف صيادا رأي قنيصته من الظباء، وكان واجما حزينا قبل ظهورها:

وكبر للرؤيا وهن فؤاده
وبشر قلبا كان جما بلابله

٢- وأما ثانيا: فإن الآية نفسها تشير إلى أن ذلك كان يقظة وعيانا، فإنها ذكرت أنها كانت فتنة للناس، وهذا هو الذي حدث فعلا، فقد ارتد قوم ممن كانوا أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، ولجوا في تكذيب النبي ﷺ، وليس من المعقول أن يكون ذلك التكذيب لأنه حدثهم أن رأى في منامه ذلك، أو شيئا منه، فإن كل واحد منا يصبح فيحدث بأنه رأى في منامه إنه صعد إلى السماء، أو قطع المسافات الشاسعة، أو رأى ما وراء البحار، فلا يكون ذلك مثار للعجب، ولا باعثا على تكذيبه، ثم إنهم استبعدوا على الرسول ﷺ ذلك، فما الذي استبعدوه ياترى؟!

دعاية الاستعمار والصهيونية

لقد كانت معجزة الإسراء والمعراج في العصر الحديث، قذى في عيون كثير من المتعصبين المغرضين في الأمم الغربية، وشجا في حلوقهم. وزعموا أنها أسطورة من أساطير الأولين، التي حفلت بها أقاصيص الشرق، ذات الخيال المجنح، ويجب أن ترد هذه القصة في زعمهم إلى مثل كتاب (ألف ليلة وليلة) والملك سيف بن ذي يزن.

إنهم يستبعدون على محمد ﷺ، أن ينتقل من المسجد الحرام بمكة، إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، فما بالك ومحمد قد عرج به إلى السموات العلا!

إن الدعاية التي تقوم بها الصهيونية العالمية قد اشتدت في هذه الأيام، ضد العرب والمسلمين، ولاسيما في هذه الظروف القاسية، كما يحدث ذلك في البوسنة والهرسك.

بينما يحترمون رجلا مفتريا مثل سليمان رشدي صاحب كتاب (آيات شيطانية) الذي يسخر فيه من رسول الله محمد ﷺ وزيادة في التحدي يستقبله بعض المسؤولين الغربيين في مكاتبهم!!

■ دحض العلم الحديث - فيما وصل إليه من وسائل الانتقال السريع - حجة من ينكر إسراء النبي ﷺ ومعراجه

فيا للسخرية.

الإسلام ورحلة الإنسان إلى القمر

وفي تلك اللحظات الحاسمة التي كانت تتطلع إليها العيون، وتخفق لها القلوب، ويضع الناس أيديهم على أفئدتهم، حينما انطلقت سفينة الفضاء (أبولو١١) صوب القمر تحمل أول إنسان يهبط على سطح القمر. خلال شهر يوليو عام ١٩٦٩م وكان الناس في شتى بقاع الأرض يبتهلون إلى الله أن تكلل هذه الرحلة بالنجاح وأن يعود الإنسان إلى الأرض سليما معافى.

في هذه اللحظة طالعتنا وكالات الأنباء العالمية بالبرقية التالية: (بدأ بعض الصحفيين المغرضين من خلال تغطيتهم لرحلة (أبوللو١١) حملة غريبة فزعموا أن الإسلام قد نص على الإنسان لايستطيع أن يضع قدمه على سطح القمر).

إن هذه الحملة المغرضة تستهدف إظهار المسلمين والعرب بمظهر التخلف ومناهضة العلم الحديث ويكفي في الرد على ذلك الادعاء، أن نذكر أمرين:

١- أولهما: أن الحديث عن غزو الفضاء واختراق أجواء السماء قد سبق اليه القرآن الكريم، منذ أربعة عشر قرنا. فتحدث عن إسراء النبي ﷺ، ومعراجه حديثا مجملا. وتكفلت السنة النبوية ببيانه وتفصيله وتأمل قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزله أخرى. عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وماطغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم:١٢-١٨].

وقوم يؤمنون بأن نبيهم قد جاوز الفضاء إلى السماء. وهي مسافات تقدر بآلاف السنين الضوئية، في حساب العلم الحديث لايستبعدون أبدا ولاينكرون أن يصل الإنسان إلى سطح القمر. وأن يقطع في ذلك مسافة تقدر بالأيام، وتحسب بالساعات. وتقاس بالأميال.

٢- وثانيهما أن القرآن، دعا الإنسان في آيات مفصلة إلى أن يرتفع عن الأرض، وأن يفكر في ملكوت السموات، وماخلق الله في الكون من عجائب ومأأودع فيه من أسرار، ويشير القرآن إلى أن الله سبحانه قد سخر للإنسان الشمس والقمر والنجوم والأفلاك والأجرام السماوية، والليل والنهار، والجبال والأنهار. فإذا استطاع الإنسان ان يصل بسلطان العلم إلى حقائق هذه المخلوقات، وأن ينفذ إليها ويتجول عليها فإنه بذلك يلبي دعوة الله الذي أمره بالنظر والتفكر في كل ما خلق الله، وتأمل قوله تعالى: ﴿يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا

الإسراء والمعراج معجزة تزكيها الحقائق العلمية

بسلطان﴾ [الرحمن:٣٣].

إن الجن والإنس ليس لهما ملجأ من الله إلا اليه. فإن استطاعوا أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض فلينفذوا. ولكن إلى أين؟ إنهم لاينفذون إلى أي قطر من أقطار السموات والأرض. إلا وهم واقعون تحت سلطان الله.

لماذا ينكرون؟

لماذا ينكرون إذن معجزة الإسراء والمعرج؟

إذا ركزنا البحث في قولهم: إن الاسراء والمعراج مستحيلان علما وعقلا، وبعيدان كل البعد عن حيز الإمكان. فإنني استسمح القارىء عذرا إذا كان ردنا على هؤلاء الناس ردا علميا. مع اعترافنا وتسليمنا بأن معجزات الأنبياء، ينبغي الإيمان بها والتسليم بوقائعها. وربما كان العلم الحديث لم يهتد إلى تفسيرها بعد. فإن الله سبحانه: ﴿على كل شيء قدير﴾. وهو الذي شق البحر لموسى وأحيا الموتى ليعسى، ونقل عرش بلقيس لسليمان في غمضة عين.

وإننا معاشر المسلمين نواجه أمما لاتؤمن إلا بالعلم المبني على البحث والتجربة، ويمقتون أكثر ما يمقتون التقليد الأعمى.

الإمام البيضاوي صاحب التفسير

يعتبر الامام البيضاوي من أبرز علماء المسلمين، الذين تصدوا لدراسات القرآن الكريم في ضوء العلم الحديث وهو ممن يؤيدون أن الأسراء والمعراج كانا معا بالروح والجسد وقد أراد أن يخرج هذا الرأي على أسلوب البحث العلمي وأنه من المكنات التي لاينكرها العلم واستمع إليه يقول في تفسيره:

والأكثر من آراء العلماء، أنه أسرى بجسده ﷺ، إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى. ولذلك تعجبت قريش واستحالوه. !

والاستحالة مدفوعة وقد برهن البيضاوي في كلامه بما نشرحه للقارىء فيما يلي: «إن الأجسام متساوية في قبول الأعراض. وهذا يعني أن الأجسام جميعها ترجع إلى أصل واحد وأن هذا الأصل قابل لجميع الأعراض التي تقبلها الأجسام بمعنى أن المادة التي شكل منها كائن ما. قابلة لأن يشكل منها كائن آخر مخالف له. مع اختلاف في نسب الأجزاء التي يتكون منها الكائن الواحد. فالعين مثلا هي من نفس المادة التي تخلّق منها الأنف، أو الكبد، أو القلب، أو الشعر، وكلها جميعا ترجع إلى ما عرف اليوم باسم الذّرّة أو ما كان يعرف قديما (بالجوهر الفرد) فمن كتل الذرات تتكون الأجسام ومن الاختلاف في بناء الذرات وترتيب أوضاعها تظهر الأجسام في صورها وأشكالها.

وهذا فهمه البيضاوي وقدره في قوله: (إن الأجسام متساوية في قبول الأعراض) ويعني بذلك أنه من الممكن أن يتحلل جسم الإنسان - مثلا - إلى ذرات فيصبح كائنا لطيفا غير مرئي. ثم يعاد تركيبة إلى وضعه الأصلي. فيكون جسدا كثيفا كما كان كل ذلك في لحظة خاطفة كلمح البصر أو هو أقرب دون ان يخرج الجسد عن سلطان الروح في حالتي تحليله وتركيبه.

وذلك هو الإعجاز أو المعجزة التي تظهر من انتقال النبي الكريم ﷺ بجسدة الشريفة إلى المسجد الأقصى. أو العروج به إلى السماء في طرفة عين.

وتعقيبا على ما ذكره البيضاوي نقول: إن الملاحظ أن جبريل عليه السلام، كان في صحبة النبي ﷺ في مسراه وانتقاله من المجسد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج معه إلى السماء حتى سدرة المنتهى حيث يقول الله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وماطغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم:١٣-١٨].

وقد ذكر الله سبحانه. إن الملائكة لهم قدرة خارقة على اجتياز الفضاء. واختراق أجواز السماء كما في قوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقدراه خمسين ألف سنة﴾ [المعارج:٤].

وهو إشارة إلى مدى هذا العلو لتلك المعارج التي يقوم عليها سلطان الله وأن الملائكة والروح أي جبريل تصعد هذه المعارج في يوم ولكن أي يوم هو؟ إنه يعدل خمسين ألف سنة من أزمان الدنيا. أي أن ما يقطعة الملك في عروجه إلى السماء في يوم واحد يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة بأقوى ما يمكن أن يتوصل به من وسائل: من صواريخ، ومركبات كوكبية. بل إن الحوادث قد أثبتت تلك السرعة الخارقة التي كان ينزل بها جبريل عليه السلام إذا اقتضى الموقف ذلك ما حدث في مقابلة النبي ﷺ لوفد نصارى نجران.

سأله كبير الأساقفة: يا محمد، موسى من أبوه؟ قال: «عمران»، قال: يعقوب؛ من أبوه؟ قال:«أسحق» قال: فأنت من أبوك؟ قال: «أبي عبدالله بن عبد المطلب» قال كبير الأساقفة: فعيسى من أبوه؟ فسكت رسول الله ﷺ، فنزل جبريل عليه السلام

■ ساهمت معجزة الإسراء والمعراج في فتح أفق التفكير أمام الإنسان ليعمل على اختراق المسافات والانتقال بين الكواكب

فقال: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران:٥٩]. فعندما تلاها رسول الله ﷺ وثب كبير الأساقفة ثم دير به فوقع مغشيا عليه!

تأييد من علماء الغرب

ذكرت وكالات الأنباء العالمية: يتنبأ اليوم (وليم لير) رئيس مجلس إحدى الشركات الصناعية الدقيقة لأجهزة الطائرات، بأنه سيأتي اليوم الذي يستطيع فيه الإنسان أن يسافر عن طريق تحويله إلى ذرات وإرسالها بطريقة الكترونية.

وأشار (لير) إلى أن العلماء يعرفون اليوم ان المادة تتكون من ذبذبات يمكن أن ترسل عن طريق الأمواج الالكترونية كالصوت والصورة في الإذاعة والتلفاز، ومن ثم فإن الجسم البشري الذي يدخل في نطاق المادة يمكن أن ينقسم إلى ذبذبات تنقل بطريقة الكترونية إلى أي مكان، وسيتم السفر بهذه الطريقة خلال ثوان معدودات.

التلبيثي والجلاء البصري

أما قوله ﷺ: «فرفع لي بيت المقدس» أو «فجلى الله لي بيت المقدس» فهي ظاهرة علمية تعرف الأولى بالتلبيثي وتعرف الثانية بالجلاء البصري فما هو التلبيثي؟

إنه كلمة مكونة من مقطعين (تلي) ومعناها بعد (وبثي) ومعناها إدراك أو شعور أي (الشعور عن بعد) ويراد بها حالة نفسية يمتاز بها بعض الناس فيدرك الواحد منهم ما يفكر فيه الآخر من غير كلام أو اشارة وتعليل ذلك كما يقول السيروليم كروكس العالم الطبيعي المشهور:

إننا نعيش في عالم كله اهتزازات فالصوت اهتزاز في الهواء والحرارة والنور والكهرباء اهتزاز في الأثير وجواهر المادة لاتنفك عن الاهتزازات، فلاعجب إذا كانت الأدمغة تهتز اهتزازاً خاصا بها ويشعر بعضها باهتزاز البعض الآخر، وقد يكون ذلك أسرع من اهتزاز الضوء.

أما (الجلاء البصري) فهو قدرة الإنسان على الرؤية، بشكل مخالف العرف، وبدون استعمال الحواس العادية فيخترق بصره الحجب المعتمه ويرى ما وراءها متحديا حدود الفضاء والزمان.

وحينما توفى النجاشي ملك الحبشة – تقول الروايات الصحيحة إنه قد اسلم – قام رسول الله ﷺ وهو في المدينة يصلى على نعش النجاشي وهو في الحبشة فعن طريق الجلاء البصري تراءى للنبي ﷺ جثمان النجاشي، فصلى عليه، وأمر أصحابه بالصلاة خلفه ومن هنا، أجاز العلماء الصلاة على الغائب.

■أجاب الإمام البيضاوي - منذ مئات السنين - بشكل علمي وموضوعي على تساؤلات المشككين والمستنكرين لانتقال النبي ﷺ جسدا وروحا في الإسراء والمعراج

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ نعى إليهم النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وقال: «مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا عى اخيكم». ويقول جابر: إن النبي ﷺ النجاشي قام فصفنا وراءه، وكنت في الصف الثاني والثالث فكبر أربعا.

ياسارية الجبل الجبل

وقصة سارية بن زنيم مشهورة لدى المؤرخين. وقد أوردها أبو الفداء في كتابه (البداية والنهاية) وافرد لها صفحات يذكر فيها أكثر من رواية.

وسارية بن زنيم كان قائدا من قواد المسلمين – على عهد عمر – فقصد مدينة (دارابجرد) فاجتمع له جموع من الفرس والأكراد عظيمة، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم وجمع كثير.

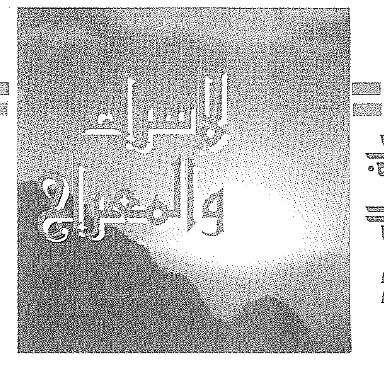
ونترك الدميري في كتابه (حياة الحيوان) لتكلمة القصة عند شرحه المثل المعروف (من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم)، حيث يقول:

(أول من قال هذا المثل أكثم بن صيفي، وقال عمر بن الخطاب في قصته مع سارية، وذلك أن عمراً كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة فقال في خطبته: (ياسارية الجبل الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم)، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ولم يفهموا مراد أمير المؤمنين، فلما قضى صلاته قال له علي بن أبي طالب: ما هذا الذي قلته؟ قال عمر: أسمعته؟ قال: نعم؛ أنا وكل من بالمسجد. قال عمر: لقد وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم، وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا اليه قاتلوا وظفروا. وإن جاوزوا الجبل هلكوا. فخرج مني هذا الكلام. وإن له جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم.

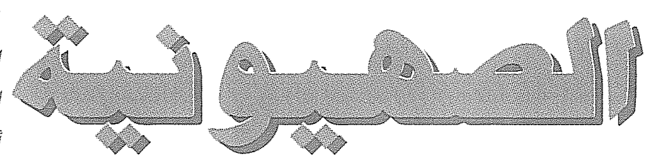
ثم جاء البشير بالفتح بعد شهر إلى المدينة فذكر انهم سمعوا في ذلك اليوم وفي تلك الساعة صوتا يشبه صوت عمر أمير المؤمنين يقول: (ياسارية الجبل الجبل) فعدلوا إليه ففتح الله عليهم).

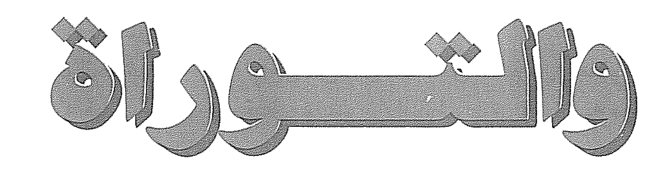
وقد نقل هذه القصة صاحب كتاب (تهذيب الأسماء واللغات) كما ذكره ابن سعد في (الطبقات) ورواه أيضا صاحب كتاب (أسد الغابة في أخبار الصحابة).

إن هذه الكتب كلها تشير بوضوح إلى ظاهرة الجلاء البصري أو إلى ظاهرة التلبيثي وقد يسميها المتصوفون بالكشف وعمر بن الخطاب هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في حديث له: «قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس مُحدَّثون، فإن يكُ في أمتي أحدٌ منهم، فهو عمر بن الخطاب» [رواه البخاري]□



■لا يصح حصر ذرية إبراهيم ونسله بأبناء إسحق وحدهم، فأبناء إسماعيل من المسلمين والنصارى أيضا مشمولون بالوعود الإلهية





تهدف هذه الدراسة إلى دحض ادعاءات الصهيونية التي تقول: إن تأسيس دولة يهودية في فلسطين هو تنفيذ لنصوص التوراة. وقد يتراءى لقارىء سطحي أن وعدا إلهيا صدر قبل أربعة آلاف سنة وكرر مرارا بإعطاء أرض لشعب معين، يجعل ذلك الشعب مالكا لتلك البلاد باسم الحق المقدس.

فإذا كان هذا هو سند اليهود في فلسطين فمن الواجب تفنيده تفنيدا دقيقاً. لذلك أرى بحث بعض النصوص المعروفة لدى اليهود المتدينين والتي كان لها أثرها العميق في كثير من الجماعات المسيحية لا سيما في أمريكا.

■اعتماد اليهود والمتصهينين الغربيين على وعود التوراة بتمليك الأرض الممتدة من الفرات إلى النيل

إعداد: محمد عبد الرحمن السحرتي (*)

والنقاط التي ستتطرق إليها هذه الدراسة هي: أولا: لمن منحت هذه الوعود؟

ثانياً: ما حدود الأرض الموعودة؟

ثالثا: هل كان الوعد مطلقا بدون قيد ولا شرط أم بقيد وشروط؟

لمن منحت الوعود المزعومة

كان أول وعد بإعطاء فلسطين لذرية إبراهيم قرب نابلس: (وظهر الرب لإبراهيم وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له) [تكوين / إصحاح ١٢-٧].

وبينما كان إبراهيم واقفاً على تل (بتل) قال له الرب: (ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوباً وشرقا وغرباً لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كثيرا كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد. ثم امشي في الأرض طولا وعرضا لأني لك أعطيها) [تكوين١٣: ١٤-١٧].

وثمة عبارة أخرى وردت في [التكوين١٥: ١٨]: (لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)، وكررت هذه الوعود لإسحق ويعقوب: (الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض. وها أنا معك وأحفظك. تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به) [تكوين ٢٨: ١٣-١٥]، ولما عقد إبراهيم عهد الختان مع الرب وعد بكل أرض كنعان (ملكا أبديا) له [تكوين ١٧: ٨].

ويمكننا اقتباس نصوص أخرى. إلا أن ما أوردناه هو صورة واضحة لهذه الوعود. وليست هناك نصوص ذات أهمية عدا ما ذكرناه. والاعتقاد الشائع أن هذه الوعود قطعت لليهود دون سواهم، ولكن ليس ذلك ما تقول به التوراة. فإن كلمة (لذريتك) تشمل العرب أيضاً من مسلمين ومسيحيين من ذرية إبراهيم من أبناء إسماعيل، ونحن هنا لا نعرض للرواية الإسلامية القائلة بأن إبراهيم عليه السلام نزل بمكة وترك إسماعيل فيها.

لقد اشتهر إسماعيل بانتساب عدد كبير من القبائل العربية إليه. وسفر التكوين يذكر أن كثيراً من القبائل العربية الشمالية تنتسب إلى إبراهيم عن طريق ابنه إسماعيل. ولا يمكن القول بأن كلمات سفر [التكوين ٢١: ١٠-١٢] فسخت حق أبناء إسماعيل بالوراثة: (ورأت سارة ابن هاجر المصرية التي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابن اسحق. فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم بسبب ابنه فقال الله لابراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل جاريتك. في كل ما تقول سارة اسمع لقولها لأنه بإسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك).

ومنذ ذلك الزمن صار اعتقاد أبناء اسحق أن ذرية إبراهيم يعني الإسرائيليين فقط. ولكنها ما كانت كذلك منذ البدا ية. بل إن لأبناء إسماعيل كل الحق بأن يسموا ويعتبروا أنفسهم ذرية إبراهيم. يضاف إلى هذا الختان الذي عقد عليه العهد كان ختان إسماعيل ولم يكن إسحق قد ولد بعد.

نرى مما مر ان الوعد المقدس الذي أعطي لأبناء إبراهيم يشمل بالضرورة ذرية إسماعيل، إلا أنه في عهد إسحاق ويعقوب ضاق معناه بحيث شمل نسلهم فقط دون أن يحرم إخوانهم أبناء إسماعيل بشكل صريح. ومن المعروف أن كثيراً من العرب صحبوا موسى ويوشع إلى فلسطين التي كانت محتلة احتلالا جزئياً. ثم إن كثيرا من الفضل في نجاح موسى يعزى إلى (جزو) صهر موسى من أهل مدين، وهو رجل عربي بلا نزاع.

الأرض الموعودة

ومسألة الأرض الموعودة مسألة ليس من الهيّن تحديدها. إذ يبدأ الوعد المشار إليه آنفا بإشارة غامضة إلى (هذه الأرض) كما سبق أن أوردناه. وتبدأ هذه الأرض من نابلس لتشمل كل الأراضي الممتدة بين مصر والفرات. والنص الثالث يتكلم عن انتشار أولاد إبراهيم في جهات الأرض

الأربعة. ومن المهم أن نوضح أن هذا الوعد بالأراضي الممتدة بين النيل والفرات أعطي قبل مولد كل من إسماعيل وإسحاق. وهذا يعني أنه يجب ألا تكون خالصة للإسرائيليين من دون الناس. وإذا استثنينا الفترة القصيرة التي اعترف فيها بسيطرة سليمان؛ عليه السلام؛ فإن هذه الأرض كانت دواما ملكا للعرب.

ولنراجع سفر [التكوين ١٣: ١٥] ليتضح لنا أن شرق الأردن أدخلت في الوعود المعطاة لإبراهيم، لأنها كانت ترى بسهولة من تلال ثبل. إلا أن هذا الوعد أعطي أيضاً قبل مولد إسماعيل وإسحاق، ولذا فإنه لا يحتم إعطاء الإسرائيليين الضفة الأخرى من الأردن.

إلا أن موسى أخبر شعبه بأن الله أمرهم بامتلاك البلاد من البحر المتوسط غربا إلى الفرات شرقا، ومن النقب جنوبا إلى لبنان شمالا. إلا أن الإسرائيليين لم يستطيعوا تنفيذ هذه الأوامر ولم يتمكنوا من احتلال الشاطىء الذي كان يحتله الفلسطينيون، ولم يطأوا أرض فينيقيا الداخلية ولا ساحلها. وبعد قرون – وتحت حكم داود – ملكوا دمشق، وعقد داود معاهدة صداقة مع حيرام ملك صور. ولما أقام سليمان الاحتفال الكبير ببناء الهيكل جاءته وفود من أقصى الشمال حتى حماة، ومن الجنوب حتى العريش. ولكن قبل انتهاء حكم سليمان عادت أغلب أراضي إمبراطورية داود إلى أصحابها الأصليين، ويعلم الجميع أن عملية التقلص هذه استمرت حتى لم يبق من مملكة سليمان إلا بضع مئات من الأميال المربعة حول القدس استولى عليها البابليون عام ٥٩٧ ق.م.

مدلول كلمة (أولام)

ويلاحظ في النص الأول ورود كلمتي (إلى الأبد) وكلمة (الدائم) للدلالة على وصف مستقبل احتلال اليهود لفلسطين، إلا أن هذه الكلمات ليست الترجمة الصحيحة لكلمة (أولام) العبرية، إذ هي تعني زمنا طويلا، كما تحمل معنى القدم. فكلمة (إلى الأبد) قد لا تعني في هذا المجال أكثر مما نعنيه بقولنا: سأغني إلى الأبد، ولا يعقل أن يفهم من هذا التعبير المعنى الحرفي للكلمة.

من مجموع الأدلة السالفة، يجد الإنسان نفسه مضطراً إلى الاعتقاد أن أرض فلسطين لم تعط لليهود فقط، وأن (هذه الأرض) مبهمة شملت، أرض الأردن وسوريا ولبنان ممتدة حتى نهر الفرات. وأخيراً نرى أنه لم يصدر وعد مطلق غير مشروط بملكية أبدية، أو حتى ملكية تنسحب لأمد طويل.

وهكذا نصل إلى مرحلة من التاريخ والنبوة لها أثرها على ما انتشر من سوء الفهم الذي أحدثته النبوءات العبرية. فإنه حتى لو لم يكن لدينا نصوص نبوية تهدينا إلى الحق لكان من البين أن وعود امتلاك أرض كنعان لم تكن مطلقة دون قيد أو شرط، ذلك أن الله عاهد بني إسرائيل على الإخلاص في العبادة، وعلى التعاون فيما بينهم واتباع الحق. وأنذرهم إن فسقوا عن أمره أن ينتظروا مصيرا رهيبا محتوما.

الانتقام الإلهي

ويتضح لنا من كلمات موسى أن هذه النذرة تحققت فيما لاقاه اليهود من شدائد وأهوال في السنين القليلة الماضية، [التثنية: ٢٨]:

(ولكن إن لم نسمع لصوت الرب إلهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها تأتي عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك، ملعونا تكون في المدينة، وملعونا تكون في الحقل.. ويجعلك الرب منهزما أمام أعدائك، وتكون قلقا في جميع ممالك الأرض.. وتكون دهشا ومثلا وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم.. فتكون فيك آية وأعجوبة وفي نسلك إلى الأبد. فيجعل نير حديد في عنقك وتبقون نفرا قليلا عوض ما كنتم كنجوم السماء في الكثرة، لأنك لم تسمع لصوت الرب الهك. وكما فرح البر ليحسن إليكم ويكثركم، كذلك يفرح الرب لينفيكم ويهلككم. فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها فتملكها ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك، بل يعطيك الرب هناك قلبا مرتجفا، وكلال العين، وذبول النفس، وتكون حياتك معلقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً، ولا تأمن على حياتك).

من هذا يتضح بجلاء أن الوعود الإلهية قد نسخها شعور قومي صابئ خارج عن كل دين، ولقد رأى الأنبياء في أسر الأشوريين لأهل سماريا، والبابليين لأهل جودا، مظهراً من مظاهر انتقام العدالة الإلهية من شعب عاص أناني.

اختلاط الحلم والشعر والأمل

ولكن اليهود لقنوا قومهم أن بقية منهم ستعود. وتعيد بناء الهيكل وتقيم الشعائر الدينية. كما تطلعوا إلى زمن يستضيء فيه العالم بمعرفة الله. ولكننا نتناسى أن هؤلاء الرجال كانوا شعراء ملهمين خلطوا المشاكل العملية كالعودة من الأسر بصورة روحية تمثل الصحراء المتوهجة وكأنها الزهر المتفتح، والأسد الهصور وقد رقد بجوار الحمل الوديع، والرجال الأشداء وقد هجروا سيوفهم البتارة ونسوا الحرب إلى الأبد، هؤلاء الرجال هم الذين تنبأوا بإحياء مملكة داود.

لقد تحقق لسوء الحظ الشطر العملي وبقي المثالي مثاليا. وبما أن ما سعى إليه رجال الدين لم يتحقق حينما تمت عودة اليهود الأولى. لذا نشأ ميل في العصور الخالية لا لتطبق النبوات الدينية والأخلاقية والمثالية فحسب، بل لتطبق مستقبلا تلك النبوءات السياسية والعملية التي تحققت فعلاً في الماضي.

وبما أن نبوءات العهد القديم تتركز في شعب بني إسرائيل وعلاقته بالله. لذا فإن العصر الذهبي المثالي أوثق ارتباط بالمدينة المقدسة التي يسكنها شعب الله المختار، ويظهر أن البعض يأمل أنه لو عاد اليهود إلى فلسطين وأسسوا فيها دولة يهودية فإن معجزة العهد الذهبي في الأرض ستحقق.

ومثل هذه الآراء ما هي إلا تحريف لنبوءات العهد القديم التي قالت بعودة اليهود من الأسر البابلي، ومن البلاد التي نفوا إليها وقتئذ. ولقد تحققت هذه النبوءات فعلا وعاد اليهود إلى يهوذا وأعادوا بناء جدران أورشليم، وأعادوا بناء الهيكل. وبعد أن مرت عليهم ظروف متقلبة استطاعوا أن يحيوا زمنا وجيزا حازوا فيه استقلالا سياسيا وتوسعا تحت حكم المكابيين. وهكذا تحققت فعلا النبوءات والوعود المذكورة ولا يمكن بحال أن تحقق مرة ثانية. كما لا يوجد في التوراة نبوءة عن عود ثانية بعد العودة من الأسر البابلي، وذلك راجع إلى:

أ) إن أكثر اليهود الذين أرادوا العودة من الأسر عادوا إلى البلاد المقدسة – بالرغم من أن عددا كبيرا منهم فضل البقاء حيث كان – وأسسوا ما أصبح بحق العمود الفقري للكنيسة المسيحية.

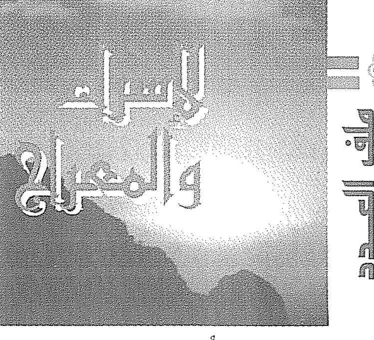
ب) إن آخر الأنبياء توفي قبل هدم القدس عام ٧٠م ببضعة قرون.

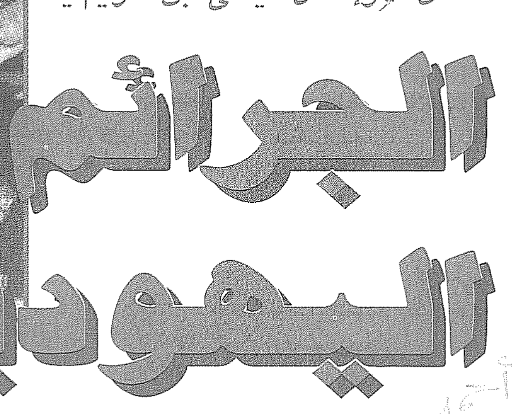
يمكننا إذن أن ننقد النبوءات المقدسة التي تقول بأحقية سيطرة اليهود على فلسطين من ناحية نصوص العهد القديم، وأن هذا النقد أهمل لغاية مقصودة. فلنترك التوراة تفصح عن نفسها بنفسها. كما يمكن التدليل بالعهد الجديد على أن الكنيسة الراهنة تتبع إله إسرائيل.

هذه دراسة قصيرة فما هي إلا تدقيق مقتضب لبعض ما ينص عليه العهد القديم عن مشاكل أقحمت بها المصادر العليا□

هوامش:

(*) أصل المقال دراسة بقلم: بروفسور جليوم، أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة لندن، وأستاذ اللغات الشرقية بجامعة درهام سابقا. ومؤلف عدة كتب عن العهد القديم والدراسات الإسلامية.







قال تعالى: ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسَى ابن مريم ذلك بما عصَوْا وكانوا يعتدون﴾ [المائدة:٧٨].

أردت بهذه الكلمات أن أقلب صفحة من صفحات غدر اليهود، وخيانتهم منذ أن علموا برسالة محمد ﷺ على لسان عيسى ابن مريم المنصوص عليها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وإذْ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ [الصف:٦].

وإن كنت لا أحصى كم مرة غدر اليهود بالمسلمين، وكم مرة خانوا العهود، كم مرة دبروا المكائد، وأبادوا قرى بأكملها وقتلوا الأطفال والنساء.

ومنذ أن بشر عيسى عليه السلام برسالة محمد ﷺ، كان اليهود يظنون أن هذه الرسالة ستكون لهم، وأن النبي المنتظر الذي بُشِّر به سيكون منهم، ولما علموا أنه من قريش، وليس منهم دبروا له ولرسالته، وترصدوا له كل باب، ومن يومها واليهود تمكث في قلوبهم العداوة والبغضاء للمسلمين.

قال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتُفسِدنّ في الأرض مرتين ولتعلُنّ علوا كبيرا. فإذا جاء وعد أُولاهُما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾ [الإسراء:٤ و٥].

بقلم: إبراهيم محمد عجمي البهلول

استعداد فطري للانحراف

والذي يدل على استعداد القوم الفطري للانحراف، هو أنه يجيء النص الصريح في التوراة على انحرافهم مستقبلاً مرتين، كل مرة ينتقم الله منهم دون أن يكونوا قادرين وقتا من الأوقات على الانتفاع من هذه الدروس القاسية التي يتلقونها. ومهما يكن الحال، فإن التعبير قوي وغير عادي، وهو قادر على الإيحاء بأن إفساد بني إسرائيل في الأرض يفوق كل وصف، وليس بنص الآية الكريمة لمرة واحدة كي يقال إنهم أخطأوا مرة ثم تابوا بعد ذلك توبة نصوحا، إنما إفسادهم في الأرض بنص الآية الكريمة لمرتين.

وكما تنص الآية الأخيرة فإن القوم سيفسدون في الأرض كل مرة يتاح لهم فيها أن يفسدوا، وسينتقم الله منهم شر انتقام. ثم يحذرهم المولى جل وعلا بعد أن عرفهم أن جزاء الفساد عقابهم بأشد منه. فيقول سبحانه وتعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ [الإسراء:٨].

(فإذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء حاضر، والسنة ماضية: ﴿وإن عدتم عدنا﴾. ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة العربية كلها. حتى كان العصر الحديث، فسلط عليهم «هتلر» في الحرب العالمية الثانية، الذي كان ينوي قتل كل اليهود وإبادتهم من الأرض.

وإن كان اليهود عادوا اليوم في صورة إسرائيل، وازدادوا عددا وأرادوا أن يذيقوا العرب

وأصحاب الأرض الويلات، فليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقا لوعد الله القاطع، وفاقا لسنته التي لا تتخلف، وإن غدا لناظره قريب) [ظلال القرآن لسيد قطب].

عداوة قديمة

وعداوة اليهود لكافة الشعوب عامة، وللعرب والمسلمين خاصة، ليست حديثة، ولكنها قديمة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فهذه صفية زوج النبي ﷺ تشهد لعداوة اليهود له ﷺ وللمسلمين، تلك العداوة المتمثلة في أبيها اليهودي حيي بن أخطب، وعمها أبي ياسر ابن أخطب، كذلك قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي، حيي بن أخطب، بعد أن قَدِمَ الرسول ﷺ المدينة المنورة، ونزل بقباء، ورآه كل من حيي وأبي ياسر - أهو هو؟ قال: نعم والله؛ قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله، ما بَقيتُ». [سيرة ابن هشام، ج١، ص٥١٩].

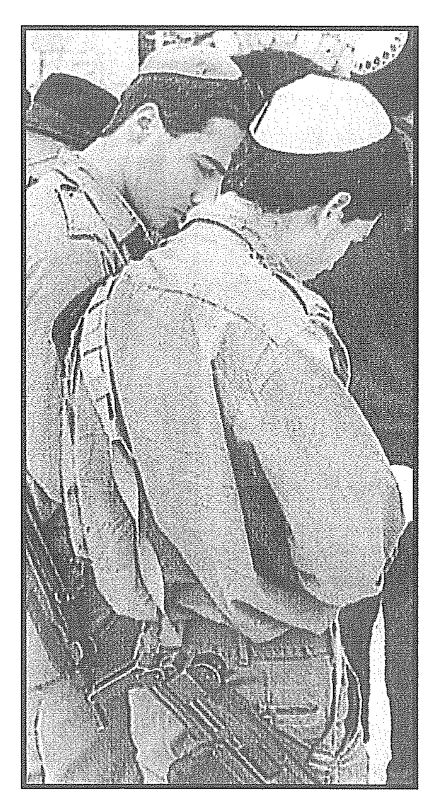
فلقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار «الأوس والخزرج»، عقب هجرته من مكة إلى المدينة، ودعا اليهود في يثرب «المدينة»، وأبرم معهم عهدا يتضمن إقرارهم بدين الإسلام، وبرسالته ﷺ، وأن يدافع عنهم مقابل أن يدفعوا الجزية، وشرط لهم واشترط عليهم، ولكنه مر معهم بتجارب مريرة وقاسية، فقد خانوا العهد ونقضوا الوعد.. فهؤلاء يهود بن قينقاع أول يهود نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ في بدر وأحد، وهذه واحدة من إمرهم وعداوتهم الدنيئة للمسلمين:

(كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ فجعلوا يريدونها على كشف وجهها أو عورتها، فأبت. فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب اليهود، وغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم). [السيرة النبوية ج٢ ص ٤٨].

وسرعان ما تعرف العرب وأدركوا تماماً المطامع اليهودية وعلى ما يتصفون به من اللؤم والغدر والخداع.. فمرة يدب بينهم الخلاف، الذي يؤدي إلى إشعال الحرب، ويحاربهم الرسول ﷺ والمسلمون، وهذا ما ظهر جليا في حصون بني قريظة بعد أن حوصروا خمسا وعشرين ليلة بعدها صاروا يخربون بيوتهم بأيديهم، وأيدي المؤمنين، ومرة يطلبون التحكيم لسعد بن معاذ، فحكم بقتل الرجال وسبي النساء، وتقسيم الأموال، وقتل منهم إذ ذاك ما يقرب من السبعمائة، وطلبوا من الرسول حقن الدماء فأجابهم إلى طلبهم وصاهرهم، ومع هذا أرادوا قتله، ولم يكفوا عن تدبير المكائد، فأهدوه شاة مسمومة.

بعد هذا لم تعد لليهود شوكة في أرض المسلمين، وظلوا على هذا العهد، عهد الرسول ﷺ، وفي عهد أبي بكر، وعمر بن الخطاب علم أن رسول الله ﷺ قال في فراش موته: «لا يبقين دينان بأرض العرب» [رواه مالك وأحمد]، فأجلى من ليس له عهد مع رسول الله ﷺ.

■تعود جرائم الإسرائيليين إلى معتقداتهم العنصرية التي لا ترى غيرهم بشراً يستحقون التكريم



أخطر وثيقة ضد الإنسان

تدين اليهود بما في الكتاب المقدس فمن هذه: التوراة بمعناها البشارة، أو التشريع، وتطلق على الأسفار الخمسة الأولى: تكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية، ومنه أيضاً الأنبياء والكتابات والأشعار.

والتلمود: المصدر الثاني للتشريع اليهودي، وحين يقرأ المرء في هذا الكتاب وينظر في قضايا المعتقدات اليهودية ويتعرف على اليهود جيداً، يقف على حقيقة مذهلة وهي: «بعض أقوال التلمود مغال فيها، وبعضها كريه، والبعض الآخر كفر، فه يتشكل في سورتها المخلوطة أثراً غير عادي للجهد الإنساني وللعقل والحماقة الإنسانية». فالتلمود عامة، يعد أخطر وثيقة ضد كرامة الإنسان وآدميته وإنسانيته، إذ يدعو إلى تحطيم كل العقائد والأديان والقيم والحضارات، لإقامة مجتمع صهيوني يسيطر على كل دول العالم، وبكل الوسائل الممكنة: كالغش والسلب والخداع والكذب والغدر والخيانة، وفوق ذلك كله يستبيح التلمود دماء وأموال الأجناس الأخرى غير اليهودية، ويعدّهم في منزلة الحيوانات، ويظهر اليهودي في شكل الحمل الوديع تقية وخداعا، ثم ليعتقد ما شاء وهذا قولهم: «إن الإنسان مهما كان شريرا في الباطن وأصلح ظواهره فهو مخلص».

ويقول التلمود: «لليهودي الحق في قتل أو استبعاد من شاء من البشر الآخرين». «إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للآدمي ماله المفقود»، و«غير مصرح أن يقرض الأجنبي إلا بربا».

وإتيان زوجات الأجانب جائز، لأن المرأة غير الإسرائيلية بهيمة ولا عقل معها، «أي مع البهائم»، ومصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي، ويحلف له أيمانا كاذبة.

والوصية الجامعة التي جاءت في التلمود: «اهدم كل قائم، لوث كل طاهر، احرق كل أخضر.. كي تنفع يهودي بفلس. اقتلوا جميع من في الأرض والمدن من رجل وامرأة، وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف».

وإلى اليوم يتمسك اليهود بهذه التعاليم بل ينفذونها، ويتقنون تطبيقها، والحياة اليهودية اليوم مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية فطقوسهم، وكتبهم وصلاتهم واحتفالاتهم، وقوانين زواجهم، كلها مستخرجة من التلمود.

متى تنقضي المأساة؟

إن المسلمين اليوم يعانون كثيراً، فمتى

الجرائم اليهودية قديما وحديثا

تنقضي مآسيهم، وتتآخى شعوبهم.. ويسود فيما بينهم روح المودة والأخوة؟ ويصدق فيهم قوله تعالى: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف:١٨١].

والمتتبع للأحوال التي يعبق فيها العالم اليوم، يرى أنه كلما اجتمع العرب عامة والمسلمون خاصة في أي مناسبة من المناسبات تشير إلى تقارب وجهات النظر فيما بينهم وأحس بذلك اليهود متمثلين في صورة إسرائيل، تسرع بتدبير المكائد، وتدمير المنشآت، وهدم الأخلاق، وقتل الأطفال، وإثارة الذعر في نفوس ضعفاء الدين: «فهذه حرب يونيو ١٩٦٧م، وذبح أربعة آلاف فلسطيني في صابرا وشاتيلا (سبتمبر ١٩٨٢م)، ثم الاعتداء الغاشم على مقر المنظمة الفلسطينية في تونس (سبتمبر ١٩٨٥م) ومثل ذلك كثير.

نوايا الصهيونية الدنيئة

والأمر الغريب والعجيب أن الذي يعيش ولو بعض الوقت في بلد أوروبي أو شرقي، يوجّه إليه هذا السؤال: لماذا لا تتركون الشعب الإسرائيلي يعيش في سلام وحدود آمنة؟

هكذا استطاعت الدعاة الصهيونية أن تجعل من الظالم مظلوماً، ومن المظلوم ظالماً، وهكذا تظاهرت إسرائيل في الأوساط العالمية قبل قيامها بأي ضربة انتقامية.

سئل بن غريون عام ١٩٥٧م، عن عودة قسم من الفلسطينيين العرب إلى أراضيهم. أجاب: إن عقارب الساعة لن تعود إلى الوراء».

يعتقد اليهود أن ملك فلسطين حق مشروع لهم، حيث وعد الله به ذرية إبراهيم عليه السلام في التوراة: «واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر فيه له».

والذي يستخلص من هذا النص: «أن أرض الكنعانيين – وهي فلسطين – وعد بها الرب ذرية إبراهيم، وهم إسحاق ونسله»، وجاء الوعد هذا في أكثر من موضع في المزامير، ومن ذلك: «لأن الله يخلص صهيون، وبنى مدن يهوذا، فيسكنون هناك ويرثونها، ونسل عبده يملكونها، ويحيوا اسمه، ويسكنون فيها».

ونكتفي بالرد على ما جاء في التوراة بالآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة:١٢٤].

كرامتنا فوق كل شيء

لا شك أن المسلمين فيما لو انصرفوا عن القرآن الكريم، واتباع سنة رسول الله ﷺ، ولم يطبقوا لشرع الله، فسوف يكون عقاب الله لهم شديدا، وانتقامه كبيراً، أما إذا طبقوا دين الله، وما هو مكتوب في القرآن الكريم، ونزل به الرسول الكريم محمد ﷺ حقق الله وعده: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور:٥٥].

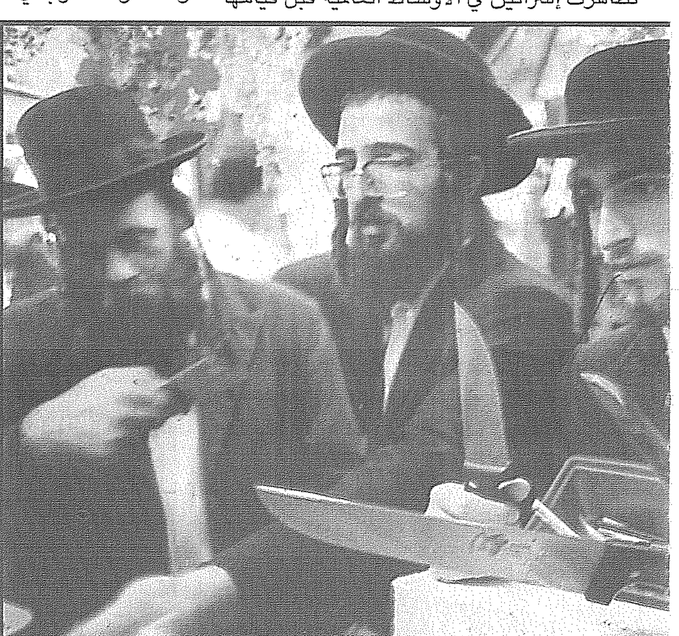
فيا أجيال العرب، ويا من لا تعرفون تاريخ اليهود قديماً، وما يخبئه لنا القدر حديثاً، يجب أن تعلموا أن أمة محمد ﷺ لها الكرامة على سائر الأمم، ولو دافعنا عن حقوقنا المدونة لنا في القرآن الكريم، وتمسكنا بديننا لكتب الله لنا الخلود المصحوب بالكرامة. لقد بقيت الأمة الإسلامية رغم المحن والأزمات وتقلّب الحكام والثورات، بحمد الله حافظة لكتاب الله محفوفة بعناية.

ويا شباب الإسلام يجب أن نقف على أنه لو تعرضت أية أمة لما تعرضت له أمتكم الإسلامية من كيد وبطش، وغدر يهودي وجرائم وحشية، وهي تعيش في وكرها الهادي، لو تعرضت أية أمة غير الأمة الإسلامية لمثل هذا، لما كان لها أثر الآن في الوجود.

ويا حكام الشعوب الإسلامية والعربية، على السواء انتبهوا، وتناسوا خلافاتكم الشخصية، وطبقوا شرع الله فيما بينكم، حتى تعود الهيبة للعرب، والقوة العظمى التي ورثناها زمن الفتوحات الإسلامية عن سيدنا رسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدين من بعده، رضوان الله عليهم، إنها أمانة على أكتافنا نحن المسلمين يجب أن نجيد حملها. ومثال ذلك:

حج الرشيد عاما فلقيه عبد الله العمري الطواف.. فقال: يا هارون. قال: لبيك يا عم. قال: كم ترون هنا من الخلق – لا يحصيهم إلا الله – قال: أعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت يا هارون تسأل عنهم كلهم، فانظر كيف تكون؟ فبكى الرشيد وجلس، فجعلوا يعطونه منديلاً منديلا للدموع.. ثم قال له: إن الرجل ليسرف في مال نفسه يستحق الحجر عليه، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين؟

ويا أمة الإسلام، إن كنت تبدين اليوم شبه مفككة، ولكن يقيني بالله أولا وبما تضمرينه في أفكارهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران ١٠٣] ■



■ ساهمت خرافات التلمود وعقد الحاخامات في شحن نفوس اليهود ضد الأمم الأخرى

بين قتال الأنبياء وحروب الطغاة

قاتل الأنبياء لتكون كلمة الله هي العليا، وقاتل الطغاة من أجل مجدهم الذاتي

قبل بيعة العقبة لم يؤذن لرسول الله ﷺ في الحرب، إنما أمر بالدعوة والصبر والتحمل، ومواجهة المناوئين الجاهلين بالصفح، استمر الأمر كذلك عشرة أعوام، ومع هذا فقد ظلت قريش على طغيانها تفتن المؤمنين عن دينهم، وتخرجهم من أرضهم وتسلط عليهم ألوان الايذاء، حتى أذن الله لرسوله في القتال فنزل قوله تعالى: ﴿أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ إلى قوله: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ [الحج:٣٩-٤١]. ثم نزل قوله سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال:٣٩]. وهكذا أباح الله لرسوله ولجند الحق أن يقاتلوا أعداء الحق الذين آذوا المؤمنين وحاولوا أن يفتنوهم عن دينهم، بل حاولوا قتل النبي ﷺ كما حاولوا قتل المبايعين في العقبة الثانية.

فكان القتال من طرف المؤمنين عملية دفع للباطل وتثبيت الحق، ومنعاً للفتنة وإزالة للحواجز التي تقف في وجه الدعوة. لأجل هذا شرع القتال فالحق لابد له من رجال ومن قوة تحميه وتدافع عنه.

ولقد قيل ما قيل عن قتال الأنبياء.. تساءل البعض، واعترض البعض، ويكفي هنا أن نردد ما

بقلم:
اسماعيل الخطيب

قـالـه أمير الشعـراء أحمد شوقي:

قالوا: غَزَوْتَ ورسْل الله مابعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفواً كل ذي حسب
تكفل السيف بالجهال والعَمَم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم

إن كلمات الغـزو، القتـال، الحرب.. كلمات مفزعة مرهبة، لكن شتـان بين قتال يقـوده الانبيـاء أو يسير على نهج الرسل، وحـروب يشنهـا الطامعون الطغاة.

إن الأنبياء قاتلـوا وقتلـوا: ﴿وكأين من نبي قـاتل معـه ربيـون كثير﴾ [آل عمران:١٤٦] وهـذا الكتـاب الحكيم يدعـو للقتال في سبيل الله: ﴿وقـاتلوا في سبيـل الله واعلموا أن اللـه سميع عليم﴾ [البقرة:٢٤٤].

والقتـال في سبيل اللـه هـو القتـال لإعـلاء كلمتـه وتأمين دينه، ونشر دعوته والدفاع عن أنصاره كي لايغلبوا على حقهم ولايصدوا عن إظهـار أمرهم، فهو أعم من القتال لأجل الدين لأنـه يشمل مع الـدفـاع عن الدين وحمايـة دعوته الـدفاع عن الحوزة اذا هـمَّ الطـامع المهاجم بـاغتصاب بـلادنـا والتمتع بخيرات أرضنا أو أراد العدو الباغي اذلالنا والعدوان على استقـلالنـا، ولـو لم يكن لأجل فتنتنـا في ديننـا، فهـذا الأمر مطلق كأنه أمر لنـا بأن نتحلى بحلية الشجـاعـة، ونتسربل بسرابيـل القـوة والعـزة لتكون حقـوقنـا محفوظـة وحرمتنـا مصونـة ولانـؤخـذ من جـانب ديننـا ولانفتال مـن جهة دنيانـا،بل نبقى اعزاء الجانبين جديرين بسعادة الدارين (١).

وقـد فهم الملأ مـن بني إسرائيل من بعـد موسى هـذا الأمر عندما قالوا: ﴿ومالنا أن لانقـاتل في سبيل اللـه وقـد أخرجنا من ديـارنا وأبنائنا﴾ [البقـرة: ٢٤٦] فلقـد وجـد سبب القتال وهو اخراج العدو لهم من أرضهم، ولذلك وجب عليهم ان يقـاتلوا لاسترجـاع الأرض وتحريـر أهلها بصد العدو الباغي.

ولقـد قـاد الأنبيـاء عليهم السـلام جنـود الحق من المؤمنين بهم إلى قتال الأعـداء فلم يهنوا ولم يتخاذلـوا برغم مـا أصيبـوا بـه من الجرح لبعضهم والقتل للآخرين.

وقد يقتل النبي (٢) فيحمل الرايـة أصحابـه من بعـده، ويسيرون نحو النصر بقلوب صـابرة وعـزائم ثابتة، ذلك أن هـدفهم من القتـال ليس الغنـائم، أوحبـاً في الفتك وتعطشاً للدمـاء وانما للدفاع عن الحق واقامة العدل، ونشر الإسـلام وهـاهـو التـاريخ يعطينا صوراً واضحـة لقتال الفـريقين يتبين لنا منهـا ذلك البـون الشـاسع بين قتـال يهدف لإحقـاق الحق، وآخـر يعمل على طمس معالم الحق.

حروب الأشوريين

عرف الأشـوريون بـالقوة العسكرية، والشدة في الحرب، وقد هددوا البـلاد الممتدة من بـابل إلى مصر (وظلوا مـائتي عام كاملة يسيطرون بقوتهم الـوحشيـة على بـلاد الشرق الأدنى) (٣).

ويحدثنـا التـاريـخ عن حروبهم، فيخبرنا بأن العادة المألـوفة لـديهم كانت تـدمير المدينـة المغلوبـة وحرقهـا عن آخرها ومحو كل معالمها ودك بنيـانها، وافسـاد الأراضي الزراعية بإلقاء الملح والشوك فيها، وقطع أشجارها.

أمـا أهل الأرض فكـان مصيرهم القتـل سـواء في ساحة المعركة أو بعد أسرهم، حيث كـانـت تسلخ جلـود الأسرى وهم أحياء او تشوى أجسـادهم على النار: (وكـان الجنود يكافؤون على كل رأس مقطوع يحملـونه مـن ميدان القتـال، ولهذا كـانت تعقب المعركة في أغلب الأحيان مجزة تقطع فيهـا رؤوس الأعـداء) (٤).

ويـروي لنـا التـاريخ مـا ارتكبه حـاكمهم (سنحريب) من فظائع أثناء غاراته، وكيف غضب على بـابل فحاصرهـا، واشعل فيها النيران ودمرها، ولم يبق على أحد من أهلها.

وكان اعتقـادهم أنهم بهذه الأعمال يرضـون آلهتهم فهذا (آشور بـانيبال) يفخـر بأنه، حرق بالنار ثلاثة آلاف أسير، وانتزع ألسنة آخرين، وأطعم أشلاءهم المقطعـة إلى الكلاب والـذئاب (وبهذه الأعمال أدخلت السرور على قلـوب الآلهة العظـام) (٥). وقـد اعتقـدوا أن (آشـور) إلههم القومـي كان ذا روح حـربية يغتبط بـرؤيـة الأسرى وهم يقتلون أمام مزاره.

وهـذا الاتجاه كـان هـو السائد، فعندما غـزا الغاليون رومـا نهبـوهـا وأحـرقـوا أحياءها، وعندما غزا الرومان قرطاجنـة - وكانت من أجمل عـواصم العـالم - لم يتركـوا فيهـا جحراً على حجـر، وذلك بعد حصـارها وقتـل سكانها وإشعال النار فيها.

بل إن هـذه المعـاملـة الوحشيـة كانت تنصب حتى على (المواطنين) الـذين آثـروا التمسك بعقيدة تخالف عقيدة الطغـاة، وأصحـاب الأخـدود أوضح مثـال لغطرسـة أهل البغي والعدوان، حيـث عمدوا إلى اقتيـاد تلك الفئـة من المؤمنين بالله العـزيز الحميد الى شق شقـوه في الأرض، وملـؤوه حطباً، وأوقـدوا فيـه النـار، ثم صـاروا يرمـونهم فيهـا دون مراعـاة لـرجل أو امـرأة، أو كبير أو صغير، وماذلـك إلا لأنهم آمنوا بـالله القادر على مايـريد المستحق، للحمد في كل حال.

منهج الأنبياء في القتال

لقـد كـان من رحمة اللـه بعبـاده أن أذن للمـؤمنين المصلحين بقتـال المفسـدين المعتدين، فهو سبحـانه يدفع أهل الباطل بـأهل الحق ولولا ذلك لفسـدت الأرض بسيطرة البغاة المفسدين.

ولقد شرع القتال للدفاع عن المؤمنين وأوطـانهم وتأمين حريـة الديـن وسيادة الحق، ومنع الاضطهـاد. كما شرع الإعداد للقوة والمرابطة، بقصد إرهـاب من تسـوّل له نفسـه الاعتـداء على الأوطـان أو

بين قتال الأنبياء وحروب الطغاة

مصالح الأمة.

فالقتال لايقصد لذاته، بل هو ضرورة يلجأ اليها، ولذلك فالقاعدة هي السلام، والحرب هي الاستثناء، لايلجأ اليها إلا في إحدى حالتين:

الأولى: حالة الدفاع عن النفس والعرض، والمال، والوطن عند الاعتداء، قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين﴾ [البقرة:١٩٠].

الثانية: حالة الدفاع عن الدعوة الى الله، اذا وقف أحد في سبيلها.قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ [البقرة:١٩٣] (٦).

ثم إن الأنبياء، ومن سار على نهجهم التزموا بما يمكن أن نسميه (آداب الحرب) وهي المعاملة التي ينبغي ان يعامل بها العدو المحارب. ويمكن إجمالها فيما يلي:

*عدم قتل الشيوخ، والنساء، والولدان، روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه، ان رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولاطفلاً صغيراً، ولا امرأة».

*منع تشويه القتلى (كقطع الآذان والأنوف) روى مسلم عن بريدة، قال: كان النبي ﷺ اذا أمّر اميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولاتغلوا ولاتغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليدا».

*الاحسان عند القتال باستعمال السلاح الذي يسرع بالقتل وفي مكانه من الجسم، قال تعالى: ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ [محمد: ٤] وقال ﷺ: «ان الله كتب الإحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» [رواه مسلم]. ولذلك فلا يحل استعمال الأسلحة الجرثومية وماشابهها.

*المحافظة على امتعة المحاربين من الأعداء، بعدم عقر شيء من حيواناتهم أو حرق أوتخريب بلادهم (٧).

* العناية بالأسرى بإلباسهم (٨) وعدم التفريق في السبي بين الوالدة وولدها. كان ﷺيقول: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» (٩).

موازنة

عندما نقرأ هذه التوجيهات، ونعي منطلقاتها ومراميها يستوقفنا ماهو مدون في (التوراة) من دعوة لاستعمال القسوة مع الأعداء فقد جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح العشرين، عدد١٠:

(حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فان اجابتك الى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير، ويستعبد لك، وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، واذا دفعها الرب الهك إلى يدك،فاضرب جميع ذكورها بحد السيف).

ان موقفنا من هذا النص هو موقفنا من (التواة) بصفة عامة،وسفر التثنية الذي ورد فيه النص المذكور هو (كغيره من الأسفار السابقة قد ضم الغث والسمين، والحقيقة والخيال، والصدق والكذب، مما حدا بالعلماء المحققين لأن يحكموا عليه بأنه ليس من تصنيف موسى عليه السلام، وانما صنفه الذين جاءوا من بعده فأضافوا وحذفوا وعدلوا وصححوا كي يتفق هذا السفر وغيره من الاسفار مع ظروفهم وحياتهم) (١٠).

واضافة إلى هذا النص الوارد في (التوراة) نورد ما جاء في (الانجيل) على لسان المسيح عليه السلام، فقد جاء في (انجيل متى) – الاصحاح العاشر، عدد ٣٤: (لاتظنوا اني جئت لأرسي سلاماً على الأرض، ما جئت لأرسي سلاماً بل سيفاً). وجاء في (انجيل لوقا) الاصحاح الثاني عشر عدد ٤٩: (جئت لألقي على الأرض ناراً، فكم اريد أن تكون قد اشتعلت).

إن قراءة الأناجيل الأربعة – المعتمدة عند النصارى – ودراستها تبين أنها بعيدة الصلة عن الانجيل الذي نزل على عيسى بن مريم، فأين هي الدعوة الى الايمان بالواحد الأحد، وهل بعث الأنبياء لحرق الأرض وماعليها ولسفك الدماء، أم لدعوة الناس إلى الاجتماع على كلمة سواء□

الهوامش:

١) تفسير المنار، ٢:٤٦١.

٢) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي قتل﴾ عند الطبري والقرطبي وغيرهما و(قتل) قراءة نافع ، وقد قالوا ومعنى الآية: تشجيع المؤمنين والأمر بالاقتداء بمن تقدم .أي كثير من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أو كثير من الأنبياء قتلوا فما ارتدت اممهم. والقول الأول للحسن الذي قال: ماقتل نبي في حرب قط، والثاني لقتادة وعكرمة.

٣) قصة الحضارة، ٢:٢٦٤.

٤) السابق، ٢:٢٧٤.

٥) السابق، ٢:٢٨٢.

٦) انظر: فقه السنة ٢:٦١٣.

٧) انظر: المحلي ٤:٣٤٣. وقد ذكر في (فتح الباري) أن الجمهور ذهب إلى جواز التحريق والتخريب في بلاد العدو وكرهه الأوزاعي والليث وأبو ثور. واحتجوا بوصية أبي بكر لجيوشه أن لايفعلوا شيئاً من ذلك. فتح الباري، ٦:١٥٥، المطبعة السلفية.

٨) انظر: صحيح البخاري – كتاب الجهاد – باب الكسوة للأسارى.

٩) زاد المعاد ٢:٦٨ [رواه أحمد والترمذي].

١٠) التوراة: دراسة وتحليل، تأليف د. محمد شلبي شتيوي، ص ٢٥، مكتبة الفلاح، الكويت، ومن المعلوم ان سند التوراة انقطع بضياعها من التابوت، ولم تظهر التوارة، التي ادعى حلقيا اكتشافها إلا بعد حوالي ٣٥٠ عاماً.

قبس من ضوء الإسراء

شعر: فؤاد عبد الرحمن المنياوي*
*إمام وخطيب بوزارة الأوقاف بدولة الكويت

هل يعلمُ الثقلان أنك سار
وسموت من فوق البراق مهللا
أما الأمين فقد أتاك مرافقاً
فمسحت عن وجه الحياة كآبة
قد هاموا في ظلم الدياجي حقبة
كم كنت تدعو للفضائل جمة
وَأَدوا البنات بغير ذنب يالها
شربوا الخمور ودنسوا أعراضهم
قد أنكروا البعث المحقق أمره
والظلم دين لا كرامة عندهم
ولقد خطوت إلي المبارك حَولَه
قد كان ركب الأنبياء جميعهم
حضر السراج وقد توقد ضوؤه
يا فرحة الأخيار عند لقائه
نادى الأمين مؤذناً برحابه
صلى وراءك يا حبيبي جمعهم
وسموت بالمعراج خير مكرم
حياك آدم والخليل وجمعهم



وقــد انتهى بــالمنتهى متــوقفــاً
نــادى رسـول اللــه عــذراً إنني
حيــاك رب العــالمين مبــاركــاً
ولقــد أتــاك هـديــة مـرمـوقــة
عــاد الـرسـول مكـرمـاً ومبجـلاً
هــو لا يبــالي أن يكــذب مــارق
فلقــد أراه اللــه أيــة صـدقــه

والعير قــالت: قــد سمعنــا صـوتــه
والمسجـــد الأقصى تجلى وصفـــه
فتهلل الصــديق فــور سماعـــه
يــا صــاحب الخلق العظيم تحيــة
مــاذا نقــول وقــد تــأخــر ركبنــا
قــدم الحبيب ينــادي كل مجاهــد
وكــذلـك الفــاروق يهتف عــاليــاً
يا رب حقق نصرنا ورجاءنا في ليلة تزدان بالأنوار
ومكبراً يــا سيــد الأخيــار
ليقــود ركبك نحــو فيض البــار
وسأمــة من فعلــة الأشرار
يتــوسلــون بهذه الأحجــار
فيقــابلــون الفضل بــاستهتــار
من فعلــة تــربــو على الأعصــار

لا يــأبهون بخســـة أو عـــار
لا يـــؤمنـــون بجنـــة أو نـــار
للمحسنين وصحبـــة الأخيـــار
في هـــالـــة الأنـــوار والأسرار
يتهيــأون لطلعـــة المختـــار
ومضـــى يضيء لهذه الأقمار
فــاضت وجـوه الجمع بــالأنــوار
صــوتــاً رخيماً هــام بــالأوتــار
في غبطـــة وسعـــادة ووقـــار
فسمت بـك الـــدنيـــا بكل فخـــار
والكل نــادى مــرحبــاً بــالســار
ذاك الأمين وصــاحب الأسفــار
لا أستطيــع تجاوز الأنـــوار
مــا نــالها أحــد من الأخيــار
إن الصــلاة تحيــة الأطهــار
ومبلغــاً بــالصـــدق والإصرار

أو مشرك من جملـــة الأشرار
وأراه من في جنـــة أو نـــار
من غير مـــا شك ولا إنكـــار
لنبينـــا فكأنـــه بـــالـــدار
والجمع من صـــدق ومن إخبـــار
تهدي إليك بـــرقـــة ووقـــار
عن بيتنـــا الأقصى لـــدى الأوضـــار
هيـــا أجيبـــوا معشر الأحـــرار
أين الشهـــامـــة معشر الأبـــرار
أنـت المعين ومـــالك الأقـــدار

علم المقاصد بين الضرورة والحذر

بقلم: محمد الصالح بن عزيز

إن إقرارنا بصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، يقتضي أن تكون هذه الشريعة قادرة ومؤهلة للإجابة على قضايا المسلمين وإقامة واقعهم على هدي من توجيهات الإسلام، بعد أن شهد فكرنا تضخماً كبيراً في مسائل العبادات والأحوال الشخصية على حساب قضايا المجتمع، وترد فراغات كثيرة في ميادين كثيرة تتعلق بشؤون إدارة الحكم وبالثروة وبالملكية، وهو أحد مظاهر الإنحطاط والإنحراف الذي مس الحياة السياسية والإجتماعية للمسلمين، يتنافى وإيماننا بشمولية الإسلام الذي ينظم حياة الإنسان في مختلف وجوهها وعامة نواحيها، ولايقتصر على معالجة الجانب الروحي ولا على الجانب الأخلاقي، بل شمل كل نواحي النشاط الإنساني، وتعرض لجميعها..

وأعطانا صورة كاملة لنظام صالح للحياة، مبيناً بكل تفصيل ما هي الحسنات التي يجب أن نقيمها ونرقمها وننميها، وما هي السيئات التي يجب أن نعمل على محوها واستئصال شافتها، وما هي الحدود التي لاتتجاوزها حريتنا، وماهي الوسائل التي يجب أن نسلكها ونتوسل بها لتنمية الحسنات المنشودة ومحق السيئات البغيضة (١).

ولن يتم للشريعة الإسلامية - ولالفكرنا الإسلامي - هذا الاقتدار إلا بـ:

١) فتح باب الاجتهاد لمن امتلك أدواته، والاجتهاد - كما هو معلوم - بذل الفقيه الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها لما يحدث للمسلمين من أقضية يفرضها تغير الحياة وتطورها، لأن الإسلام ترك للإنسان دور التوفيق بين نصوص الدين الثابتة ومقتضيات العصر المتطورة والمتحولة، ولم يطرح الوحي نفسه بديلاً عن قدرة العقل البشري في إيجاد صيغ تحقيق هذا الوحي في الواقع بالأشكال والصور التي تتلاءم مع ظروف الزمان والمكان، وفي ذلك تحقيق لأبعاد خلافة الإنسان في عمارة الأرض (٢). وقد عبر الإمام الشاطبي رحمه الله، عن حاجة الأمة إلى الاجتهاد في كل العصور، فقال:

«إن الوقائع في الوجود لاتنحصر، فلايصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلابد من حدوث وقائع لاتكون منصوصاً على حكمها، ولايوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضاً اتباع للهوى، وذلك كله فساد، فلا يكون بدٌ من التوقف لا إلى غاية، وهو معنى تعطيل التكليف لزوماً، وهو مؤد إلى تكليف ما لايطاق، فإذن لابد من الاجتهاد في كل زمان، لأن الوقائع المفروضة لاتختص بزمان دون زمان» (٣).

■ المطلوب في عصرنا ان يتحول فكر المقاصد الى عنصر عناصر علم اصول الفقه

ضرورة الاجتهاد

ولعل الاجتهاد اليوم أكثر ضرورة من أي عصر مضى، بعد أن خلق المجتمع خلقاً جديداً، حتم أن يعود النشاط الفقهي إلى ما كان عليه في العصور الأولى، وأن يعود العلماء إلى مناهل الإسلام فيفتحوا منافذ نوره على حياة المسلمين اليوم، وأن يبعثوا روح الدين حسيسة نابضة حتى لانبقى في هذا الإنعزال الخطير: انعزال الحياة عن الدين، وحتى يبقى للدين سلطانه في النفوس واقتداره على إسعاد البشر.. وهو اليوم - الاجتهاد - أيسر منه في العصور السابقة، إذ ضبطت قواعد اللغة العربية ودونت الأحاديث وفُسر القرآن الكريم ونُشرت الكتب بين الناس وأصبحت في متناول كل طالب علم متوفرة في المكتبات الخاصة والعامة.

٢) تطوير أصول الاجتهاد بالاعتماد على وسائل أقدر على فهم حقائق الكون وقوانين الاجتماع والنفس، وتوظيفها في فهم النصوص لتنزيلها على واقع المسلمين، وهذا لن يكون إلا بمقدار علم المجتهد وغوصه في طلب مقاصد الشريعة، وهي المعاني والحكم والعلل الراجحة قصد استنباط الحكم الشرعي الذي يرعى مصالح الناس في مختلف مجالات الحياة، ويحفظ مصلحة الإنسان في الدين والدنيا، ذلك «أن كل

الشرائع والمنظومات مهما تباينت رؤاها الفكرية، إنما يقصد واضعها أو مشرعها إلى تحقيق جملة من المصالح والأغراض، ولئن اختلف مني تصور هذه المصالح وفي أشكال تحقيقها في الواقع فإنه لايجادل أحد في أن كل منظومة فكرية يسعى صاحبها إلى تلبية حاجات الإنسان في مختلف مناحي تنظيم وجوده كفرد، أوضمن المجتمع» (٤)..

ومن ثم فإننا على يقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية كلها مشتملة على مقاصد الشارع، وهي حكم ومصالح ومنافع، وعلى علمائنا تعرف علل التشريع ومقاصده ظاهرها وخفيها «فإن بعض الحكم قد يكون خفياً، وإن أفهام العلماء متفاوتة في التفطن لها، فإذا أعوز في بعض العصور الاطلاع على شئ منها فإن ذلك قد لايعوز من بعد ذلك» (٥).

وقد كان فكر المقاصد حاضراً في اجتهادات الصحابة، لأنهم إنما كانوا يتبعون طرق تحقيق المصلحة للأمة، كاجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما فتحت سواد العراق ومصر، فأراد أن تبقى الأرض بيد أهلها ويوضع عليها الخراج، بينما ذهب جمهور من الصحابة إلى وجوب تقسيمها، فمازال عمر يجادلهم حتى اقتنعوا بصواب رأيه، وإنما كان الخلاف حول فهم كل واحد منهم لنصوص الكتاب ومقاصد الشريعة..

وكذلك ما كان في عهد عمر من امرأة غاب عنها زوجها وترك معها ابناً له من غيرها، فاتخذت المرأة بعد زوجها خليلاً، ولما خشيت الافتضاح عمدت إلى قتل الولد، وشاركها في ذلك خليلها، ولما كُشف الأمر واعترف الجميع بعث يعلي بن أمية إلى عمر الحكم فيهما، هل يُقتل اثنان في واحد وشريعة القصاص المساواة، أم يقتص منهما حتى لايضيع دم المقتول هدراً وحتى لايكون ذلك ذريعة إلى اجتماع الجماعة لقتل الفرد حتى تفلت من القصاص، ويتوقف عمر ويستشير الإمام علياً، فيقول له : يا أمير المؤمنين، أرأيت لو أن نفراً اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً، أكنت قاطعهم؟ فيجيبه: نعم، فيقول عليّ: وهذا كذلك، فيقتنع عمر، ويكتب إلى يعلي بن أمية عامله على صنعاء: اقتلهما، فلو اشتركوا فيه أهل صنعاء لقتلتهم.. وهكذا نرى، عند غياب النص كما في هذه الحادثة، يقع الاحتكام إلى المصلحة المستندة إلى روح التشريع ومقصده.

أبو حنيفة إمام مدرسة الرأي

وكذلك كان الفكر المقاصدي حاضراً عند اجتهادات فقهائنا الأعلام، فهذا أبو حنيفة إمام مدرسة الرأي عُرف بجنوحه الواسع إلى تحكيم الرأي في استنباط الأحكام الشرعية، وبمقدرته العقلية البارعة لإيجاد الحلول والتماس الإجابة الشرعية لكل معضلة أومسألة أو قضية على نحو يحفظ للإسلام جلاله ويفتح للإنسان الطريق إلى التيسير في العبادات والمعاملات - مادام التيسير مقصداً من مقاصد الشريعة، وعُرف بتضيقه من دائرة العمل بالحديث وبمسلكه الخاص في فهم النصوص وبحثه عن العلل، الأمر الذي جعله يكثر من القياس حتى جعله أساساً هاماً من أسس التشريع، وبذلك بلغ الفقه الحنفي الشأو البعيد من التفصيل والشمول والانتشار وأضحت في متناول الكافة حلول لكل ما يعرض لهم من شؤون العبادات والمعاملات..

ولعل من أبرز الأمثلة على حضور الفكر المقاصدي عند أبي حنيفة قوله بأن الحجر على الإنسان لايكون إلا في حالات ثلاث: الجنون والصغر والرق، أما السفيه فلايحجر عليه ويرى أهليته كاملة لأنه إنسان حر في الأصل في تصرفاته، والحجر ينافي الحرية وفيه إهدار لإنسانيته وهي أجل خطراً من المال الذي يراد حفظه بالحجر عليه، كما يقرر - أبو حنيفة - للمرأة البالغة إرادتها وحريتها في الزواج بمن ترى الخير لها أن تتزوج به، فلايجعل لوليها سلطاناً عليها ويرى أن ولاية إنسان على آخر لايصح أن تفرض إلا لضرورة تنافي الحرية التي هي حق إنساني للناس جميعاً، وذلك أنه فهم أن

■ الفكر المقاصدي واجه على مر العصور ولا يزال موقفاً معارضاً تزعّمه اصحاب النزعة الظاهرية

الحرية واحترام كرامة الإنسان من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية..

وهكذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة الذي تفرد باعتماد المصالح المرسلة في استنباط الأحكام، وهي المصالح التي لم يرد في الشريعة نص معين يدعو إلى اعتبارها أو إلغائها، ولكن اعتبارها يجلب نفعاً أو يدفع ضراً، فالمصلحة عنده مقياس ضابط لكل ما هو شرعي، فاعتبرها - المصلحة - أصلاً قائماً بذاته، وقرر أن نصوص الشارع لم تأت في أحكامها إلا هو مصلحة، وأن الدين والأخلاق والقوانين إنما تتجه إلى إسعاد الناس، فأثرى بمنهجه هذا الشريعة الإسلامية وجعل آفاقها متسعة مشبعة لحاجات الناس في كل عصر وكل مكان.

ولئن كان الفكر المقاصدي حاضراً في اجتهادات الصحابة والأعلام من فقهائنا - كما بينا نماذج من ذلك، فإنه ظل مبحثاً من مباحث أصول الفقه، واقتصر الفقهاء على تخريج المقاصد المتعلقة بأحكام الشرعية عبر مباحث مسالك العلة لأنها كانت أقرب إلى التوضيح والكشف عن المعاني الواردة في النصوص، ولم يسلكوا مسلك القياس على المقاصد الكلية والعالية، بينما المطلوب في عصرنا الذي تشابكت فيه القضايا بقدر ما توسعت فيه العلوم على اختلاف أنواعها، أن يتحول فكر المقاصد إلى عنصر من عناصر هذا العلم - علم أصول الفقه - باعتبار أن النصوص لايمكن فهمها وتفسيرها إلا في سياق ما قصد منها، وباعتبار أن أحكام الشريعة كلها مشتملة على مقاصد الشارع.. وهو ما ذهب إليه الإمام الشاطبي رحمه الله، في الموافقات، وجاء بعده بقرون الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، فسجل بكتابه القيم «مقاصد الشريعة الإسلامية» تطوراً نوعياً في سبيل وضع أصول هذا العلم وتكامله والإرتقاء به باستخلاص أصول قطعية كفيلة بأن تكون مناراً للكشف عن حكم الله في تدبير وجود الإنسان، كفيلة بالإقناع، وتهدي المتفقهين، وتضيق من دائرة الاختلاف في الأدلة، إيماناً منه بأن طريق المقاصد «هو أوسع طريق يسلكه الفقيه في تدبير أمور الأمة عند نوازلها ونوائبها إذا التبست عليه المسالك، وإنه إن لم يتبع هذا المسلك الواضح والحجة البيضاء عُطل الإسلام أن يكون ديناً عاماً وباقياً» (٦)

وقد عبر الإمام ابن عاشور عن غايته من

علم المقاصد بين الضرورة والحذر

الاشتغال بهذا المبحث بقوله: «دعاني إلى صرف الهمة إليه (علم المقاصد) مارأيت من عسر الاحتجاج بين المختلفين في مسائل الشريعة، إذ كانوا لاينتهون في حجاجهم إلى أدلة ضرورية أو قريبة منها يُذعن إليها المكابر ويهتدي بها المشتبه عليه» (٧)، ذلك أن علم الأصول كان يعتمد النصوص على محامل ألفاظها في الاستعمال اللغوي بمعزل عن بيان حكمة الشريعة ومقاصدها العامة: «إن معظم مسائل أصول الفقه لاترجع إلى خدمة حكمة الشريعة ومقاصدها، ولكنها تدور حول محور استنباط الأحكام من ألفاظ الشارع بواسطة قواعد تكمن العارف بها من انتزاع الفروع منها، فتقاس فروع كثيرة علي مورد لفظ منها باعتقاد اشتمال تلك الفروع كلها على الوصف الذي اعتقدوا أنه مراد من ألفاظ الشارع، وهو الوصف المسمى بالعلة» (٨)، وذلك أيضاً لأن المنهج الأصولي اقتصر على معالجة القضايا الجزئية التي تلتمس حلولها من النصوص الجزئية، وأن الفقه في معظمه اتجه للمسائل المتعلقة بقضايا الشعائر والزواج والطلاق والآداب، وتناول فتاوي فرعية وقضايا أفراد، فلم يتجه نحو التنظير المنهجي والبناء على منهج مقرر لمعالجة قضايا الأمة السياسية والثروة والملكية والسلطة (٩).

النزعة الظاهرية

ولابد من التذكير بأن الفكر المقاصدي قد واجه على مر العصور - ولايزال - موقفاً معارضاً تزعمه أصحاب النزعة الظاهرية الذين يرفضون كل مصلحة لايكون طريقها النص الصريح، فلايقرون المصالح المرسلة ولايقولون بالاستحسان ويرفضون القياس، ولاعبرة عندهم بالمعاني والمقاصد إذا خالفت الظواهر، فنفوا بذلك عن الشريعة نوط أحكامها بالحكمة، ووقعوا في ورطة التوقف عن إثبات الأحكام فيما لم يرو فيه عن الشارع حكم من حوادث الزمان يقول ابن حزم إمام الظاهرية: «ويقال لمن قضى بالرأي في الدين محلل ومحرم وأوجب: أخبرنا عن قولك بالرأي هذا حرام أو هذا واجب، عمن تعبر بأنه حرّم هذا وأوجب هذا؟

أعنك أم عن الله تعالى ورسوله ﷺ؟ فإن كنت تخبر عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ كنت كاذباً عليهما، لأنك تقول عنهما ما لم يقله الله تعالى ولانبيه ﷺ، وإن كنت تقول ذلك عن نفسك فقد صرت محللاً ومحرماً وشارعاً، وفي هذا ما فيه نعوذ بالله منه، وأيضاً فإنك تصير قاضياً على الباري تعالى ومتحكماً عليه أن تلزم في دينه - الذي لم يشرعه سواه - أحكاماً تشرعها أنت ، وفي هذا البرهان كفاية، وبالله نتأيّد» (١٠)..

وقد ذهب المؤرخون والدارسون إلى أن ظهور هذه النزعة على سليمان الظاهري في بغداد (٢٠١هـ/ ٢٧٠هـ) وقويت وشاعت في المغرب على يد ابن حزم الأندلسي (٣٨٤هـ/ ٤٥٦هـ)، إنما جاءت لتقاوم الدعوة الباطنية (الإسماعيلية) التي اعتبرت أن مقصد الشارع ليس في ظاهر ما أوحي وإنما وراء الظواهر، وليس الظاهر إلا أسلوباً يستعمله الوحي في التدرج بعامة الناس، حتى إذا اقتربوا من الحقيقة سقطت عنهم الأوامر والتكاليف وصار بإمكانهم تأويل كل نص، فلاصلاة وزكاة، ويحيزون لأنفسهم المحرمات، ولايخفى أن هذا الرأي هو رأي كل قاصد إلى إبطال الشريعة و تمزيقها لظهور نزعة الظاهرية وانتشارها، فإنها مثّلت موقفاً خطيراً ينفي عن الشريعة صلاحها لجميع العصور، وهي نزعة مازالت تتبعها بعض الحركات الإسلامية في الوطن الإسلامي.

ضرورة الاجتهاد

وإذا قلنا إن الاجتهاد ضروري لبقاء الدين حياً له وقعه في النفوس، وله حضوره في الواقع اليومي للناس، يقوم به من امتلكوا أدواته المعروفة كما حددها علماء الأمة، فإن الإحاطة بعلم مقاصد الشريعة أوكد في عصرنا، إذ يُمكن الشريعة من أهم وسيلة تساعدها على إيجاد الحلول الشرعية لما تراكم لدينا من مشكلات وقضايا، وتُمكّن الفكر الإسلامي من الخروج من بوتقة الموقف الدفاعي الذي تحصّن به في ظروف معينة ليتحول إلى الموقف الهجومي واختراق مجتمع الحداثة الذي يريد أن يؤسس شرعية بقائه على مقولة إن الدين غير قادر على إعطاء الحلول للمشكلات الراهنة في الوطن الإسلامي، تمكنه - الفكر الإسلامي - من إعادة البناء إيجابياً بعدما فشل في ذلك مشروع التحديث الذي شكل عملية انسلاخ عن المجتمع الأصلي وانطلق في معالجته لشاكل البلاد بمقاطعة الإسلام والتراث والتاريخ..

وقد آن الأوان لمفكري الصحوة الإسلامية أن يطرقوا هذا المبحث دون خوف أو وجل، متسلحين بما لديهم من إيمان وعلم لينيروا الطريق أمام المخلصين من رجال السياسة الذين قرروا العودة ببلدانهم إلى تطبيق الشريعة في الأمور كلها.. وإن لنا أن نُعّرف الطلبة والمبتدئين بكتابي كل من الشاطبي «الموافقات» وابن عاشور «مقاصد الشريعة الإسلامية» ونخرجهما من دائرة بحث المتخصصين لتعم الفائدة بهما المسلمين ونحن نعيش قومة إسلامية يريد من خلالها الفكر الإسلامي أن يستعيد عطاءه ودفعه أمام ركام التراث العربي الإسلامي وزحم الفكر الغربي..

إلا أن الذي نخشاه، وهو مايدعم موقف المعارضين لفتح باب الاجتهاد وأصحاب النزعة الظاهرية، أن تتخذ مقاصد الشريعة ذريعة تبني عليها أحكام كثيرة بعيدة عن روح الإسلام، وتتحول إلى وسيلة لضرب مقومات الشريعة الإسلامية وثوابتها، وذلك بإهدار النصوص أو اعتبارها نصوصاً تاريخية غير مطلقة، وهو ما وقع فعلاً في أكثر من موقع، فاستبيح باسم المصلحة العامة التعامل بالربا وأقيمت به دول الإسلام مؤسسات وهياكل يحميها القانون، واستبيحت باسم المصلحة العامة دماء المسلمين وكرامتهم وأدميتهم لمجرد المعارضة السياسية للسلطة القائمة، ووقع باسم المقاصد تعطيل أكثر من حكم إسلامي مقر بدليل قطعي الثبوت والأدلة،وجردت أحكام الإسلام وفائضه من بعدها التعبّدي، حتى دعا أحدهم إلى إيقاف الحجّ «الفوضوي» لتقوم الدولة في كل سنة وعلى نفقتها ببعث مجموعة من المواطنين إلى الحج، وهكذا يكون كل الناس في بضع سنين قد أدوا فريضة الحجّ، وهم يعتقدون - أو يخيل إليهم - أنهم يقدمون بذلك للإسلام ولشريعته خدمة جلية..

وذهبت جماعة ما يسمى باليسار

الإسلامي التي تدعي اعتمادها على الفهم المقاصدي للشريعة إلى أخطر من ذلك، إذ ترى هذه الجماعات أن الشريعة جاءت لتحقيق بعض المقاصد العامة ولم تهتم - أي الشريعة - بالأشكال الموصلة إلى هذه المقاصد، لأن الوسائل متغيرة لايمكن حصرها من جهة، ولأن التجديد - كما يقول حسن حنفي - هو تطوير للواقع، وتطوير الواقع «هو ذاته تطوير الشريعة» من جهة أخرى، والمقاصد العليا التي جاءت الشريعة لتحقيقها خمسة في نظر هذه الجماعة، وهي: الإنسانية، العدل الاجتماعي، الحرية السياسية، المبدئية، التقدم المستمر نحو الأفضل...

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن المصلحة أصل مستقل وليست فرعاً تابعاً، ويمكن اعتبارها حتى ولن خالفت نصاً شرعياً، أو قاعدة شرعية، ليضع «حسن حنفي» ترتيباً معاكساً لأصول الفقه التي وضعها علماء الأصول حسب الرتيب المعروف [قرآن، سنة، إجماع، قياس...]، فيقول: «ففي تقديري هناك واقع ومصالح مرسلة، وبالتالي أنا أقلب هذه الأدلة فأبدأ بالاجتهاد وبالرؤية المباشرة وبالواقع، فإن لم أجد ضالتي عليّ بالإجماع، إجماع الناس، والقرآن، سيكون معي الإحساس بالناس وبالواقع والملابسات والتاريخ، وهي التي تجعلني قادراً على أن أعيد بناء علم أصول الفقه حتى أعطي للناس الجرأة على الاجتهاد والتشريع» (١١)..

لقد أصبح الواقع أن الأحكام والقوانين المنزلة في القرآن والواردة في السنة قابلة للتأويل والتعطيل، ونحن في كل ذلك نستلهم روح الشريعة ومقاصدها، وكأن أحكام الشريعة ظرفية قابلة للنسخ المتواصل والتأويل المتواصل والتعطيل المتواصل، أي كأنها ليست وحياً منزلاً ولاشرعاً ملزماً ولا صادرة عن علاّم الغيوب وإنما هي فقط إفراز تاريخي مرتبط بزمانه ومكانه لايتجاوزهما (١٢)..

ملاحظات لابد منها

وغاب عن أصحاب هذا التيار:

أ) أن الشريعة لم تقتصر على بعض المعاني والحكم والمقاصد، بل تجاوزت كل ذلك إلى الوسائل والأحكام التي تضمن تحقيق هذه المقاصد على نحو يعصم من الوقوع في التعارض عند الاستنباط والتنفيذ.

ب) أنهم بنظرتهم هذه يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر ما دامت أحكام الوحي فهي قابلة للنسخ المتواصل وفقاً للتطور التاريخي والاجتماعي.

ج) أن النية الصالحة التي شرع العمل من أجلها، بل لابد فيها من نية امتثال أمر الله«وبيان ذكر أن العمل - وهو وسيلة تنفيذ الحق بوجه عام - إذا كان تعبدياً، أي يقصد به امتثال أمر الله واجتناب نهيه، وهو حق الله في المصلحة، فلايجوز للعباد ابتداع المصالح لأنه تشريع مبتدأ وذلك محرم بالضرورة، الثاني: أن المكلف إذا كان عليه أن يتوخى المصلحة التي قصدها الشرع حتى يكون قصده في العمل موافقاً لقصد الله في التشريع، فإن توخيه لمحض المصلحة لذاتها لايجعل علمه تعبدياً لأنه لايختلف عن ابتغاء أي إنسان لحظوظه المجردة في الحياة، فلابد - ليؤدي حق الله في عمله - أن تتجه نيته إلى امتثال أمر الله جل وعلا» (١٣).

د) أن الإسلام إنما هو عبارة عن الصورة المتكاملة المتشابكة التي تقررها الشريعة للحياة الإنسانية، فلايصح أن نقطعها أجزاء ونجعل كل جزء منها مستقلاً عن غيره ثم نحكم عليه بشئ ونرى فيه رأياً... إن كل جزء من الإسلام مرتبط بسائر الأجزاء، لا يستطيع أن يعمل عملاً أو يأتي بشئ من النفع إلا معها ولايصح أن نحاول في محاسنه ومنافعه رأياً إلا إذا وجدناه يعمل في تناسب النظام الإسلامي الشامل (١٤).

وفي الختام

وأخيراً فإن موضوع المقاصد بحاجة إلى مزيد من البحث والتأصيل والربط بقضايا الواقع السياسي والاجتماعي حتى يتجاوز فكرنا رواسب الانحطاط والتخلف ويخرج من الخمول الفكري والتقليد القاتل للإبداع والاجتهاد، ويتيح للمسلمين معالجة واقعهم بمنهج أصولي يفي بحاجات هذا الواقع ويستوعب مطالبه في مختلف أبعادها..

وإن هذه العملية ينبغي أن تكون بهدي من نصوص الوحي واسترشاداً بما قدمه علماؤنا الكرام في مختلف المعارف والعلوم البشرية التي تساعد على فهم الواقع واستيعابه وفهم قوانين النفس والاجتماع البشري..

وهي عملية لن يستطيع أن يقوم بها إلا الراسخون في العلوم الشرعية - أولاً - والمتضلعون في العلوم الحديثة، لأنه لا يجوز التسرع في استخراج مقاصد الشريعة اعتماداً على قراءة سريعة متسرعة لبعض نصوصها - كما يفعل المتطفلون في عصرنا، ذلك أن التسرع في إثبات مقصد شرعي يؤدي إلى صياغة أحكام وتشريعات قد تتنافى مع بعض أحكام الشرع الأخرى، فقد نحقق مقصداً ونضيع أخر.. إن على الباحث في مقاصد الشريعة أن يطيل التأمل ويجيد التثبيت في إثبات مقصد شرعي، وإياه والتسرع في ذلك، لأن تعيين مقصد شرعي، كلي أو جزئي، أمر تتفرع عنه أدلة وأحكام كثيرة في الاستنباط، ففي الخطأ فيه خطر عظيم، فعليه ألا يعين مقصداً شرعياً إلا بعد استقراء تصرفات الشريعة في النوع الذي يريد انتزاع المقصد الشرعي منه وبعد اقتفاء آثار الأئمة ليستضيء بفهمهم (١٥)□

الهوامش:

١) انظر: نظرية الاسلام وهديه، المودودي.
٢) انظر: العقل والسلوك في البنية الاسلامية، عبد المجيد النجار، وكذلك: خلافة الانسان بين العقل والوحي.
٣) الموافقات للشاطبي.
٤) التفسير والمقاصد عند الامام محمد الطاهر بن عاشور، الصبحي عتيق.
٥) مقاصد الشريعة الاسلامية، محمد الطاهر بن عاشور.
٦) نفس المصدر.
٧) نفس المصدر.
٨) نفس المصدر.
٩) انظر بمزيد التفصيل: التفسير والمقاصد عند الامام ابن عاشور.
١٠) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم.
١١) حوار مع حسن حنفي بمجلة ٢١/١٥ التونسية، العدد١.
١٢) راجع كتاب: ظاهرة اليسار الاسلامي، دراسة تحليلية نقدية، محسن الميلي.
١٣) مفاهيم تربوية اسلامية، باب السنيّة، الصحبي عتيق.
١٤) راجع: نظرية الاسلام وهديه للمودودي، وكذلك كتاب: الاسلام في معركة الحضارة لمنير شفيق.
١٥) مقاصد الشريعة الاسلامية، ابن عاشور.



إعجاز القرآن العلمي والتشريعي

■ أثبت العلم الحديث صحة معلومات كونية وردت في القرآن الكريم وكانت خافية على العلماء يومها

بقلم: علي عبد اللاه طنطاوي*

نزل القرآن الكريم في وقت ساد الجهل فيه وشاع، فلم يكن يعرف الناس عن الطبيعة إلا النذر اليسير فكانوا يعتقدون أن الأرض مستوية، وأن السماء تسقف الأرض، وأن النجوم مسامير لامعة من الفضة مركبة في قبة السماء، أوأنها قناديل معلقة في الفضاء، وكان أهل الهند الأقدمون يؤمنون بأن الأرض محمولة على أحد قرني «البقرة الأم» وهى حين تقوم بنقلها من قرن إلى قرن، يحدث زلزال على البسيطة، بل كان العلماء حتى وقت قريب يقولون أن الشمس ساكنة بلا حراك وأن الأرض تدور حولها في الوقت الذي كان القرآن الكريم قد سجل قبل إكتشافهم بتسعة قرون حركة الشمس وجريانها. ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس:٤٠].

ويقرر العلم الحديث أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين داخل كتلة غازية ملتهبة تسمى «السديم» ثم انفصلتا نتيجة إنفجارات شديدة حدثت داخل السديم وفي ذلك يقول الله عز وجل في قرآنه الكريم. ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ [الانبياء:٣٠].

قرر القرآن الكريم أيضا منذ أربعة عشر قرنا أن هناك ماهو أصغر من الذرة: ﴿ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولاأصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ [يونس:٦١].

وقد أثبتت النظريات العلمية الحديثة أن الذرة ليست أصغر شيء في الوجود حسبما كان سائدا بعد أن تمكن العلماء من تحطيمها وماترتب على ذلك من استخدام الطاقة النووية الناشئة عن ذلك في الحرب والسلم.

ومن الإعجاز العلمي أيضا قوله عز وجل: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرمر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل:٨٨].

وقد أثبت العلم الحديث أن الجبال تتحرك بحركة الأرض وان كنا لانشعر بها كما أثبت العلم الحديث أيضا: أن ضغط الهواء يقل بالإرتفاع إلى طبقات الجو العليا ، فيصبح التنفس عسيرا، يكاد يختنق الأنفاس بسبب قلة الأكسجين اللازم

*) رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة العليا.

للتنفس،وقد يصيب الأنسان الإغماء والدوار من جراء ذلك (١).

وقد صور القرآن هذه الظاهرة في قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ [الانعام:١٢٥].

وقد حرم الله في كتابه العزيز الميتة والدم ولحم الخنزير: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغيرالله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ [البقرة:١٧٣].

وكان الإنسان غافلا عن هذا التحريم إلى أن توصل العلم الحديث الى أن الدم يحتوى على كمية كبيرة من مادة حامض البوليك السامة، كما ثبت أن لحم الخنزير يحتوي على الدودة الشريطية.

ويقول الله في كتابة العزيز: ﴿أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ [القيامة:٣و٤] والبنان أطراف الاصابع فتلك الخطوط التى تظهر في جلد أصابع الجنين وهو في بطن أمه وتتكامل عند مولده لاتتغير طوال حياته لا في الشكل ولا في العدد، وتظل حتى الموت، وقد اعتمدت بصمات الأصابع كأساس لاثبات شخصية الإنسان في جميع دول العالم بعد أن أثبت العلم الحديث أنه لايتشابه إثنان من سكان العالم في بصمات أصابعهم (٢).

ويصور القرآن الكريم العذاب الذي يلحق بالكفار في تاريخهم بقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [النساء:٥٦].

وقد أثبت العلم الحديث أن شبكة الأعصاب التي تشعر بالألم موجودة في الطبقة الجلدية دون سواها وهي التي تستقبل الإحساس بالحرارة والبرودة والألم،فتجدد الألم الذي ينقطع بحرق الجلد يتحقق بأعادة الجلد كما كان حتى يكون عذاب الكفار مستمرا كلما تبدل الجلد في كل مرة (٣).

وماسلف من بيان نذر يسير من فيض وغيره كثير يلمسه الباحث المتأمل في كتاب الله تعالى، مما يجزم معه بيقين أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل وأن العلم الحديث بأبحاثه المستمرة واكتشافاته المتجددة المتكررة يذكرنا بقوله جل وعلا: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد. الا إنهم في مرية من لقاء ربهم الا إنه بكل شيء محيط﴾ [فصلت:٥٣و٥٤].

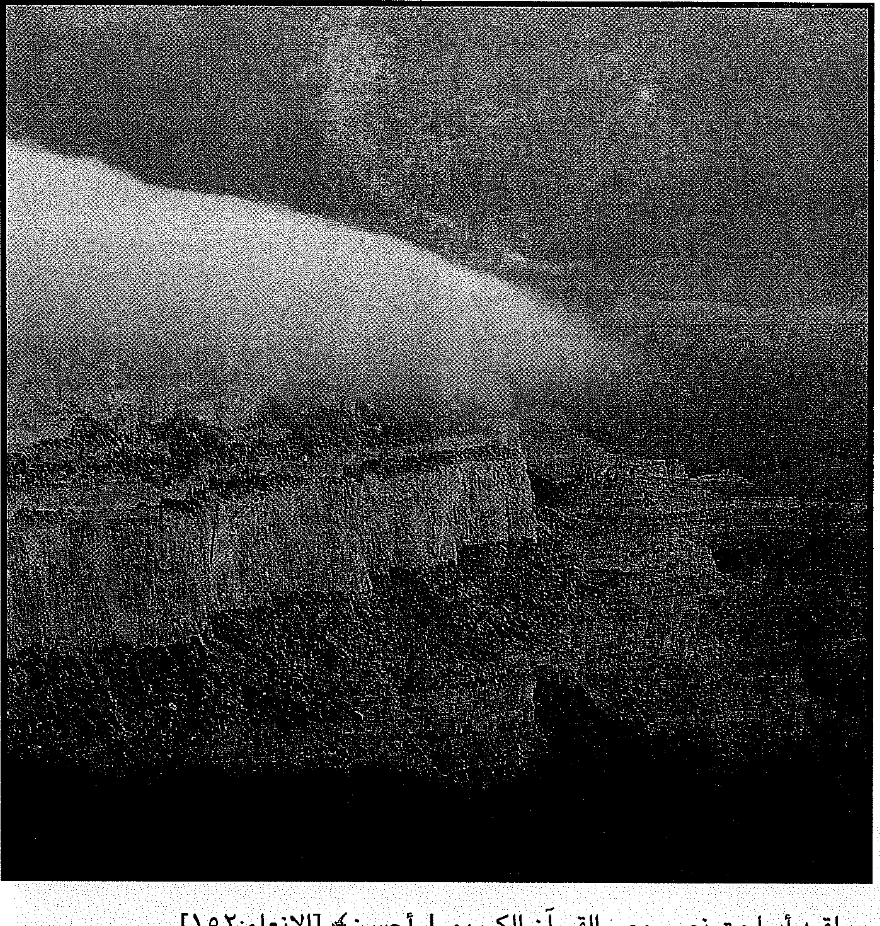
الإعجاز التشريعي للقرآن

نشأ الإسلام في مجتمع شبه



■ التشريع القرآني كامل الأصول، شامل لكافة القضايا الاقتصادية والاجتماعية، يغطي كل جوانب الحياة

إعجاز القرآن العلمي والتشريعي



بـدائي.. لاحـاكم لهذا المجتمع ولاسلطـان لأحـد عليه.. فكـان لزامـا أن يتولى القـرآن الكريم هذا المجتمـع بتشريعاته، وأن يضع لـه النظم الاجتماعيـة والاقتصـاديـة، وأن يسن لـه القـانـوانين، وأن يتـولى ضميره وروحه، وسلـوكه ومعـاملاتـه، وأن يجمع بين الدين والدنيا في توجيهاته وتشريعاته.

جـاء القـرآن بتشريع كـامـل الأصـول شـامـلا لكـافـة القـواعـد الاقتصـاديـة والاجتماعية في المجتمع الإسلامي ..تشريع شمل عـلاقـة الإنسـان بربـه.. وعـلاقتـه بنفسـه.. ،وعـلاقته بمجتمعـه..تشريع قرر الثواب والعقاب على العمل غير غامض لنية المرء في مجال عقابه أو ثوابه.

جاء بتشريع وازن فيه بين مصلحة الفرد والجماعـة فلم يترك الفرد تطغى مطـامحه ومطـامعـه على الجماعـة ولم يترك كـذلك الجماعـة تطغى على فطـرة الفرد وطـاقتـه أوتنال من نشاطه بتحطيم ميـوله ونوازعه كما كـان الشأن في بعـض النظـريـات الاقتصـاديـة الحديثـة التي تشـد قـوابها وسموها إشتراكية وتقدمية وأسبغواعليها الكثير من الصفـات ثم أثبتت الأيام فشلهـا الذريع وضياع الشعوب التى أخذت بها.

جـاء القـرآن بتشريعـات تأنف أن تحيل الحياة لقمـة خبز أو شهـوة جسد أودراهم معددوة بل قررت الكفـاية لكل فرد ورفعت عنه ضغط الإحتياج والعـوز، وحرمت عليه الترف الذي يطلق العنان للمتع والشهوات، ويخلق الفـوارق والطبقات فرتبـت للفقراء حقـوقـا في أمـوال الاغنيـاء بقـدر حـاجتهم ممـا يجعل حياة النـاس تعاونـاً وتكافلا لاحـرب فيها ولانـزاع ولاخصـام، كما حـوت إطـلاقـا للطـاقـات الفـرديـة والعـامـة دون سجن أو كبت أوحرمان.

لقـد أبـاحت نصـوص القـرآن الكـريم للأفـراد حق التملك للمنقول والعقـار بقدر وسعهم، وأبـــاحـت لهم التصرف فيما يمكلون شريطة أن يكون هذا التملك وذلك التصرف في غير ماحرم اللـه وسند ذلك من القـرآن الكـريم قـوله تبـارك تعـالى: ﴿ولا تأكلـوا امـــوالكم بينكم بـالبـــاطل﴾ [البقـرة:١٨٨] ويقـــول: ﴿وان تبتم فلكم رؤوس امـوالكم لاتظلمـون ولاتظلمـون﴾ [البقـــرة:٢٧٩]، ويقـــول عـــز وجل: ﴿ولاتقـربـوا مـال اليتيم إلا بـالتي هى أحسن﴾ [الانعام:١٥٢].

ولم تكتف أحكـام القرآن بـاقرار الملكيـة وانما حضت على كسبها وذلك بالبحث عن العمل الـذي يعد المصـدر الأول والأساس لكسبها وأوجبته على الأفـراد.﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكـم ورسولـه والمؤمنون﴾ [التـوبـة:١٠٥]، ﴿فـإذا قضيت الصـلاة فأنتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ [الجمعـــة:١٠]، ﴿ هـــو الـــذي جعل لكم الأرض ذلولا فأمشوا في منـاكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ [تبارك:١٥].

وقـد جـاء القـــرآن بالنصوص التى حمت هـذا الحق وكفلت صيـانته من أي اعتـداء: ﴿يـا أيها الـذين آمنـوا لاتـأكلـوا أمـوالكم بينكم

■ سبق القـرآن التشريعـات البشريـة في إطـلاق العقل من عقـالـه، والإقـرار بـالحريات العـامـة، والحقـــوق الفـــرديـــة، وتحريـــر المرأة، ممـــا يـــدل على ربـــانيتـــه قطعـــاً

بـالبـاطل إلا أن تكـون تجارة عن تـراض منكم﴾ [النسـاء:٢٩]، ويقـول تعـالى: ﴿والسـارق والسـارقة فأقطعـوا أيـديهما جـزاء بما كسبـا نكـالا من اللـه﴾ [المائدة:٣٨].

وأوجب القرآن البعد عن كسب الملكية من الحرام والغش والخداع والإكـراه والإستغلال والخديعة: ﴿يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربـا أضعافا مضاعفـة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران:١٣٠]. ﴿ويل للمطففين. الـذين اذا إكتـالـوا على النـاس يستـوفـون وإذا كـالـوهـم أو وزنـوهـم يخسرون. ألايظن أولئك أنهم مبعـوثـون. ليوم عظيم﴾ [المطففون:١-٥]. وقد أوجب القـرآن أن تنفق هـذه الأمـوال في سبلهـا المشروعة وهى سد حاجة المحتاج ومواساة البـائس، ومـد يـد العـون للفقير، ومسح أحزان اليتيم، ووصل القريب، وتفريج كربة المكـروب، وعـدم التقصير في المسـاهمة في أعمال البر: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخروالملائكـة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتـامى والمساكين وابن السبيل والسـائلين وفي الـرقـاب﴾ [البقرة:١٧٧].

ويقول تعالى: ﴿وفي أمـوالهم حق للسائل والمحروم﴾«الذاريـات:١٩» ﴿لن تنالو البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران:٩٢]، ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى﴾ [النحل:٩٠].

وليس للمسلم أن يتخلف عن تنفيذ ماأمر به في هـذا الشأن لأن المال هو مال اللـه عز وجل وقـد إستخلفـه اللـه تعـالى عليـه: ﴿وآتـوهـم مـن مـال اللـه الـذي آتـاكم﴾ [النـور:٣٣]، ﴿وأنفقـوا ممـاجعلكم مستخلفين فيه﴾ [الحديد:٧]، ﴿إن الإرض للـه يورثهـا من يشاء من عبـاده والعاقبـة للمتقين﴾ [الأعراف:١٢٨].

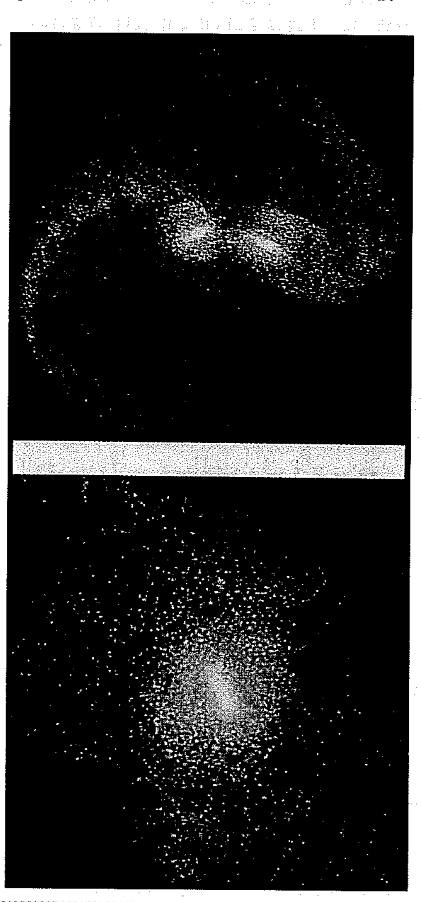
هـذه أحكـام القـرآن الاجتماعيـة والاقتصادية لو طبقت لأصبح الناس أخوة متحـابين، لا تبـاغـض بينهم و لاتحاسـد، ولاكيـد، ولاعـراك ولاخصام، ممـا يسعـد النفـوس المحـروسـة، ويكسى الأجسـاد العارية، ويشبع البطون الجائعة (٤).

أما سياسة الحكم في الإسلام فإنها تقوم على أساس العـدل من الحكام والطـاعة من المحكومين والشـورى بين الحاكم والمحكوم وهى مبـادىء عامـة، وخطـوط أساسيـة تتفرع منها سائر الخطوط (٥).

العـدل من الحكـام: ﴿إن اللـه يأمـر بالعـدل﴾ [النحل:٩٠]، ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بـالعدل﴾ [النساء:٥٨] ولايجرمنكم شنـآن قـوم على ألا تعـدلـوا أعـدلوا هـو أقرب للتقـوى﴾ [المائدة:٨٥]، ﴿واذا قلتم فأعـدلوا ولـو كان ذا قـربى﴾ [الانعام:١٥٢].

والطـاعـة من المحكـومين مستمـدة من طـاعة اللـه ورسـوله ﷺ لأن ولي الأمـر في الإسلام لايطـاع لذاته وإنما يطاع لقيـامه على شريعة الله وتنفيذه لها: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأولى الأمر منكم﴾ [النساء:٥٩].

والشـورى أصل مـن أصـول الحكم في القـرآن: ﴿وشـاورهم في الأمـر﴾ [آل عمران:١٥٩]، ﴿وأمـرهـم شورى بينهم﴾ [الشورى:٣٨]، وقد اكتفى القـرآن الكريم بتقرير الشـورى كأصل من أصول الحكم الإسـلامي، أمـا طـريقتهـا فلم يحدد لها تطبيقا خاصاً، بل تركه لظروف كل مجتمع



ومقتضيـاتـه التي تتغير بتغير الـزمـان والمكان.

ولقد سبقت الشريعة الاسلامية القوانين الـوضعيـة في هـذا الشأن إذ أن القـانـون الإنجليزي أخذ بنظام الشـورى في القرن السـابع عشر وقـانـون الولايـات المتحـدة الأمريكية أخذ به في منتصف القرن الثامن عشر، أما القـانون الفـرنسي فقد أخـذ به في نهايـة القـرن الثـامن عشر. وعلى إثـر ذلك انتشر المبدأ وأخذت بـه معظم القـوانين في القرن التاسع عشر (٦).

أمـا في مجال المعـامـلات والتى تتعلق بعلاقة الفرد بغيره مـن الأفراد فلقد جاءت التشريعـات القـرآنيـة بالأحكـام العـامـة والمبادىء الكلية تاركـة التفصيلات ليجتهد فيهـا العلماء، ولتتسع لكل زمـان ومكـان دون خروج عـن أصل هذه القواعـد أو تلك المبادىء وهذه مـرونة من التشريع القرآني وسمة من سماته.

جاء القـرآن بتشريعات لكل النـاس عرب وغير عـرب وعلى اختـلاف عـاداتهم وتقـاليـدهم ولكل زمـان ومكـان فجـاءت جامعة تحكم كل شـيء، مانعة لايخرج عن حكمهـا شيء، كـاملـة لايعتريها نقص أو قصـور.. لقـد جاءت بنصوص علميـة غنية بـالمبـادىء والنظـريـات تنـدرج تحتهـا تفصيـلات مـاقـد يستجـد من متطلبـات الحياة ومتغيراتها ممـا يسد حـاجة الفـرد والجماعـة في الحاضر والمستقبـل.. أحكـام من عند الله غير قـابلة للتغيير والتبديل كما هـو الحال في القوانين البشريـة ﴿لاتبـديل لكمات اللـه﴾ [يونس:٦٤] ورغم ذلك فإن الحاجة اليها ملحة وماسه لأنها من تشريع الخالق الذي لاتخفى عليه خافية والذي هو أدرى دون سـواه بما ينفع خلقـه وعبـاده: ﴿ألا يعلم من خلق وهـو اللطيف الخبير﴾ [الملك:١٤].

أتى القرآن منذ أربعة عشر قـرنا بأحكام غاية في السمـو والكمال ولم تدن منها حتى الان أحدث التشريعات الوضعية.

وعلى سبيل المثـال لاالحصر زعـم أهل الغرب أنهم وضعوا الإعلان العالمي لحقوق الانسان..وأعتبروا مبـادئه التي وضعـوها أوائل القرن العشرين النمـوذج المثالي لهذه الحقوق، وقد فاتهم أنهم جـاروا وحافوا - بقصد أو بدون قصـد - على القرآن الكريم

إعجاز القرآن العلمي والتشريعي

الذي أتى بهذه الحقوق منذ أربعة عشر قرنا بقوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات:١٣].

والمتأمل لهذا الحكم القرآني يجد أن المساواة قد جاءت مطلقة على الناس كافة، لافرق بين فرد وآخر ولاجماعة وأخرى، ولاجنس يعلو على جنس، ولافرق بين حاكم ومحكوم وأن مبادىء حقوق الانسان لم تكن إلا قبسا من أحكام القرآن وإهتداء بهديه.

ساوى القرآن أيضا بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات بقوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ [البقرة:٢٢٨]، ونظرا لأن الرجل هو رب الأسرة والمنوط به تربية الأولاد ورعايتهم ومن ثم فقد جعل له الرياسة والقوامة بقوله: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ [البقرة:٢٢٨]، ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [النساء:٣٤].

وهذا الوضع اللائق بالمرأة لم تعرفه القوانين الوضعية الحديثة حتى عهد قريب، فقد كان القانون الانجليزي حتى عام ١٨٠٥م يبيح للرجل أن يبيع زوجته وقد حدد ثمن الزوجة بست بنسات (٧)، وقد حرم هنري الثامن على الانجليزيات قراءة الكتاب المقدس وظلت نساء انجلترا حتى عام ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين وظللن حتى عام ١٨٨٢م ليس لهن حقوق شخصية، ولا حق لهن في التملك الخالص (٨).

وظلت المرأة في فرنسا حتى عهد قريب محرومة من التصرف في مالها دون إذن من زوجها حتى عام ١٩٣٨م حتى صدر قانون يجيز لها أن تفتح حسابا جاريا باسمها في البنك وتوقيع شيكات الصرف والعقود المالية (٩).

جاء القرآن مقررا حرية الفكر والعقيدة والرأى ونصوص القرآن التي تحض على استخدام الفكر لاتحصى ومنها قوله تعالى: ﴿قل أنظروا ماذا في السماوات والارض﴾ [يونس:١٠١]، وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب﴾ [الطارق:٦و٧]، ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس ومآأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة:١٦٤].

جاء القرآن مقررا حرية العقيدة: ﴿لاإكراه في الدين﴾ [البقرة:٢٥٦] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس:٩٩].

جاءت التشريعات القرآنية أيضا مقررة حرية القول وجعلتها حقا كفلته لكل إنسان.. بل جعلته واجبا في كثير من الأحيان وذلك إذا ماتعلق بالأخلاق والآداب العامة أو المصالح العامة فيقول جل ثناؤه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ [آل عمران:١٠٤] ويقول: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ [الحج:٤١].

وحرية القول في القرآن مقيدة بعدم، اساءة إستعمالها بما لايؤدي إلى وقوع عدوان على أحد: ﴿لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ [النساء:١٨]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الاعراف:١٩٩]، ويقول جل من قائل: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان:٦٣].

وقد ظن البعض أن أهل الغرب هم أول من دعوا للحرية ونادوا بها وهذا القول ليس إلا جهلا بأحكام الاسلام التي سبقت الفكر البشري في هذا المضمار باحد عشر قرنا على الأقل،ذلك أن القوانين الوضعية لم تكن تعترف بالحريات بل كانت توقع أشد العقوبات على المفكرين ودعاة الاصلاح ومن كانوا يعتنقون عقيدة تخالف عقيدة الحاكم.

سبقت أحكام القرآن أيضا القوانين الوضعية الحديثة بتحريمها الخمر تحريما قاطعا، وقد تدرجت أحكام القرآن في تحريمها وذلك منعا للمشقة على الناس ولصعوبة تركهم لها مرة واحدة خاصة وأنهم كانوا في الجاهلية منغمسون فيها حريصين عليها أشد الحرص فكانت أول آية نزلت في الخمر مبينة لمضارها التي هى أكثر من نفعها مما يشير إلى تحريمها: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما اكبر من نفعهما﴾ [البقرة:٢١٩].

ثم جاء تحريم شربها قبل الصلاة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ [النساء:٤٣].

وفي مرحلة ثالثة من تدرج التشريع نزلت آية التحريم النهائي: ﴿يأأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة البغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة:٩٠و٩١].

ولقد عرفت البشرية أخيرا مضار الخمر فحاولت بعض الدول محاربتها بشتى الوسائل ومن بينها وسائل الإعلام كالولايات المتحدة الأمريكية التى أنفقت عليها ستين مليون دولار،و بلغ مانشر ته من كتب ونشرات في هذا الشأن مايقرب من عشرة بلايين صفحة ولقد أشار تقرير المعهد الوطني لدراسة أخطار الخمور في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن الصبايا والصبيان الأمريكيين يشربون خمرا بـ ٢٥ ألف مليون دولار سنويا وهذا الجيل الجديد يتراوح سنه مابين إثنى عشر عاما وخمسة عشر عاما (١٠).

وسبق الشريعة الاسلامية في هذا الامر أقر به العديد من مفكري الغرب المنصفين فقد قرر احد كبار الانجليز وهو بنتام أن «النبيذ في الأقاليم الشمالية يجعل الرجل كالأبله،وفي الأقاليم الجنوبية يصوره كالمجنون، ولقد حرمت ديانه محمد ﷺ جميع المشروبات المسكره وهذا من محاسنها.

سبق القرآن أيضا في أحكامه الفكر البشري الحديث في مجال إثبات الإلتزامات، فقد أوجب الكتابة كوسيلة لإثبات الدين المؤجل صغرهذا الدين أم كبر: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فأكتبوه﴾ويقول تعالى﴿ ولاتسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى اجله﴾ [البقرة:٢٨٢] ومن الناحية القانونية يدخل تحت مدلول الدين كافة التصرفات من عقود بيع ورهن وقرض واجارة وعارية وغير ذلك.

ولقد استثنى القرآن الدين التجاري من الكتابة: ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألاتكتبوها﴾ وعلة هذا الاستثناء أن التجارة تقوم على السرعة والتكرار والائتمان واشتراط الكتابةقد يعرض البائع لخسارة أو يضيع فرصة على المشتري، ولقد أخذت أحدث النظريات القانونية السائدة بهذه النظرية.

في مجال الاثبات أيضا حرمت نصوص القرآن التشريعية شهادة الزور أو الامتناع عن أداء الشهادة فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولايأب الشهداء إذا مادعوا﴾ [البقرة:٢٨٣]، ويقول سبحانه: ﴿ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة:٣٨٢]، ويقول جل ثناؤه: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم أوالوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [النساء:١٢٥].

وهذه النصوص القرآنية تحرم كتمان الشهادة، كما تحرم الإمتناع عن أدائها وتحرم أيضا شهادة الزور.

والقوانين الوضعية الحديثة وان حرمت شهادة الزور أو كتمان الشهادة إلا أنها لم تصل بعد إلى تحريم وتجريم الإمتناع عن تحملها مما يؤدي إلى تعقيد وعرقلة المعاملات وبطئها.

جاءت أحكام القرآن منذ أربعة عشر قرنا سابقة لأحدث النظريات الجنائية من أن العقوبات شخصية وأن من إرتكب إثما أو جرما يتحمل وحده دون سواه جزاء مالرتكبته يداه فيقول جل وعلا: ﴿ولاتز وازرة وزر أخرى﴾ [فاطر:١٨]، ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ [غافر:١٧]، ﴿ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه﴾ [النساء:١١١]، ﴿ولاتكسب كل نفس إلا عليها﴾ [الأنعام:١٦٤].

ومن يتأمل أحكام القرآن يجد فيها السمو والكمال والعدالة والحكمة والرحمة وصلاحية مبادئة للتطبيق في كل زمان ومكان ولقد أشار علماء الغرب ومفكروه إلى أحكامه مشيدين بسموها مبهورين بعظمتها وفي ذلك يقول «ول ديورانت»: إنّ محمداً ﷺ كان من أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي.. وقد وصل الى ما كان يبتغيه عن طريق الدين ويقول: وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحضهم على اتباع القواعد الصحيحة، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام والظلم والقسوة (١١).

ويقول المستشرق السويسري برهان كودفيل بردكهارت (١٢) أن المجتمع الاسلامي الصحيح هو مجتمع المحبة والتعاطف والصفاء، وفي ظلاله لايعرف شيء يسمى العوز أو الحقد أو التنافر الطبقي إذ يحظى الفقير والضعيف، والعاجز بعطف الأغنياء والأقوياء والقادرين ومعونتهم التي يبذلونها طواعية ومن غير ترفع ولا تعال،مما يقضي تمام القضاء على تلك الفوارق الاجتماعية والصراعات النفسية التى تعانيها المجتمعات الأوربية، وتهدد روابط الناس فيها بأفدح الاخطار.

ويقول المستشرق «فيتزجيرالد»: ليس الإسلام دينا فحسب ولكنه نظام سياسي أيضا. ويقول جيب: «إن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين في الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة» (١٣). ويقول البروفسير شبريل عميد كلية الحقوق بفيينا: إن محمدا ﷺ الذي تفخر البشرية بانتسابه اليها استطاع أن يأتي بتشريع قبل بضعه عشر قرنا سنكون نحن الأوروبيين أسعد مانكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي عام (١٤).

وقد فات هذا المستشرق أن هذا التشريع الذي يتحدث عنه أنما هو من عند الله عز وجل وليس من عند محمد ﷺ.

ويقول الدكتور«تارا»: لايمكن لمدنية من المدنيات أن تدعى بأنها لم تتأثر من قريب أو بعيد بدعوة هذ النبي الكريم ودينه وتشريعاته (١٥).

وقد شهد بسمو التشريعات الاسلامية وتقدمها المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد بلاهاي عام ١٩٣٧م، وقد أعرب رجال القانون الغربيين المشتركين فيه عن بالغ تقديرهم لها، ومن هؤلاء العميد الإيطالي «دل فيكو» الذي شهد بسموها ومرونة أحكامها «وايفارستوكاروزي» أستاذ القانون الروماني والعميد الامريكي «ويجيور» والفقيه الفرنسي «لامبير»□

الهوامش

١) القرآن كتاب الله الخالد.
٢) المرجع السابق.
٣) المرجع السابق.
٤) أنظر مقالنا: «أحكام الشريعة الأسلامية ومدى الحاجة إليها ووجوب تطبيقها» بالعددين الخامس والسادس لسنة ٥٩ بمجلة المحاماة.
٥) انظر مقالنا: «بين الشريعة الإسلامية والقانون الدستوري» الوعي الإسلامي، العدد٢٠٨، السنة١٨.
٦) التشريع الجنائي الاسلامي.
٧) احكام الاسرة بين الشرع والقانون، للمؤلف، ص٢٠.
٨) المرجع السابق. مقارنة الاديان، للدكتور احمد شلبي، ص٣٠.
٩) احكام الاسرة بين الشرع والقانون.
١٠) الوعي الإسلامي، السنة التاسعة، العدد٩٨، ص١٠٦. جريدة الأهرام في ٢٧/٤/١٩٧٥.
١١) قصة الحضارة، ج١٣، ص٢٤٤.
١٢) اسلم سنة ١٨٠٩م وتسمى باسم ابراهيم المهدي بن عبد الله.
١٣) الحرية العامة في الفكروالنظام السياسي في الاسلام.
١٤) الوعي الإسلامي، س٣، عدد ٢٦، ص٤٢.
١٥) محمد رسول الله مرآة الفكر الأجنبي، للدكتور عبد الفتاح علي شحاته، ص٤٩.



الدعـــوة الإسلاميــة ووسائلها الاعلامية ٣/٢

بقلم: سعيــــد احمد الأصبحـي

لعـــب القصــص القرآني؛ وما زال؛ دوراً بارزاً ومؤثراً في الدعوة الإسلامية

تعـرّض الكـاتب سعيـد أحمد الأصبحي في المقال السابق لتعريف الدعوة الإسلامية والداعية المسلم، وتعـداد وسـائل إعـلام الـدعـوة الإسلامية في عصر النبوّة. وفي هذه الحلقـة الثـانيـة والأخيرة يتحـدث عن الحرب النفسية والشعـر مبيناً أهمية الاستفادة من دروس السيرة الشريفـة في إقـامة إعـلام إسـلامي متميز.

الحرب النفسية

الحرب النفسيـة أو مـايسمى بـالحرب الباردة كانـت وسيلة من الوسائل الـدعائية التي قامت بها الـدعوة الأسلامية في بـدايتها حيث استخـدمت بعـض التمـويـه أو القـاء الرعب في المشركين بقصد أضعـاف عزيمتهم وروعهم. بما ينون فعله وأسوق هنا ثلاث حوادث حدثت في السـيرة أولها – والتي حـدثت قبل فتح مكة يحيث أمر رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب أن يجلس أبا سفيان حيث تمر به كتائب الايمان.

وتحركت كتائب الفتح كأنها بحر يموج، وكانت القبائل تمر علي راياتها كلما مـرت قبيلة سأل العباسي عنها وعن اسم القبائل فيقول: مالي وابن فلان؟ حتى مر رسـول الله ﷺ في كتيبة خضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لايـرى منها إلا الحدق من الحديد، فقال سبحانه اللـه! ياعباس من هؤلاء؟ قال: هذا رسول الله ﷺ في المهـاجرين والأنصار قالك ما لأحد بهؤلاء قبل ولاطـاعـة، واللـه يـا أبـا الفضـل لقـد أصبح ملك ابن أخيـك الغـداة عظيما،قال:ياأبا سفيان! انها النبوة، قال فنعم اذا (١).

بعـد هذا الموقف والمشهـد الـذي رآه أبو سفيـان مـاذا نتـوقع منه، أ مـاذا سيفعل؟وأي انسـان غير ه لن يفعل إلا كما فعل وهـو نقل مـاراه بحـذافيره وخصوصا أنه من سادات قـريش وأن الرسول ﷺ أعطاه الأمان ان جلس في بيته ففتحت مكـة دون قتال ودخلهـا ﷺ فاتحا ومطأطـأً رأسه للـه عز وجل الذي من عليه بهذا الفتح.

أما الحادثـة الأخرى فقـد حدثت في غـزوة أحد والمسلمـون يستعدون لها

فيقول رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقه»؟ فقام اليه رجال، وأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانه سماك بن خرشة أخو بني ساعده فقال: وماحقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه بحقه، فأعطاه أياه وكان أبو دجانه رجلا شجاعا يختال عند الحرب، اذا كانت ، وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء، واعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله، أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانه يتبختر: انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموطن (٢) لماذا؟ لأنها تثير الرهبة والذعر في نفوس الأعداء بل وتحطم معنوياتهم، وهذا أسلوب من أساليب الحرب الباردة، وهو أسلوب ناجح خصوصا عندما يكون الفريقان متجابهين فكل منهم يفرض قوته وفنه فكان أبو دجانه بعصابته الحمراء التي تدل على الدم نموذجا يرعب الكفار، والعصابة الحمراء تقول الويل لمن يقابل صاحبي هذا فمصيره الموت والهلاك، وكأن أبو دجانه بعصابته الحمراء يقول لكفار قريش هأنذا مميز بين المسلمين ليأتي الصنديد منكم لمقاتلتي.

أما الحادثة الأخيرة فقد حدثت في عمرة القضاء في السنة السابعة فقد خرج الرسول ﷺ مع أصحابه إلى العمرة، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عزل، وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه في عسره وجهد وشدة.

ثم صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه، فلما دخل رسول ﷺ المسجد اضطبع (٣) بدرائه، وأخرج عضده اليمني، ثم قال:رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا استلم الركن اليماني مشى حتى الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط ومشى سائرها (٤) توقعت قريش أن ترى أناسا متعبين من السفر والعسرة ولكنه أراهم ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ماتعجز عن ادراكه عقولهم القاصرة وهذا الأسلوب الذي تبعه ﷺ معهم أفاد أمور كثيرة منها:

١) جعلهم يتساءلون: هذا وهم متعبون من السفر يهرولون فما بالك وهم مستريحون.

٢) ألقى في قلوبهم الرعب والرهبة من عمل أي شيء للمسلمين أثناء عمرتهم أو نقض للعهد.

٣) أن الهرولة في الأشواط الثلاثة تعطي حماسة لدى المسلمين لتجاوز التعب والجهد. من الحوادث التي ذكرناها وغيرها نرى كيف أن الدعاية والحرب الباردة لها أثر كبير على منع العدو من أن يستهين بالمسلمين، بل علهيم أن يحسبوا لهم ألف حساب.

الشعر

يعتبر الشعر من الوسائل الاعلامية التي استخدمت في الدعوة الاسلامية رغم أنها تعتبر وسيلة ثانوية ولكن الرسول الكريم ﷺ استخدمها في دعوته ويأتي الشعر في المنزلة التي تلي منزلة الخطيب من حيث التأثير في الناس لذلك حرص رسولنا الكريم ﷺ وخلفاء الأمة بعده أشد الحرص على الخطيب وتعليمه فنونها وأساليبها.

وقد هاجم القرآن الكريم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول ﷺ ويثبطون عن دعوته: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون، والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالايفعلون. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٧].

فالقرآن لم يهاجم الشعر كله، وانما هاجم شعرا بعينه هو شعر المشركين الذين آذوا الاسلام والمسلمين (٥). وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «لان يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه (٦) خير من أن يمتلىء شعرا» (٧).

ويقول سيد قطب معقبا على قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالايفعلون﴾: ان طبيعة الاسلام لاتلائمها طبيعة الشعراء كما عرفتهم البشرية - في الغالب - لأن الشاعر يخلق حلما في حسه ويقنع به. فأما الاسلام فيريد تحقيق الحلم ويعمل على تحقيقه يحول المشاعر كلها لتحقق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع.

ثم يقول: ومع هذا فالاسلام لايحارب الشعروالفن لذاته انما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن، منهج الأهواء والانفعالات التي لاضابط لها، منهج الأحلام الموهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها، فأما حين تستقر الروح على منهج الاسلام وتنضح بتأثراتها الاسلامية شعرا وفنا، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع، ولاتكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها، وتدع واقع الحياة كما هو مشوها متخلفا قبيحا!

فأما عند ذلك فالاسلام لايكره الشعر ولايحارب الفن، كما قد يفهم من ظواهر الألفاظ. ومن ثم يستثنى القرآن في ذلك الوصف العام للشعراء، ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا﴾. فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام، هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة، واستقامت حياتهم على منهج وعملوا الصالحات فاتجهت طاقاتهم الى عمل الخير الجميل، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام وانتصروا من بعد ماظلموا فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا الى نصرة الحق الذي اعتنقوه.

ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصحاحبها في ابان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله ﷺ،حسان بن ثابت، وكعب بن مالك،وعبد الله بن رواحه،رضي الله عنهم من شعراء الأنصار ومنهم عبدالله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد كان يهجوان رسول الله ﷺ في جاهليتهما، فلما أسلم حسن اسلامهما ومدحا رسول الله ونافحا عن الأسلام (٨).

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان اهجهم أو قال هاجهم، وجبريل معك (٩) وعن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ ان الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ماأنزل. فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نفح النبل» (١٠).

والخلاصة أن النبي ﷺ لم يكن شاعرا ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ [يس:٦٩] وانما كان خطيبا وحدثا، ومن ثم كانت خطبه وأحاديثه من أكبر وسائل الاعلام والدعاية للاسلام - ذلك بعد القرآن

الدعوة الإسلامية ووسائلها الاعلامية ٢/٢

– ومع هـذا وذلك فـان محمـدا لم يتجـاهل الشعر ولم يـرد الشعراء وهـو يعلم جيدا أن لهؤلاء مكـانـه كبيرة في نفـوس العـرب منـذ الجاهلية، لذلك سمع الرسول شعرا في مدحه ومدح الدين الإسلامي الذي جاء من أجله كما سمع الرسول شعرا في ذم قريش (١١).

وقد استخـدم الشعر في عدة مـواقف منها ماكان في مـدح الرسول ﷺ فقد قـال حسان بن ثابت (١٢):

نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا هاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الاسلام فـالله نحمد
وأنت اللـــه الحق ربي وخالقي
بـذلك مـاعمـرت في الناس أشهد

كذلك استخدم الشعر في الحرب النفسيـة وهى هجاد وذم أعداء الاسلام من المشركين في مكـــة واليهود وفي خيبر وغيرها من المراكـز اليهـوديـة ومن قـول حسـان في هجاء خيبر على سبيل المثال (١٣):

لو كنت من هاشم أو من أسد
او عبد شمس وأصحاب اللوا الصيد
أو من بني نوفل أو ولد مطلب
لله درك لم تهتم بتهديد
أو كنت من زهرة الأبطال قد علموا
أو من بني خلف الزهر الأماجيد
يآل تيم ألا تنهي سفيهكمو
قبل (اللقاء) بـأمثال الجلاميد

وكـان الشعـراء الملازمين للنبي ﷺ واجب ثالث وهو تهنئة الـرسول بيوم النصر ورثاء القتلى من ذويـه وأصحابـه في ميدان الحرب، فقـد قـال حسان بن ثـابت، يـوم فتح مكـة قصيدة طويلة جاء فيها (١٤):

لنـــا في كل يـــوم من معـــد
قتـــال او سبـــاب أو هجـــاء
فنحكم بـــالقــوافي من هجـانـــا
ونضرب حين تختلط الـــدمـــاء
وقـــال اللـــه قـــد أرسلت عبـــدا
يقـــول الحق ان نفع البـــلاء
شهـــدت بـــه وقـــومي صـــدقــوه
فقلتم مـــانجيب ومـــانشـــاء
وجبريـــل آمن اللـــــه فينـــــا
وروح القـــدس ليس لـــه كفـــاء

وأخيرا كان من عمل الشعراء الملتفين حول النبي ﷺ أنهم يـردون على الشعـراء الـذين كانوا يهجونه ﷺ تقـربا للمشاركين. وهكذا كان يقوم الشعر في خدمة النبي ﷺ بكل هذه الـواجبـات التي ألقـاها على كـاهلـه ظهـور الاسلام.

■ أوليس الآذان مؤسسة إعلامية مستمرة ودائمة، تتولى التذكير بمعاني الدعوة الإسلامية بالإضافة إلي مهمته التعبدية؟

ولكنـا نعـود فنقـــــول ان الرسـول ﷺ – فيما يظهـــر – كـان لايعـول كثيرا على هـــذه الـــوسيلـــة الاعلامية أو هذا الشكـل مـــن أشكال الدعـاية، وذلك أن الشعر مهما عظم شأنه في تلك الفترة لايمكـن أن يقـاس من هـــذه النواحي بالقرآن الكريم والحديث الشريف أو بخطب الرسول ﷺ أو بـالقدوة الحسنة التي امتـاز بها المصطفى ﷺ أصحـــابـه الكـرام (١٥).

الخاتمة

نقـول في الخاتمة كما قلنـا في المقـدمـة أن الكتـابـة في هذا الموضـوع أمـر شيق وجميل ولكن يحتاج إلى مـراجع أفضل وأنا لا أبخس الكتـاب الـذين أخذت عنهم نقـولاتي في هـذا البحث ولكن يجدر الاشارة الى أنهم لم يعطوا الموضـوع حقه من البحث والتحليل بل كـان بعض الكتـاب يحاول ملء الكتاب بأخبـار لا تتصل بـالاعـلام الاســلامي أو من بـاب التوسع دون حاجة.

على كل أسأل المولى عــز وجل أن يقيض لهذا الموضوع وهذا المجال من يكون أدرى بكلتا الحالتين – الاعـلام والاسلام – حتى يخرج بنماذج وأفكار وابداعات ممتازة عن الاعلام في عهد البنوة وعهد الصحابة الكرام ومن جـاء بعدهم وكيفية الاستفـادة منهم ومن الأســاليـب التي ابتعــوهـا في نشر دعوتهم.

وليس هـذا بمستغـرب فمازال الغـرب يستفيد من خطط وأفكار القـائد (خالد بن الـوليـد) ولابـد أن هناك مـايستفـاد منـه اعلاميا من هـذه الـدعـوة الاسلاميـة وأساليبها وأهدافها□

هوامش

١) ابو الحسن النـدوي، السيرة النبوية، ص ٢٩٠.
٢) السيرة النبـوية لابـن هشام، المجلـد الثالث، ص ٧١.
٣) أي أدخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.
٤) السيرة النبـوية لابـن هشام، المجلـد الرابع، ص ١٢.
٥) الـدكتـور ابـراهيم امـام، الاعـلام الاسلامي،(المرحلة الشفهية)، ص٨٤.
٦) بفتح البـاء وكسر الـراد، من الـورى وهو داء يفسد الجوف، ومعنـاه قيحا يأكل جوفه ويفسده.
٧) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم (٩١٥٠٨ ص ٢٩٧، وقـد رواه سعـد ابن أبي وقاس(رضى الله عنه).
٨) سيـد قطب، في ظـلال القرآن ،المجلـد الخامس، ص ٢٦٢١.
٩) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم (١٧١٤)، ص ٤٥٨.
١٠) رواه الامام أحمد بن حنبل.
١١) د/ عبـداللطيف حمزه، الاعـلام في صدر الاسلام، ص ١٩٠.
١٢) ديوان حسان بن ثابت، ص ٩٦.
١٣) ديوان حسان بن ثابت، ص ٨٤.
١٤) ديوان حسان بن ثابت.
١٥) د/عبـداللطيـف حمزه، الاعـلام في صدر الاسلام، ص ١٩٥.

القصيدة العربية المعاصرة وإشكالية الغموض

بقلم: قطب الريسوني

■ إن شعراء «الحداثة» في غفلة عما يرومه الخطاب الشعري المعاصر من مقاصد تتحقق معها وتتألق رسالته التغييرية الاستشرافية

إذا كان للفن على الشاعر حق هو إن قصر في الوفاء به تنصل من تبعة المسؤولية وكلفة الالتزام، فبماذا نسوغ استشراء ظاهرة (الغموض) في الشعر العربي المعاصر إلى حد بات معه هذا الشعر أو كاد كتلة من الطلاسم والألغاز يشق على القارىء المثقف فكها، ناهيك عن القارىء العادي الذي يقنع من الطلب والتحصيل بقراءة الأخبار وتقصي الحوادث..

الحداثة والحداثيون

ولعلنا لانعدم من ينهض بالإجابة عن هذا التساؤل، سيما ممن ملأت عليهم (الحداثة) أسماعهم وجوارحهم، وهم قوم فيما نعتقد، قد لاتعوزهم فحولة المواجهة، وصلابة التحدي، مادامت الردود معلبة، والأجوبة جاهزة، وان كان كل مايتشدقون به من حجج وذرائع في تسويغ شيوع ظاهرة الغموض، هو أقرب إلى هذيان الحمى منه إلى كلام العقلاء، وإلا فكيف يمكن التسليم بقول (الحداثيين) بأنه ليس من الضرورة القاهرة لكي نتذوق جمال الشعر أن ندرك أبعاده ونكتنه مغازيه، لأن مثل هذه المقاربة قد تفوت علينا فرصة التمتع، وكأنهم بذلك – أي الحداثيين – يقصرون وظيفة الشعر على الامتاع والتسرية، ناسين أو قل متناسين أن الخطاب الشعري المعاصر مطالب في ظروفنا هاته بأقصى حظوظ الثورة والالتزام، حتى يتسنى له الانصهار في أتون المرحلة وخوض غمرات التغيير والبناء.. ولا أخالني أركب في الحديث مركب الغلو والإسراف إذا زعمت أن الكلمة الشاعرة قد غدت في زماننا هذا (الفارس المنتظر) الذي من شأنه أن يعيد صياغة العالم وفق موازين قد تكفل لكافة بني البشر رغادة الحياة وبلهنية العيش..

بات من الواضح اذن أن شعراء (الحداثة) في غفلة عما يرومه الخطاب الشعري المعاصر من مقاصد تتحقق معها وتتألق – بالآن – عينه، رسالته التغييرية الاستشرافية، وهي غفلة استتبعها استخفاف بمسؤولية الإبداع والتزام الفن في سبيل تجديد القصيدة المعاصرة على نحو يفي بمستجدات الواقع وتطورات الحياة. لكن متى كان التجديد على حساب الالتزام الذي ينشده الشعر، بل وينشده الأدب بمختلف ضروبه ومتباين أجناسه؟ وهل يغني التجديد التنكر للموروث والانبهار بذات الآخر الى حد التماهي والاستلاب؟ وهل يكمن التجديد في غموض اللغة وغرابة الصور وركاكة الاساليب؟

اسئلة كثيرة تختمر في الذهن

أسئلة كثيرة تختمر في الذهن، ونحن نشهد واقع القصيدة المعاصرة، وقد أمست متاهات واسعة تتراكب فيها الصور وتغمض الاخيلة وتتبعثر الكلمات، بحجة تفجير اللغة، أو بذريعة الافصاح عن مكنونات اللاشعور، وأخيراً لاشىء يميز القصيدة المعاصرة سوى (خطرفات) فارغة وهلوسات مريضة، لاينتظمها خيط أو يستقيم بينها رباط، وإن شئنا دليلا شاهدا على ما نذهب إليه فلنستمع إلى قصيدة الشاعر محمد عفيفي مطر، يعرض فيها لما يكمن في تلافيف (اللاشعور) من خطرات وهواجس أشبه ماتكون بأضغاث أحلام، ومن صور يشق على الشاعر نفسه تبين معالمها، واستجلاء دلالاتها يقول:

تلبس الشمس قميص الدم، في ركبتها جرح بعرض الريح
والأفق ينابيع دم مفتوحة للطير والنخل
سلام هي حتى مشرق النوم سلام
ونساء النهر يطلعن
خلاخيل من العشب، استدارات من الفضة والطمي
انتهاء بللته رغوة الماء
تصايحن على الطير وبالسيلان يمسحن زجاج الأفق
يبكين بكاء طازج الدفء
سلام هي حتى مشرق النوم سلام
ضمت الحقول ركبتها واستراحت اسنة المحاريث
ونامت الثعابين
سلام ظلامي يتكوم قشا ناعما وغبا
والثيران أغفت واقفة، تتكسر أنجم الليل في حدقاتها
الفسفورية الغائبة
سلام لنا ع من ليل رحيم
نام النصف الهالك ولم يستيقظ النصف الحي (١)..

نموذج من هوس الحداثة

وهذا الشاعر شوقي أبو شقرا يتمكن منه هوس الحداثة الى حد يمسي معه شغوفا باقتناص الالغاز، وتصيد الاحاجي، مما جعل شعره يشكو شحا في الدلالة وفتورا في الايحاء كان بمستطاعه تحاشيهما لو اعتمد ضربا من الغموض (الواضح) وهو غموض قمين بأن يرفد الشعر أيا كان متجهه ومنزعه بمسحة الخيال وسيماء الإبداع، ونجتزىء هنا للتمثيل بقصيدة لهذا الشاعر يعرض فيها لنفثات خيال مريض، وخطرفات نفس يسكنها وهم الحداثة

وخرافة التجريب يقول:

أقرا الكواكب وكتاب السحر وتصفيف الشجر
أقابل العمال والفلاحين
أفتح القبو لحماري
يلبط القمر، بعض المسافرين، يرفع أذنيه إلى..
ملكوت السموات فوق رأسي
يغوص في الزيتون والعاصفة
هو من الفولاذ والسمع
أشعله مجانا ليلمع ويضيء العالم، حين كسوف الشمس (٢)..

ترى أين تكمن روعة الخلق وقوة الابداع في هذه التراكيب المبعثرة والصور المبهمة؟ فاذا كانت القصيدة الحداثية قد كتبت افصاحا عن مكونات (اللاوعي)، فان (اللاوعي) لايعني (اللامعنى) أو (اللادلالة)، لأن (اللاوعي) الشعري مفعم بالإيماءات الدالة، مشحون بالاشارات الموحية، التي تقتضيها طبيعة أي عمل أدبي، و(اللاوعي) الإنساني الذي يشحنه الهاجس الشعري والكلمة المجنحة، ليس في واقعه إلا انعكاس متوهج لنبض الروح، وبوح شجي بخفقات النفس البشرية..

أما اذا كانت هذه القصيدة قد كتبت تفجيرا للغة الحاضرة وبحثا عن لغة جديدة فمن شأن هذا التفجير أن يفضي إلى نسف العلاقة الاشارية الكائنة بين الأشياء ومسمياتها، (فلا تعود الكلمة اشارة الى الشيء وتسمية له، بل تصبح استثارة لانواع مختلفة من السياق) (٣) مما يشفع لنا بالقول بان لغة (الغموض) لاتستحضر الحدث في وجوده الفعلي، بل تقصيه وتنسج حوله شبكة من التداحلات والامكانات، تنسف العلاقة الاشارية بين الاشياء والاسماء (حتى ان الشيء يتحول إلى وجود رمزي صرف يختفي فيه اختفاء شبه مطلق) (٤)..

وهكذا توالدت في اطارمفهوم الحداثة نماذج شعرية، اشتقت لنفسها اشارية غير تواصلية، هي من الغموض والابهام بالدرجة التي أمسى معها الشعر ألغازا لايفقهها شعراء الحداثة أنفسهم، ولئن كانت هذه اللغة تروم الانعتاق من أسر العبارة المتواترة والرمز المستهلك والصورة المبتذلة، وتطمح إلى استغلال كل الطاقات الممكنة والمتاحة في المعجم اللغوي والانساني، على نحو يرفد الكلمة الشاعرة بحمولة من الإيحاءات الرفافة والرؤى المتوجهة، فان تحقيق مثل هذه المقاصد لايقتضي التمرد على الأعراف السائدة والقيم الموروثة، دون اكتراث بمقومات انتمائنا الروحي والحضاري، وهي مقومات من شأنها أن تكفل لنا دواعي التحصن من الذوبان الفكر والاسترقاق الثقافي..

مفهوم الحداثة المتطرف

ولما كانت الحداثة - بمفهومها المتطرف - زلزلة حضارية عنيفة تروم الثورة على كل ماكان، وما هو كائن في المجتمع، فهي لم تنج من الوقوع في مغبة العبث الفكري، بل وأصبح هذا العبث صفة تدمغ بها الحداثة حيثما أصبحت وأمست، ولم يكن للشعر كجنس أدبي أن يسلم من معاول هدم الحداثة، وقد نكب بلوثة (الغموض) تحت ستار حجج هشة وذرائع واهية لاتثبت تحت مشرحة النقد والتحميص، ولعل في مقدمة هذه الحجج والذرائع مايتشدق به نفر غير قليل من (الحداثيين) من أن الشعر ضرب من السحر يطمح إلى ادراك ما لايدركه العقل، أو قولهم ان الشعر نقيض الوضوح، لأن الوضوح ينفي عن القصيدة سيماء العمق، ويشل فيها نوازع السبر والاستشراق..

ولست أدري أي فكر هذا يمكن للكلمة الشاعرة أن تنهض بالافصاح عنه أن قصر العقل عن إدراكه، ولست أدري للمرة الثانية كيف يمكن ان نقطع لشعر ما بنضج الرؤية واستواء الفن مالم نستطع استجلاء ابعاده واكتناه مغازيه، وإن كنت لا أرتاب لحظة أن أول مايشترطه الفن الرفيع وآخره في العمل الأدبي هو التزام الوضوح في الرؤية والصفاء في التفكير على نحو يسعف الناس، وفيهم القراء والنقاد، على تبين هذا العمل في صورة بارزة المعالم واضحة الشيات، مما يحملنا عملا على الاعتقاد بأن الغموض ليس مرادفا للعمق والجودة في الشعر كما ذهب إلى ذلك زعيم (الحداثيين) أدونيس حين قال: (أفخر الشعر ما غمض) وهو قول لم يكن صدوره عن استقراء وئيد بقدر ماكان عن ارتجال في التفكير واستعجال في النظر..

ونحب أن نبادر هنا إلى القول بأن ظاهرة (الغموض) لم تكن أثرا من آثار جعل اللغة حقلا للتجريب وموضعا لاصطناع الحداثة فحسب، بل كانت في بعض الاحيان متسترا لضحالة البصيرة الفنية وضعف المقدرة الأدائية، وآية ذلك أن من الشعراء من يعجز عن استيضاح أفكاره فيحملها إلى القراء بصيغها الاولى التي جادت بها القريحة، على ماتلبس هذه الصيغ من غموض وضبابية، مما يجعل المتلقي مطالبا بأقصى حظوظ المثابرة والاجتهاد، حتى يتسنى له تجشم الصعاب وفك الطلاسم، مادام باع الشاعر قد قصر عن استيضاح الافكار وايفائها حقها من التمثيل والتحقيق الحسي..

من هنا يغدو لزاما على نقادنا المعاصرين أن يأخذوا أنفسهم بشيد غير قليل من الوعي واليقظة، يشددون معهما النكير على أناس لايقبلون على انتاج الشعر عن ايمان بضرورته وتفهم لمسوغات وجوده، بل يغريهم بقرضه مايتوهمون فيه من اليسر واهدار الضوابط واختراق الاعراف، وما يظنون فيه من أسجاف تحجب عن أعين الناس ضحالة الفكر واسفاف الفن..

خطر شيوع ظاهرة (الغموض)

ليست بخافية علينا إذن أخطار شيوع ظاهرة (الغموض) في الشعر العربي المعاصر، ولئن أردنا تبين هذه الأخطار على نحو غاية في الجلاء والوضوح وإمعانا في التحذير من مغبة شيوع هذه الظاهرة، فلنا أن نستقطبها فيما يلي:

أ) إن ظاهرة الغموض تشكل في حد ذاتها أو في صورتها المجردة عائقا ابستمولوجيا امام دارسي الشعر المعاصر وناقديه، ولعل هذا مايعلل غياب حركة نقدية رصينة تواكب بالتقييم والترشيد ذلك الزخم الهائل من الانتاجات الشعرية الذي تنوء به بطون الدواوين وصفحات المجلات والجرائد.. إذ ليس من المعقول في شيء، أن يقطع ناقد بحكم في شعر ما مالم يستطع تعمق معانيه واستبطان أبعاده، مما يشفع لنا بالقول - في منأى عن أي تحفظ أو احتراس - ان لاستشراء ظاهرة الغموض اليد الطولى في نسف معادلة التوازن بين الحركة الشعرية والحركة النقدية، وهو نسف فوت على الشعر فرصة التقييم النقدي الذي من شأنه أن يرقي بالعطاء الشعري وما سواه من فنون الأدب وألوان الابداع إلى آفاق التجويد والاتقان..

القصيدة العربية المعاصرة وإشكالية الغموض

ب) إن ظاهرة الغموض تقصي المتلقي من العملية الإبداعية إقصاء يفوت عليه فرصة تغذية الذوق وإهاف الإحساس، ويحرمه في الآن عينه من الحكم النقدي الذي من شأنه أن يرفد فطرته بضرب من التمييز يسعفه في فرز سمين الشعر عن غثه، ولعلنا نستطيع أن نذهب في هذا القول بعيداً فنزعم أن لشيوع ظاهرة الغموض ضلع أي ضلع في إفساد الذوق الشعري سواء عند جمهور القراء أو لدى الشعراء الشباب الذين كثيرا ما يفزعون الى تقليد المبرزين من شعراء الحداثة، خشية أن يُنعتوا بالقدم في أسلوبهم ومنحاهم الفكري، أو حرصا منهم على الظفر بسيماء الغموض في الشعر، بوصفه مرادفا لنضج الرؤية واستواء الفن في العمل الادبي.. ج) اذا كان للشعر ان يصطبغ بنوع من الغموض (الواضح)، وفاء بمقتضيات الفن ودواعي الجمال فقد لايكون له أن يغرق في الغموض ويمعن في الترميز الى حد يسمى معه حفنة من الطلاسم والأحاجي، تعنت الذوق والفهم والشعور جميعا، وتستخف في الآن عينه بمسؤولية الابداع والتزام الفن، لان الشعر اذا ما استغلق على الذات الذائقة، حاد عن المقاصد النبيلة التي تتألق معها رسالته التغييرية الاستسرافية.. هذا مادامت الكلمة الشاعرة رهان الحاضر والمستقبل عليها تعول الإنسانية في رحلة التجاوز والاستشراف: تجاوز الواقع المعاش بما يثقله من تناقضات واحباطات واستشراف المستقبل المشرق والغد المأمول..

د) لم تكن ظاهرة الغموض إلا أثرا من آثار التباعد عن اللغة التراثية والتنكب عن مواضعاتها المعروفة واستعمالاتها العادية، ففي إطار مفهوم الحداثة طفرت على الساحة الأبداعية نماذج شعرية اشتقت لنفسها لغة اشارية باطنية تنأى كل النأى عن التواصل الجماعي، وتدنو في الآن عينه أشد الدنو وأقواه من لغة المتصوفة أمثال النفري والحلاج ومن لف لفهما من المتمردين على العقيدة والسلطة الشرعية، ومن ثم لم يعد بخاف علينا أن من أخطار شيوع ظاهرة الغموض جعل اللغة حقلا للتجريب وموضعا لاصطناع الحداثة، مادامت عاملا أساسياً في موروث طال عليه العهد والامد، وهذا مما يعرض اللغة العربية في رأينا الى ضروب من العبث وألوان من المسخ لانظنها تنتهي بلغة القرآن إلى مانرجوه لها من علو الشأن وجلاء المنزلة..

ما بين الحداثة والتجديد

هذا ولانحب أن يفهم من كلامنا عن الحداثة في الشعر أننا نرفض تجديد القصيدة المعاصرة على نحو يفي بمستجدات العيش وتطورات الحياة، فمما ينزل في التصور منزل البداهة أن الشعر كائن حي يمسه ما يمس الكائنات الأخرى من ألوان الرقي وأضراب التكيف، ولعلنا لانعدم في صفحات تاريخ الشعر ماينهض دليلا دامغا على أن طبيعة الشعر المرونة لا التحجر، التفتح لا التقوقع، ومن ثم لم يكن له أن يستغنى في أي عصر من الأعصار عمن ينهض بتحديده وفاء بالمستجدات الطارئة، شريطة أن لا يكون هذا التجديد رفضا لكل سائد، واصطناعا لمنطق الاباحة المطلقة، بمعنى أن لايكون دعوة محمومة للانفصام عن التراث التنكب عن تمثله واستيحائه فيما نرومه من (تحديث) و(عصرنة)، ذلك أن الحداثة في جوهرها الاصيل استجابة لتحديات الواقع والحضارة، ولعل أول ماتفترضه هذه الاستجابة وآخره الوقوف عند منعطفات التراث لاجراء الحفريات وتحديد المعالم على نحو يسعفنا في إدراك الثابت والمتغير ادراكا نتخذ في ضوئه مواقفنا من الانسان واشكاليات العصر، فينتج بالتأسيس على ذلك الوعي بالحاضر والتراث على حد سواء، وهو وعي قمين بأن (يبصرنا بطرق الاستفادة مما هو انساني ومشترك بين الحضارات) (٥) ويصوننا في الآن عينه من دواعي التماهي والانسلاخ..

ولايفوتنا التنويه هنا بشعراء لم يخطئهم التوفيق فيما حاولوه من (تحديث) القصيدة المعاصرة، دون أن يحملهم هذا (التحديث) على ألغاز الشعر وتعتيم أبعاده بصورة تفضي إلى انسداد الافق ومحدودية الروية، ومن هؤلاء الشعراء صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وعبد الوهاب البياتي وغيرهم ممن حمل لواء التجديد في الشعر المعاصر، وفقه مفهوم (الحداثة) على نحو من النضج العقلي والوعي بالذات..

على أن التزام هؤلاء الشعراء الوضوح في التعبير والصفاء في الرؤية لم يكن ليسم قصائدهم بميسم التقريرية الجافة والخطابية الزاعقة، وإلا أصبح (الوضوح) في مثل هذا الحال نقيضا للفن، يفضي إلى الزراية بجمالية النص الشعري، والعصف بوقعه الاثيري بيد أن شعراءنا وفقوا أيما توفيق في احداث توازن مضبوط بين (الغموض) و (الوضوح) بحيث يبدو الوضوح بيانا للغموض، ومفتاحا يسعف في فك رموزه، وبعبارة أخرى، فقد اعتمدوا ضربا من (الغموض الواضح) أو (الوضوح الغامض) وفاء بدواعي الجالية وخضوعا لمقتضيات الفن..

آفة (الغموض) وشعر الأرض المحتلة

وكم كنا نأمل أن لاتطول آفة (الغموض) شعر الأرض المحتلة، وهو الشعر الذي يحمل بذور الثورة تميمة في مستقر وجدانه، ومعزوفة شجية في حلقه، ولعل أول مايشترط في شعر الثورة وآخره التواصل الحميم مع الشعب العربي صفاء في الرؤية وشفافية في الشعور وانعتاقا من أسر الضبابية والتهويم.. فمن شأن هذا التواصل أن يعمق في النفوس والضمائر الوعي بالمسؤولية واستشعار الخطر الداهم الذي يحدق بأمة الإسلام..

ولسنا نعدم في ديوان الشعر العربي المعاصر نصوصا شعرية تنهض بالتدليل على مآل اليه حال شعر الأرض المحتلة من غموض في التعبير وغبش في الرؤية وهلهلة في البناء، وهي نصوص من الوفرة والكثرة بالدرجة التي تتأبى معها على العد والاحصاء، لكننا سنتجتزيء للتمثيل هنا بقصيدة للشاعر محمود درويش يعرض فيها لما يلوب في تلافيف نفسه، من خطرات متقطعة وهواجس مريضة، أملتها نفثات خيال عشق (الحداثة) وهام بـ(الجريب)..

تفاحة للبحر، نرجسة الرخام، فراشة حجرية
بيروت شكل الروح في المرآة
وصفي المرأة الاولى ورائحة الغمام
بيروت من تعب ومن ذهب واندلس وشام
قصة زيد وصايا الارض في ريش الحمام
وفاة سنبلة، تشرد نجمة بيني وبين

حبيبتي بيروت لم أسمع دمي
من قبل ينطق باسم عاشقة تنام على دمي وتنام
من مطر على البحر اكتشفنا الاسم من طعم الخريف
وبرتقال القادمين من الجنوب كأسلافنا تأتي إلى بيروت، كي نأتي الى بيروت (٦)..

فليس يخفى علينا ماتلبس القصيدة من غموض افتقدت معه غناء الايحاء وثراء الدلالة، وان كان مايرومه الشاعر من الإمعان في الترميز والاستجارة بالغموض هو تفجير اللغة على نحو يشحن الكلمة الشاعرة بفيض من الايماءات المشعة والرؤى المجنحة، التي تتشعب معها طرق الادراك وتتعدد مسالك التأويل..

ولئن أخذنا أنفسنا بشيء من الإغضاء عما حاوله الشاعر من تفجير اللغة، وتخريب الكائن لأجل إقامة الممكن وانتحلنا له عذرا هو سعيه إلى تبني لغة شعرية جديدة قوامها (المفاجأة) و (الاستثناء) واستغلال كل الطاقات الممكنة والمتاحة في المعجم اللغوي والانساني استغلالا يجسد حيوية الواقع ونبض الحياة، فقدلا نجيز له ماتلبس القصيدة من هلهلة في البناء وتفكك في الأوصال إلى حد لم تسلم معه من الوقوع في مغبة التهرؤ المنهجي، وهو تهرؤ قد لايعده السواد الأعظم من الناس، وفيهم القراء والنقاد، نقيصة يرمي بها الشعر، مادام العمل الإبداعي في جوهره وصلب طبيعته يتأبى الخضوع لمنازع المنطق وصرامة الأقيسة النظرية، ومن ثم يغدو من الاجحاف أن يحاسب الشعر من منظور علمي صارم يفسد عليهم تلقائية الانسياب وعفوية التدفق..

وعلى مايبدو على هذا الرأي من السداد والوجاهة، فإنه لايصمد كثيرا تحت مجهر النقد والتشريح، ذلك أن ما نلحظه على البنية الشعرية من سيماء التلقائية وطابع الارتجال لايمكن أن يتحقق فنيا (إلا بحساب جمالي دقيق وهندسة صارمة للصوت والصورة، وتخطي مسبق للحرف والكلمة وفهم عميق للوزن والموسيقى) (٧)..

مصادر الإلهام الشعري

ولسنا نعني بهذا ان مصدر الالهام عقل (الكتروني) وآلة حاسبة أو ان الابداع معادلة رياضية تحتمل حدود المنطق، وتخضع لأقيسة العلم، فمما ينزل في التصور منزل البداهة أن (العفوية) و(البراءة) و(التلقائية) سمات فنية تقتضيها أصول الفن الرفيع، فلا مندوحة للفن أيا كان منحاه، ومنزعه من استيفائه لهذه السمات اذا ما أراد النزوع لآفاق النضج والاصالة. بيد أن الادوات الفنية التي ألمحنا إليها سابقا، تترسب بالمران والتجربة في الطبقة (اللاواعية) من وجدان الذات الشاعرة الى حد تستعيض معه ساعة التأمل ولحظة المخاض عن (الوعي المطلق) باللاوعي الذي لايتغاضى هنيهة في قوة انسيابه وحرارة تدفقه عن الخبرات النامية في أعماق الشاعر، وهي خبرات تتفاعل مع ترتيبات الذهن الخلاق على نحو ممعن في التعقيد، مما يسفر عن ولادة عمل فني محكم البناء متراص الأجزاء..

وإن بدت عليه في نهاية الأمر علائم التلقائية والاضطراب.. فلا مناص إذن من محاسبة الشاعر على الأسس والدعائم التي استند عليها في عملية البناء الفني، (فلربما كانت أسسا واهية قد تسببت في هذا الشرخ أو ذاك من شروخ العمل الشعري، تختلف من حيث الدرجة والنوع عن العفوية والبراءة والتلقائية والاضطراب في البنية الشعرية العظيمة) (٨)، والتي من شأنها أن تحيل النص الشعري الى حفنة من الأفكار والأحاسيس والصور، لاينتظمها غير ثوب مهلهل النسيج، فاسد اللحمة والسدي..

لن تتحقق الحداثة في الشعر اذن باحتذاء (جون بيرس) وأذنابه، ولابمشايعة (أدونيس) واضرابه، لان الاحتذاء والمشايعة عدوان للحداثة الشعرية (٩)، في جوهرها الأصيل أي بوصفها استجابة لتحديات الواقع والحضارة، وهي استجابة مشروطة بالتعبير عن واقع المجتمع العربي والإسلامي وتمتين عروى التواصل بين جمهور هذا الواقع، على نحو يضمن معايشة المتلقي لبوح الكلمة ولهاث الحرف. ولايتعالى عليه بدعوى التجريب وتخريب الكائن لإقامة الممكن. فشاعر الإنسانية الحق يعلم يقينا أن الكلمة في بساطتها وتوهجها سلاح فعال في معركة التغيير والبناء، وأن الحرف في نقاذه وثوريته فارس شجاع يثير النقع باستمرار ليرسو الحافر على أرض الخلاص، بينما ألغاز (الحداثيين) لاتشذ عن كونها أسلحة مفلولة ظفرت في مناخ (التماهي) و(الانسلاخ) بسوق رائجة تنكأ فيها الجرح وتعدم البلسم، تفرز الحلم ولاتقارع التحدي..

ولعل ما يرتبط بالحداثة الشعرية ارتباطا وشيجا، أن نضطلع بالاجابة عن أسئلة اساسية، نعد منها ولانعددها:

أ) لماذا نكتب؟
ب) كيف نكتب؟
ج) لمن نكتب؟

وتلك أسئلة من الأهمية والخطورة والشأن بالدرجة التي تقتضي منا قبل استعجال الاجابة أن نأخذ أنفسنا بشيء غير قليل من التدبر والتأمل وإمعان النظر..

هذا رأينا نبديه في ظاهرة (الغموض) دون غمغمة أو تلجلج، ولسنا ندري هل يشاطرنا في هذا الرأي الشعراء والنقاد والناس جميعا، أم لهم في هذه الظاهرة رأي آخر، فان تكن الاولى فعند الصباح يمدح القوم السري كما يقول المثل العربي القديم، وان تكن الثانية فما أمس حاجتنا إلى أن نصغي السمع للرأى المخالف، وما نشك أننا سننتفع به ونفيد منه، فليس كالتضارب في الرأي واللجاج في الكلام من شيء يرقي بالدرس الأدبي إلى آفاق النضج والاستواء، شريطة أن لايكون التضارب من أجل التضارب، واللجاج من أجل اللجاج إنما من أجل حق ننشده، وباطل نستعلي عليه، وإلا أصبح الجدال سفها ومماحكة لاطائل من ورائهما□

هوامش:

١) من قصيدة (قراءة) للشاعر محمد عفيفي مطر، نقلا عن مقال (الحداثة والتراث) للدكتور محمد مصطفى هدارة، مجلة الهدى، العدد ١٦و١٧، سنة ١٩٨٧، ص٤٣.

٢) شوقي ابي شقرا، نقلا عن عبد الحميد جيده، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، بيروت، مؤسسة نوفل، ١٩٨٠م، ص٢١٣.

٣) من مقال (الحداثة والتراث) للدكتور:محمد مصطفى هدارة، مجلة الهدى، العدد ١٦و١٧ص٤٢.

٤) نفسه.

٥) انظر مقال (الحداثة.. مالحداثة) للدكتور حسن الأمراني، مجلة المشكاة، العدد ١٥و١٦ سنة ١٩٩٣م.

٦) من (قصيدة لبيروت) للشاعر: محمود درويش، نقلا من مقال (الحداثة والتراث) للدكتور: محمد مصطفى هدارة، مجلة الهدى، العدد ١٦و١٧، السنة ١٩٨٧، ص٤٤.

٧) انظر مقال (ابعاد البطولة في شعر المقاومة العربية) للدكتورغالي شكري، مجلة الآداب البيرتية، العدد السابع، السنة السابعة عشرة، ١٩٦٩م، ص٣٣.

٨) انظر مقال (ابعاد البطولة في شعر المقاومة العربية) للدكتور غالي شكري مجلة الآداب البيروتية، العدد السابع، السنة السابعة عشرة، ١٩٦٩م ص٣٢.

٩) انظر مقال (الحداثة.. مالحداثة؟) للدكتور حسن الامراني، مجلة المشكاة المغربية، العدد ١٥و١٦، سنة ١٩٩٢م، ص١٢٢.

جولات في روضات الجنات

نفوس صافية

بقلم: محمد رشيد العويد*

لعلك فكرت يوماً في أن تعتزل هذا المجتمع، الذي بات أهله يحسدون كل صاحب نعمة، ويضيقون بكل إنسان آتاه الله من فضله، وباتت علاقات الناس فيه قائمة على المصلحة وحدها، فلا أثر لمودة صادقة، ولا مكان لصداقة مخلصة، ولا وجود لقيمة سامية..!

وربما فاجأك صديق بما يضمر لك في نفسه من ضغينة، وآلمك قريب بما بدر منه من عمل دلّ على ما في نفسه من حسد لك، فزادك هذا عزماً على اعتزال المجتمع، وهجرة الناس، والانزواء في بيتك بعيداً عنهم.

هذا أحد وجوه النقص في متع هذه الحياة الدنيا، فإنك لا تكاد تجد صديقين استمرا في صداقتهما مدى الحياة، أو قريبين لم يختلفا قط، أو شريكين لم يتنازعا ويفضّا شراكتهما.

إن النفس الإنسانية، تحتاج إلى تزكية طويلة مستمرة، لتتحرر من كل ما فيها من حسد وغل، حسد وغل ينغصان صفو الحياة، ويفسدان كثيراً من الصداقات، ويخربان كثيراً من العلاقات، ويثيران النزاع بين كثير من القرابات.

أما في جنة الخلد، فالأمر مختلف تماماً، كما يبشرنا سبحانه في هذه الآية الكريمة التي يصف فيها أهل الجنة بأنهم إخوان متحابون .. بعد أن نزع الله ما في نفوسهم من غِلّ: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر:٤٧].

وفي آية أخرى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ تجري من تحتهم الأنهار﴾ [الأعراف:٤٣].

يقول ابن منظور في لسان العرب «الغل بالكسر: الغش والعداوة والضغن والحقد والحسد. ومعناه في التنزيل العزيز والله أعلم: أنها لا يحسد بعض أهل الجنة بعضاً في علو المرتبة، لأن الحسد غِلّ، وهو أيضاً كدر، والجنة مبرأة من ذلك (١).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونقّوا، أذن لهم في دخول الجنة. فوالذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة .. أدلّ منه بمسكنه في الدنيا».

قال قتادة: قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾.

وفي الظلال: «إن هذا الدين لا يحاول تغيير طبيعة البشر في هذه الأرض، ولا تحويلهم خلقاً آخر. ومن ثم يعترف لهم بأنه كان في صدورهم غل في الدنيا، وبأن هذا من طبيعة بشريتهم التي لا يذهب بها الإيمان والإسلام من جذورها، ولكنه يعالجها فقط لتخف حدتها، ويتسامى بها لتنصرف إلى الحب في الله والكره في الله – وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ – ولكنهم في الجنة، وقد وصلت بشريتهم إلى منتهى رقيها، وأدت كذلك دورها في الحياة الدنيا: يُنزع أصل الإحساس بالغل من صدورهم، ولا تكون إلا الأخوّة الصافية الودود.

إنها درجة أهل الجنة .. فمن وجدها في نفسه غالبة في هذه الأرض، فليستبشر أنه من أهلها، ما دام ذلك وهو مؤمن، فهذا هو الشرط الذي لا تقوم بغيره الأعمال..» (٢).

ويقول القرطبي في (الجامع): «ذكر الله عز وجل فيما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم. والنزع: الاستخراج. والغل: الحقد الكامن في الصدر. أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا. قال النبي ﷺ: «الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين». وقيل نزع الغل في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم» (٣).

ويبسط الرازي هذه المعاني ويزيد عليها فيقول: «فأعلم أن نزع الشيء قلعه عن مكانه، والغل: الحقد. قال أهل اللغة: وهو الذي يغل بلطفه إلى صميم القلب، أي يدخل، ومنه الغلول، وهو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة. ويقال: انغل في الشيء، وتغلغل فيه، إذا دخل فيه بلطافة، كالحب يدخل في صميم الفؤاد. إذا عرفت هذا – يقول الرازي – فنقول: لهذه الآية تأويلان:

القول الأول: أن يكون المراد أزلنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا. ومعنى نزع الغل: تصفية الطباع وإسقاط الوساوس ومنعها من أن ترد على القلوب، فإن الشيطان، لما كان في العذاب، لم يتفرغ لإلقاء الوساوس في القلوب. والقول الثاني: إن المراد منه أن درجات أهل الجنة متفاوضتة، بحسب الكمال والنقصان، فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى أن صاحب الدرجة النازلة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة.

قال صاحب (الكشاف): هذا التأويل أولى من الوجه الأول، حتى يكون هذا في مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرّئ بعض أهل النار من بعض، ولعن بعضهم بعضاً، ليعلم أن حال أهل الجنة في هذا المعنى أيضاً مفارقة لحال أهل النار» (٤).

الهوامش:

(١) لسان العرب، المجلد الثاني، ص١٠٠٨.
(٢) في ظلال القرآن، المجلد الرابع، ص٢١٤٥.
(٣) الجامع، مجلد ٧، ص٢٠٨.
(٤) التفسير الكبير، ج ١٤، ص٨٠.

*مدير تحرير مجلة (النور) – الكويت

لقد ذكر الفقهاء انه كما أن للوالد على ولده حقوقا فإن للولد على أبويه حقوقا ينبغي عليهما القيام بها، فيلزمهما تربيته تربية حسنة، كل بما يناسبه، فالأم تحضنه وترضعه، والأب يقوم بمصالحه ولوازمه، فينفق عليه ويؤدبه عند استعداده لذلك، بأن يعوده على اكتساب الأخلاق الحسنة، والبعد عن الخصال السيئة، فإذا بلغ من العمر سبع سنين علمه اداء الصلوات، وفعل الطاعات، واجتناب المنهيات، ونظمه في سلك ما هو مستعد له من العلوم والمعارف أو الحرف والصنائع، وله أن يؤجر الصبي المميز بالمعروف وأن يأذن له في التجارة بماله بما يناسب حاله، من أجل تهيئته وتأهيله وإعداده ليصير عضوا عاملا نافعا في الهيئة الاجتماعية، قادرا على حفظ ماله وصونه وتنميته وتثميره عند بلوغه رشدا (١). كذلك ينبغي للأب أن يعتني بحفظ مال أولاده – إن كان لهم مال – بقدر ما يمكنه، ويحرم عليه إضاعته في غير مصالحهم الشرعية.

مسؤولية الآباء عن تربية الأبناء في الشريعة الإسلامية

بقلم: أ.د. نزيه حمّاد

قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً، فللابن على أبيه حقاً، فكما قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا﴾ [العنكبوت/٨] قال جلّ شأنه: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم/٦]، وقال النبي ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم» (٤). فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارا. وقد حكي عن بعضهم – ممن فرط في حق ولده في الصغر – انه عاتب ولده في العقوق، فقال له: يا أبت، إنك عققتني صغيرا، فعققتك كبيرا، وأضعتني وليدا، فأضعتك شيخا (٥).

وقد روى ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته (٦).

وروى أبو داود والحاكم وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول» (٧).

وروى الطحاوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا كان جالسا مع النبي ﷺ فجاء ابن له، فقبّله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنت له، فأخذها، فأجلسها إلى جنبه، فقال له رسول الله ﷺ: «فهلاّ عدلت بينهما» (٨).

وقال إبراهيم النخعي: كان السلف يستحبون التسوية بين الأولاد حتى في القبلة (٩).

ومن جهة أخرى، على الأبوين أن يكونا مثال الاستقامة والأدب والديانة في سلوكهما أمام أولادهما، لينشأ الأولاد وقد طبعوا على الالتزام الديني وكريم الأخلاق والخلال المكتسبة بطريق العمل في مبدأ فطرتهما، حتى تتأصل فيهم وتكون طبيعة لهم، فيعملون بها ما عاشوا، ويعلمون أولادهم وغيرهم اكتسابها، وبذلك يكون الأبوان قد سنا سنة حسنة، ومن سن سنة حسنة فله ثوابها وثواب من عمل بها إلى يوم القيامة (٢).

يقول الإمام الغزالي: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش عليه، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُود الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له» (٣).

وعلى ذلك جاء في م٣٦٥ من الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لقدري باشا: «يطلب من الوالد أن يعتني بتأديب ولده وتربيته، وتعليمه ما هو ميسر له من علم أو حرفة وحفظ ماله، والقيام بنفقته إن لم يكن له مال، حتى يصل الذكر إلى حدّ الاكتساب، وتتزوج الأنثى، ويطلب من الوالدة الاعتناء بشأن ولدها وإرضاعه في الأحوال التي يتعين عليها ذلك».

التربية مسؤولية كبيرة

وفي «تحفة المودود» للإمام ابن قيم الجوزية: أن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة

حقوق الأبناء على الآباء

ومن المعلوم أن منشأ مسؤولية الآباء عن تربية الأبناء والقيام بأمورهم ورعاية أحوالهم في الشؤون الدنيوية والأخروية قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ وقوله ﷺ: «إن لولدك عليك حقاً» (١٠)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته. والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده،وهي مسؤولة عنهم» (١١)، ومن هنا قال الإمام النووي: «إن على الأب تأديب ولده وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين، وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء قبل بلوغ الصبي والصبية» (١٢).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن» (١٣)، وقال ابن عمر رضي الله عنه: أدب ابنك فإنك مسؤول عنه، ماذا أدبته، وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن برّك وطواعيته لك (١٤).

ومن المعلوم بالنظر والاعتبار أنه ما أفسد الأبناء مثل إهمال الآباء في تأديبهم وتعليمهم ما يصلح دنياهم وآخرتهم، وتفريطهم في حملهم على طاعة الله وزجرهم عن معصيته، وإعانتهم على شهواتهم، يحسب الوالد أنه يكرمه بذلك وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوّت عليه حظه في الدنيا والآخرة (١٥).

الأمر بالتربية الدينية

وقد أوضح ذلك قول النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (١٦). قال النووي: والاستدلال به واضح، لأنه يتناول الصبي والصبية في الأمر بالصلاة والضرب عليها (١٧). وعلى ذلك نص الفقهاء على أنه يجب على الولي أمره بها لتمام سبع سنين، وتعليمه إياها، وضربه على تركها لعشر سنين، لتخلق بفعلها ويعتادها – لا لافتراضها عليه – كما يلزمه كفه عن المفاسد كلها، لينشأ على الكمال وكريم الخلال (١٨).

ومن ثم ذهب جمهور الفقهاء إلى ثبوت ولاية الأب والأم والجد والوصي والقيم من جهة القاضي على تربية الصغير وتأديبه، وذلك بأمره بفعل الطاعات كالصلاة والطهارة والصيام ونحوها، ونهيه عن اقتراف المحظورات، سواء أكانت لحق الله تعالى أم لحق العباد، وتأديبه على عدم الإخلال بذلك، تعويدا له على الخير والبر، ثم زجره عن سيء الأخلاق وقبيح العادات – ولو لم يكن فيها معصية لله – استصلاحا (١٩). جاء في «المجموع شرح المهذب»: قال أصحابنا: ويأمره الولي بحضور الصلوات في الجماعة، وبالسواك، وسائر الوظائف الدينية، ويعرفه تحريم الزنا واللواط والخمر والكذب والغيبة وشبهها. قال الرافعي: قال الأئمة: «يجب على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الطهارة والصلاة والشرائع بعد سبع سنين، وضربهم على تركها بعد عشر سنين» (٢٠). وعلّة ذلك – كما قال ابن القيم: أن الصبي وإن لم يكن مكلفا، فوليه مكلف، لا يحل له تمكينه من المحرّم، فإنه يعتاده، ويعسر فطامه، وهذا أصح قولي العلماء (٢١).

يؤمر الصغير بالعبادة ندباً

أما الحكم التكليفي للمسألة، فالأصل أن من لا تلزمه الصلاة لا يؤمر بفعلها لا إيجابا ولا ندبا، إلا الصبي والصبية، فيؤمران بها ندبا إذا بلغا سبع سنين وهما مميزان ويضربان على تركها اذا بلغا عشر سنين، فإن لم يكونا مميزين لم يؤمرا، لأنها لا تصح من غير مميز. قاله النووي (٢٢).

وقال ابن قدامة المقدسي: وهذا الأمر والتأديب في حق الصبي لتمرينه على الصلاة كي يألفها ويعتادها، ولا يتركها عند البلوغ، وليست واجبة عليه في ظاهر المذهب. ومن أصحابنا من قال: تجب على من بلغ عشرا، لأنه يعاقب على تركها، ولا تشرع العقوبة إلا لترك واجب، ولأن حد الواجب: ما عوقب على تركه (٢٣).

الترهيب والترغيب في التربية

هذا، وإن مما يجدر بيانه في هذا المقام أن تأديب الصغير يكون بالقول ثم بالوعيد ثم بالتعنيف ثم بالضرب، وهذا الترتيب تلزم مراعاته، فلا يرقى الى مرتبة إذا كان ما قبلها يفي بالغرض، وهو الإصلاح. وفي ذلك يقول العز ابن عبدالسلام: «ومهما حصل التأديب بالأخف من الأفعال والأقوال، لم يعدل إلى الأغلظ، اذ هو مفسدة لا فائدة فيه، لحصول الغرض بما دونه» (٢٤).

وأنه يشترط في الضرب – عند مشروعية اللجوء إليه – أن يغلب على الظن تحقيقه للمصلحة المرجوة منه، وأن يكون غير مبرح ولا شاق، وأن يتوقى فيه الوجه والمواضع المهلكة من البدن (٢٥).

قال العز بن عبدالسلام: ومن أمثلة الأفعال المشتملة على المصالح والمفاسد مع رجحان مصالحها على مفاسدها: ضرب الصبيان على ترك الصلاة والصيام وغير ذلك من المصالح. فإن قيل: إذا كان الصبي لا يصلحه إلا الضرب المبرح، فهل يجوز ذلك تحصيلا لمصلحة تأديبه؟

قلنا: لا يجوز ذلك. بل لا يجوز أن يضرب ضربا غير مبرح، لأن الضرب الذي لا يبرح مفسدة، وانما جاز لكونه وسيلة إلى مصلحة التأديب، فإذا لم يحصل التأديب به، سقط الضرب الخفيف كما يسقط الضرب الشديد، لأن الوسائل تسقط بسقوط المقاصد (٢٦).

بل إن الحنفية قيدوا مشروعية ضرب الولد حيث لزم ضربه بأن يكون باليد فقط، فلا يضربه الولي بغيرها من سوط أو عصا. وذهب الحنابلة والحنفية إلى انه ليس له أن يجاوز بضربه الثلاث (٢٧).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم□

الهوامش:

(١) شرح الأحكام الشرعية للأبياني ٢/٤٤، كشاف القناع ٣/٤٣٥-٤٣٩، المهذب ١/٣٣٧، شرح منتهى الإرادات ٢/٢٩٣، الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية م٤٢٢، ٤٦٦، ٤٩٢.
(٢) شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للأبياني ٢/٤٤.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/٦٢.
(٤) أخرجه أبوداود والنسائي وأحمد. (انظر مختصر سنن أبي داود للمنذري ٥/٩١، سنن النسائي ٦/٢٦٢،مسند أحمد ٤/٢٧٥، ٢٧٨).
(٥) تحفة المودود ص١٣٩.
(٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي ٢/٦٤.
(٧) مختصر سنن أبي داود للمنذري ٢/٢٦١، مسند أحمد ٢/١٦٠، ١٩٣، المستدرك ١/٤١٥.
(٨) شرح معاني الآثار ٤/٨٩.
(٩) تحفة المودود ص١٣٩، شرح منتهى الإرادات ٢/٥٢٤
(١٠) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ٨/٤٣.
(١١) رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري مع الفتح ٥/١٧٨، صحيح مسلم حديث رقم ١٨٢٩).
(١٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/٤٤.
(١٣) أخرجه الترمذي والحاكم. (عارضة الأحوذي ٨/١٣١، المستدرك ٤/٢٦٣).
(١٤) تحفة المودود، ص١٣٧.
(١٥) تحفة المودود، ص١٤٧.
(١٦) أخرجه أبوداود والترمذي والدارمي والبيهقي. (عون المعبود ٢/١٦٢، سنن الترمذي ٢/١٢٦، سنن الدرامي ١/٢٧٣، سنن البيهقي ٣/٨٤).
(١٧) المجموع شرح المهذب ٣/١١.
(١٨) رد المحتار ١/٢٣٥، المغني ٢/٣٥٠، المجموع ٣/١١، شرح منتهى الإرادات ١/١١٩.
(١٩) الفروق للقرافي ٤/١٨٠، تحفة المحتاج ٩/١٨٠، أسنى المطالب ٤/١٦٢، رد المحتار ١/٢٣٥، روضة الطالبين ١٠,١٧٥، الآداب الشرعية لابن مفلح ١/٤٥١.
(٢٠) المجموع ٣/١١.
(٢١)تحفة المودود ص١٤٧.
(٢٢) المجموع شرح المهذب ٣/١١.
(٢٣) المغني ٢/٣٥١، وانظر الدر المختار ٥/٣٦٣.
(٢٤) قواعد الأحكام ٢/٧٥.
(٢٥) جامع أحكام الصغار ١/١٣٨، تحفة المحتاج ٩/١٧٩، روضة الطالبين ١٠/١٧٥.
(٢٦) قواعد الأحكام ١/١٠٢، وانظر أيضا روضة الطالبين ١٠/١٧٥.
(٢٧) رد المختار ١/٢٣٥، جامع أحكام الصغار ١/١٣٨، المغني لابن قدامة ١٢/٥٢٨.

■ لا تعمل الزكاة على صون رأس المال وحفظه من التآكل فحسب، بل تحفّز على استثماره وإنمائه

بقلم:
الحسين عصمة



الزكاة

ودورها في التنمية الاقتصادية

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة التي لاتقوم إلا بها وعليها، واذا كان لكل ركن خاصية يتميز به، فان خاصية الزكاة تتجلى في بعدها الاقتصادي والاجتماعي فهي تندرج في إطار العلاقة الافقية التي تجمع بين العباد في مختلف شؤونهم الحياتية والمادية ولاتنحصر فقط كباقي العبادات الاخرى ضمن العلاقة العمودية التي تعني بشؤون العباد تجاه خالقهم.

وبالرغم من هذه الخاصية المميزة للزكاة، ورغم ارتباطها فوق ذلك بعبادة اخرى هي الصلاة في مواضع كثيرة، فانها مع ذلك لم تلق من المسلمين في العهود الاخيرة ماتستحقه من عناية واهتمام، بل ان الزكاة اليوم، وفي عموم البلاد الإسلامية، باتت شعيرة ذات طابع شخصي وصبغة اختيارية، اذ لايلتزم بها إلا بعض المسلمين الذين يؤدونها عن طيب خاطر وعلى النحو الذي يريدون. وبذلك ضيع المسلمون ورقة رابحة، هم أحوج مايكونون اليها في جهادهم من أجل تنمية اقتصادية حقيقية وذاتية.

وإشعاع الزكاة كقيمة عقدية واقتصادية واجتماعية لم يغب على المستوى العملي فحسب، بل وعلى المستوى النظري الاعتقادي أيضا، فقد بات أكثر المسلمين – فضلا عن خصومهم – وتحت ضغط فداحة المشكلة الاقتصادية المتفاقمة لعالمنا المتخلف أو النهوض بأوضاعه الاجتماعية المتردية. ويعتبرونها في أحسن الحالات مساعدة مالية بسيطة يتبرع بها محسنون كرماء على الفقراء والمعوزين لحل بعض مشاكلهم الآنية، بل إن خصوم الإسلام، عن جهل أو تجاهل، يسخرون من فريضة الزكاة ويعتبرونها – نظرا لنسبتها التي يرونها هزيلة للغاية – وسيلة لتبرير استغلال الاغنياء للفقراء، وحجر عثرة في طريق صراع الفقراء ضد الاغنياء!

ونحن، وان كنا لانزعم ان الزكاة علاج سحري لكل أزماتنا الإقتصادية ومعضلاتنا الاجتماعية، الا أننا نعتقد في فاعلية هذا المبدأ الأصيل في حياة المسلمين الجماعية خاصة حينما تطبق منظومة مبادىء متكاملة تشكل في مجموعها هيكل السياسة المالية للإسلام، وحينما تطبق هذه السياسة بدورها في إطار منظومة من السياسات الأخرى (الاقتصادية – التربوية..) والمحصنة بالمفاهيم الإسلامية المتميزة عن الإنسان والكون والحياة. وفيما يلي محاولة لرصد تفاعلات الزكاة مع أهم المعايير الاقتصادية.

الزكاة وصلتها بالاستثمار

صلة الزكاة بالاستثمار صلة وثيقة جدا لدرجة يمكن القول معها بأن: الاستثمار اساس الزكاة لكونها لاتهم إلا الاموال النامية بالفعل او القابلة للنماء، بمعنى تلك التي تدر على صاحبها دخلا معينا(ربحا وريعا).. أو تلك التي تكون هي ذاتها دخلا تمخض عن عملية استثمار سابقة. جاء في مقدمات ابن رشد:«الزكاة مأخوذة من الزكاء وهو النماء. ومن ذلك زكا الزرع اذا نما وطاب وقيل انما سميت بذلك لأنها لاتؤخذ الا من الاموال التي ينبغي فيها النماء لامن العروض المقتناة» (١).

وهذا مايفسر إعفاء الأموال الجامدة – لأسباب قاهرة – من الزكاة كأموال اليتامى التي لاتجد من يقوم باستثمارها. وهو مانص عنه بعض الفقهاء:« ليس في مال يتيم ولامعتوه زكاة إلا ان يعمل به» (٢) لأن من كان ممنوعا من التصرف في ماله بكل حال فلا زكاة عليه فيه إلا لحول واحد وان أقام أحوالا كثيرة كالمغصوب والملتقط والدين والقرض(٣) فحق الزكاة اذن مرتبط بتنمية المال وترويجه. وهذا ماجعل الفقهاء يعللون الزكاة بالنماء والانتاج حتى ان الامام أحمد قال الزكاة في الحلي الذي يكرى دون الذي يلبس وقال بها ابو حنيفة في الخيل المختلط ذكورا واناثا دون الذكور وحدها(٤).

وبهذا فالزكاة تعمل على صون رأس المال وحفظه من التآكل باعتبارها حافزا لاستثماره وانمائه ولقد اختلفت آراء الفقهاء في زكاة قيمة الاستثمارات. هل تشملها هي ذاتها أم تشمل فقط مداخيلها. وبشكل عام يمكن التمييز بهذا الصدد بين ثلاثة آراء فقهية تفضي كلها إلى نتيجة واحدة هي: الزكاة حافز مهم لاستثمار الاموال وترويجها في مشاريع انتاجية (٥).

* **الرأي الاول:** يعفى قيمة هذه الاستثمارات ودخلها ايضا من الزكاة مالم يدخل من دخلها مقدار يزيد على نصاب النقود، ويحول عليه الحول، فيزكي تزكية النقود(٢,٥٪)(٦) واقتصاديا فان هذا الرأي يؤدي إلى تشجيع الاستثمارات الاخرى غير المزكاة على حساب الاستثمارات المزكاة ويولد حافزا قويا ضد اكتناز النقود ويشجع استثمارها في مجالات غير مزكاة.

***الرأي الثاني:** يعامل الاستثمارات معاملة عروض التجارة(رأس المال التجاري) فيقومها مالكها كل عام، ويضيف اليها ماادخره من ايرادها، ويزكي المجموع بـ ٢,٥٪ شأن عروض التجارة. وهذا الرأي يسوى بين كل صور الاستثمار والاكتناز وقد يتراءى ان ذلك لن يشجع الاستثمار، ولن يثبط الاكتناز، ولكن الصحيح ان النقود في اقتصاد إسلامي لايمكن ان تدر على صاحبها أي دخل مالم يستثمرها لان اقراضها بفائدة حرام ولايرغب الفرد عادة ان يترك مدخراته تتآكل بالزكاة، بل يريد المحافظة عليها على الأقل، والسبيل إلى ذلك هو الاستثمار، لذلك فإن هذا الرأي يولد حافز الاستثمار ويثبط الاكتناز.

*أما الرأي الثالث: فهو يطرح من ايراد الاستثمارات السنوي مايقابل استهلاك رأس المال، ويزكي«صافي الايراد» فور قبضه زكاة بنسبة ١٠٪ شأن المحاصيل الزراعية. فإن لم يربح الاستثمار أو خسر لاتجب عليه الزكاة(كالارض الزراعية ان هلك محصولها).

ولو ان المستثمر اكتنز النقود ولم يستثمرها لوجب عليه اداء زكاتها على كل حال بمعدل ٢,٥٪ لهذا فإن تفضيل الاستثمار على الاكتناز سيستمر حتى يبلغ معدل خسارته المتوقعة ٢,٥٪ وهذه النتيجة تنطبق على القرارات الاستثمارية التي تبني على القيمة المتوقعة للعائدواقتصاديا يؤدي هذا الرأي إلى توليد حافز على الاستثمار، وتثبط اكتناز النقود بدرجة اكبر من الرأي الثاني.

وإذا كان الاستثمار اساس الزكاة، فإن الزكاة يمكن ان تكون أساس الاستثمار وذلك انطلاقا من اعتبارين اساسيين لابد من استحضارهما حتى يتسنى لنا ادراك دور الزكاة في الاستثمار.

*مسؤولية الدولة عن الزكاة: ان الدولة الإسلامية باعتبارها القائمة على تطبيق شرع الله، والراعية لمصالح مواطنيها المسلمين هى المسؤولة عن جباية الزكاة ممن تجب عليهم وصرفها إلى من تجب لهم (٧) والزكاة هي من فرائض الإسلام التي تجب على كل مسلم قادر على ادائها استجابة لقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾ (٨) وفي حديث ابن عباس أمر النبي ﷺ معاذا حين بعثه إلى اليمن فقال له: «اعلمهم ان الله أفترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم».

وقد استدل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر بهذا الحديث على ان الامام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها إما بنفسه وإما بنائبه فمن امتنع عن دفعها اخذت منه قهرا (٩). ونقلها الشوكاني بنصها في «نيل

الزكاة ودورها في التنمية الاقتصادية

الاوطار».

فالزكاة اذا ليست منحة خاضعة لمزاج المانح لها بل هى واجب يؤخذ منه عنوة اذا امتنع عن ادائه طواعية. ولقد قاتل خليفة رسول الله ﷺ المرتدين – مانعي الزكاة – وقال فيهم كلمته الشهيرة: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة – حق المال – والله لئن منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» (١٠).

*الزكاة بين الكفاية والكفاف: في اعتقاد عامة الناس، ليست الزكاة الا معونة بسيطة يتبرع بها أغنياء المؤمنين على فقرائهم. وأنها فقط علاج أو بالأحرى مسكن ظرفي لمرض الفقر ويجد هذا الاعتقاد اصله في واقع المسلمين الذين غيبوا فريضة الزكاة وجعلوها ممارسة فردية يقوم بها ثلة منهم، يوزعونها على شكل دريهمات تتلقفها جموع الفقراء والبؤساء على نحو مهين، لكن اين هذا الواقع من حقيقة ما أراده الإسلام من فريضة الزكاة؟

ان قراءة سريعة في النصوص المتعلقة بالزكاة توضح بجلاء ان هذه الفريضة المالية لم تشرع لتكون مهدئا ظرفيا لمشاكل الفقر بل لتعمل – بتضافر – مع عوامل اخرى على استئصاله والتصدي لأسبابه.

وهكذا فقد رأى فريق من الفقهاء ان الفقير يعطي من الزكاة قدر مايغنيه ويكفيه هو ومن يعول، العمر كله، وهوالاتجاه الذي مثله الخليفة الراشد عمر الفاروق رضي الله عنه والذي لخصه في قولته الجامعة: «اذا اعطيتم الناس فأغنوا» (١١) وهو مذهب الامام الحجة في الفقه المالي الإسلامي ابو عبد القاسم بن سلام في كتابه القيم «الأموال» ومذهب (عطاء) التابعي الجليل القائل: «اذا أعطى الرجل زكاة ماله أهل بيت من المسلمين فجبرهم فهو أحب إلي» (١٢).

ويرى فريق آخر أن الفقير يعطي ما يكفيه سنة واحدة فقط، وهو مذهب المالكية وجمهور الحنابلة معتمدين على ماجاء في هدى الرسول ﷺ من انه ادخر لأهله قوت سنة (١٣). من خلال هذين المعطيين نستنتج مايلي:

*كون الزكاة فريضة شرعية/ اجبارية يتكفل بجمعها جهاز اداري تشرف عليه الدولة يعني ان موارد هامة، مالية وعينية، سيتم تجميعها سنويا مما سيتيح استغلالها على نحو افضل من توزيعها على مستوى فردي.

إذا كانت الزكاة لاتبتغي الكفاف فقط بل تطمح إلى الكفاية، والكفاية هي أشباع الحاجات الضرورية سئل رسول الله ﷺ عن حد الكفاية فقال:« ماسد جوعتك ووارى عورتك وكان لك بيت يظلك. وان كان لك دابة فبخ بخ»(١٤).

على هذا الاساس فإن الزكاة لاينبغي صرفها لمستحقيها في شكل سيولة نقدية لاجل الاستهلاك المباشر فقط ،بل ايضا يجب تخصيص جزء من موارد الزكاة للاستثمار وهذا الاستثمار يمكن أن يتخذ شكلين:

*شكل مساعدة الحرفيين وذوي الصناعات من الفقراء بتمكينهم من شراء ادوات الانتاج اللازمة لمزاولة حرفهم. كأن تعطي الزكاة مثلا للفلاح في شكل ادوات حرث او اسمدة وللخياط في شكل آلة خياطة. وفي هذا يقول الامام النووي: «فمن كانت عادته الاحتراف اعطى مايشتري به حرفته او آلات حرفته، قلت قيمة ذلك ام كثرت، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه مايفي بكفايته غالبا تقريبا.. ومن كان تاجراً أو خبازاً أو عطاراً أو صرافا أعطى بنسبة ذلك، ومن كان خياط أو نجارا أو قصارا أو قصابا أو غيرهم من أهل الصنائع أعطى مايشتري به الآلات التي تصلح لمثله (١٥).

فالزكاة بهذا المعنى لاتقدم فقط اعانات استهلاكية بل تخلق ايضا وحدات انتاجية، وهذا ما يمكن ان يتوافق مع مذهب الداعين إلى إغناء الفقير العمر كله.

*شكل الاستثمارات التي تدر مداخيل دورية لصالح فئة الفقراء التي لايمكنها ان تمارس أي نشاط انتاجي لسبب من الاسباب القاهرة(مرض مزمن – شيخوخة – عاهة..) وهذا مايتوافق مع مذهب القائلين باعطاء الفقراء كفاية سنة.

ويتضح من هذا انه لافرق بين الاتجاهين في واقع الامر، فالغاية واحدة هى كفاية الفقير، وان كان احد الاتجاهين يرى ان تحصل هذه الكفاية دفعة واحدة، فيما يرى الآخر ان تحصل بالتدريج.

الزكاة ودورها في توجيه الاستهلاك

تشكل موارد الزكاة عند توزيعها على المستحقين لها طاقة شرائية تعبر عن نفسها في شكل طلب على المواد الاستهلاكية الاساسية وهذه القوة الشرائية لاتكون جديدة بالنسبة للاقتصاد ككل بل فقط بالنسبة لقطاع منه، هو كما سبقت الاشارة قطاع المواد الاستهلاكية الاساسية، وبما ان هذا القطاع يعتمد – في مواده الاولية، وادوات انتاجه والعمالة التي يتطلبها – على طاقات محلية وبسيطة نسبيا، فانه من الممكن بل من اليسير الاستجابة للطلب الجديد بالزيادة في الانتاج خاصة وان المستثمرين سيغريهم ارتفاع الاسعار في البداية والناشيء عن زيادة الطلب. وفي اثناء عمليات الاستثمار ستتولد مداخيل جديدة ستؤدي بدورها إلى ارتفاع الطلب على المواد الاستهلاكية، وهكذا تنشط حركة الدورات الانتاجية والاستهلاكية الشيء الذي يؤول إلى تحريك الاقتصاد بشكل عام (١٦).

غير ان التساؤل التالي قد يتبادر إلى الذهن: بما ان الطلب على المواد الاستهلاكية جديد فقط على مستوى هذا القطاع وليس على المستوى الاقتصادي ككل، الا يمكن ان يتسبب من جهة اخرى في ظهور خلل على مستوى قطاع آخر؟

ان القطاع الذي يمكن – نظريا – ان يعرف خللا بين العرض والطلب هو القطاع الذي تنسحب منه القدرة الشرائية لصالح المواد الاستهلاكية. هذه الاخيرة تتوجه إليها الفئات الفقيرة المستحقة للزكاة، اما الفئات التي تعطي الزكاة فانها إنما تتنازل عن جزء من مبالغها المدخرة أو المخصصة لإشباع حاجات كمالية، الأمر الذي يعني في النهاية أن قطاع المواد الكمالية هو الذي يمكن – نظريا – ان يعرف خللا طفيفا بين الطلب والعرض لصالح هذا الاخير اقول نظريا لأن اقتطاع نسبة بسيطة من الارباح – المالية والعينية – لايمكن بحال ان يؤثر على المستوى المعيشي لاصحابها، وهكذا فإن الزكاة لايمكن ان يتضرر منها عمليا أي قطاع لانها لاتقتطع إلا من الأموال الفائضة عن

الحاجة:﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ (١٧) وهي بهذا تساهم في تحريك جزء مهم من المدخرات الخارجة عن الدائرة الاقتصادية وتعمل على ترويجها بطرحها في السوق كسيولة نقدية، وبمعدل تداول مرتفع نظرا لارتفاع الميل الحدي للاستهلاك، غير العناصر المستحقة والمنفقة للزكاة (١٨).

الزكاة واثرها في التخفيف من الضغوط التضخمية

من ايجابيات الزكاة على المستوى الاقتصادي انها تعمل على التخفيف من الآثار التضخمية، وتحافظ بذلك على استقرار القدرة الشرائية للنقود خاصة لدى الفئات الفقيرة ذوات المداخيل المحدودة والثابتة فالتضخم كما هو معلوم هو الارتفاع العام اللاتراجعي للاسعار الناتجة عن فائض في السيولة النقدية بالنسبة إلى مايقابلها من السلع والخدمات أو بتعبير اخر هو (التضخم) تدهور القيمة الحقيقية للنقود بحيث تصبح اقل من قيمتها الاسمية.

فكيف يمكن ان تعمل الزكاة على الحد من هذه الآثار السلبية للتضخم؟ لمحاولة الاجابة على هذا التساؤل نشير إلى الخصائص التالية للزكاة.

ان الزكاة – كما سبقت الاشارة إلى ذلك – ليست سيولة نقدية جديدة يتم خلقها وتوزيعها دون ان يكون لها مقابل حقيقي (سلع – خدمات) بل هى فقط تحول داخلي لسيولة موجودة سلفا، ويفترض ان يكون لها مقابلها الحقيقي.

سبق الاشارة كذلك إلى ان الزكاة، بما أنها مداخيل للفئات الفقيرة، توجد اساسا لإشباع الرغبات الأولية أي لطلب المواد الاستهلاكية الاساسية. وهو الطلب الذي يترتب عليه ارتفاع في الاسعار، لكن فقط لفترة وجيزة، اذ سرعان ماتتراجع إلى مستواها الاول بعد الرفع من الانتاج.

الزكاة لاتدفع دائما مباشرة في شكل سيولة نقدية، بل يمكن استخدامها كأداة لمساعدة الفقراء والمساكين – من الحرفيين خاصة – في القيام باستثمارات انتاجية صغيرة، هذا فضلا على ان حصيلة بعض انواع الزكاة – كالثروة الحيوانية والفلاحية – تدفع في شكل سلع عينية، كل هذا من شأنه ان يقلل من

■يعطى الفقير من الزكاة ما يغنيه عن المسألة، وحده قوت سنة كاملة

الانفاق على الاستهلاك وبالتالي يخفض القوة الشرائية للطبقات المستحقة لها من التدهور في وجه التضخم (١٩).

ان الزكاة باعتبارها حقا للفقراء في أموال الاغنياء كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى عليه وسلم امره ان يقول لاهل اليمن ان الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم. ان هذه الخاصية التي تتمثل في انتقال المال من فئة الأغنياء إلى فئة الفقراء تجعل منها اداة للرفع من القيمة أو المنفعة الحدية للمال (٢٠) فالنقد كأي سلعة اخرى تزداد قيمة إلى حدود مستوى معين من الاشباع ثم تأخذ هذه القيمة بعد ذلك في الانخفاض قليلا قليلا كما ابتعدت عن ذلك المستوى من الاشباع. فلو فرضنا ان هذا المستوى يوافقه – في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية معينة – ١٠٠٠ وحدة نقدية (ون) ولو فرضنا شخصين يملك احدهما ٥٠٠ ويملك الاخر ١٥٠٠ ون. ان وحدة نقدية اضافية ستكون قيمتها الحقيقية عند الشخص الاول اكبر منها عند الشخص الثاني لان هذا الاخير سينفق وحدته النقدية الاضافية في اشباع حاجة ثانوية جدا، اما الاول الذي لم يصل بعد مستوى الاشباع المفروض فان الوحدة النقدية الاضافية ستمكنه من اشباع حاجته الاساسية ومن ثم كانت قيمتها عنده اكبر. وهكذا فان الزكاة التي تنقل جزءا من فضول أموال الاغنياء إلى فقراء ترفع من القيمة الحقيقية لهذه الاموال، بل وترفع ايضا – ولو بنسبة ضئيلة – من القيمة الحقيقية لأموال الأغنياء بعد خصم الزكاة منها□

الهوامش:

١) مقدمات ابن رشد ج٢:٢٠٩.
٢) الدعائم ٣/٧٧–٨٨ سبيل الإسلام ٢/١٣٠ اخذ عن أحمد باهر البقري: الزكاة ودورها في التنمية ص ١٦.
٣) محمد العربي الخطابي(زكاة الاموال) ص ٢٨.
٤) أحمد لسان الحق(منهج الاقتصاد الإسلامي في انتاج الثورة واستهلاكها) الجزء الثالث ص ٢٠٠.
٥) د. محمد انس الزرقاء(اثر الزكاة على الاستثمارات الثابتة مجلة (الأمة) عدد ٤٥ص ٥٢ و٥٣.
٦) وهي نسبة لم تحدد بنص إلا انه يمكن اعتبارها بمثابة الحد الادنى الذي يجب الالتزام به على ضوء الحاجات التي يستشعرها المجتمع وفئاته الضعيفة.
٧) لايجب مع ذلك الخلط بين فريضة الزكاة والضرائب التي تستخلصها الدولة من مختلف القطاعات المنتجة، فالزكاة بخلاف الضرائب محددة شرعا من حيث نسبها، وأوعيتها والمستحقون لها ودور الدولة ينحصر في السهر على تطبيقها لاغير.
٨) سورة التوبة:١٠٣.
٩) الحافظ ابن حجر (فتح الباري) ج٣:٢٣١، أخذا عن يوسف القرضاوي (مشكلة الفقروكيف عالجها الإسلام) ص :٨١.
١٠) رواه الشيخان.
١١) الانصاف:ج٣ ص ٣٣٧.
١٢) الاموال: ص ٥٦٦.
١٣) متفق عليه.
١٤) سيد سابق:(عودة الإسلام) ص ٣٥
١٥) الامام النوري(شرح المهذب) ج٦ ص ٢٠٣
١٦) انظر: (الاستخدام الوظيفي للزكاة في الفكر الاقتصادي الاسلامي) للدكتور غازي عناية.
١٧) سورة البقرة:٢١٩.
١٨) الميل الحدي للاستهلاك هو نسبة ارتفاع الاستهلاك التي تنجم عن ارتفاع الدخل ويعبر عنها بالكسرة التالية س/د حيث يرمز بـ(س) إلى زيادة الاستهلاك ويرمز بـ(د) إلى زيادة الدخل.
١٩) مجدي عبد الفتاح سليمان (اثر الزكاة في الحد من الضغوط التضخمية) مجلة الأمة، عدد ٦٠، ص ٢٢.
٢٠) محمد احسان طالب: الاقتصاد الاسلامي والحد من التضخم) مجلة الأمة عدد ٣٥ص٣٤.

الحسبة وتنظيم العمران

خطة الحسبة من الخطط الشرعية التي أنبنت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بقلم
: د. محمد أبو الأجفان*

إن خطة الحسبة من الخطط الشرعية التي أنبنت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الخطط التي كان لها دورها الفعال في التنظيم السياسي والإداري والقضائي عبر تاريخ حضارتنا المديد.

وقد تولى كثير من العلماء خطة الحسبة، فقاموا بتنظيم المجتمع الإسلامي ورعوا مصالحه العامة، وحموا الحقوق، وتتبعوا المنكرات يستأصلون شأفتها، ونصروا المظلومين، وحافظوا على جمال البيئة ونظافتها، لضمان الصحة الجيدة، وأسهموا في التنظيم العمراني للمدن الإسلامية. وتشهد كثير من المؤلفات العلمية بما كان للفقهاء من دور في تقنين أحكام التعايش في المجتمع الإسلامي، وأحكام التصرف في المباني تصرفا يدرأ معه الضرر، ويلتزم فيه كل شخص بحدود حريته، كما تشهد بما كان للقائمين بخطة الحسبة من جهد في تطبيق هذه الأحكام، ومن أثر في حياة المدن الإسلامية التي تصطبغ بالصبغة الدينية، وتتاح فيها إقامة الشعائر، وحسن التعامل، وتبادل المنافع في الإطار الشرعي تحقيقا للتعاون على البر والتقوى وللتكافل الاجتماعي الذي ينشده ديننا الحنيف.

■ جاءت أحكام الفقه الإسلامي متناولة لجميع مجالات الحياة

وكنت تناولت الحديث عن دور الحسبة في الرعاية في موضوع سالف (١). وأتناول في هذا الموضوع الحديث عن دورها في تنظيم العمران.

الاهتمام الفقهي بتنظيم العمران

واعتبارا لما امتازت به الدعوة الإسلامية من العموم والشمول جاءت أحكام الفقه الإسلامي متناولة لجميع مجالات الحياة، ولم تقتصر على العبادات، بحيث يجد المسلم في هذا الفقه ما يتعلق بالحلال والحرام، وما يُنظم علاقته بربه وعلاقته بأفراد أسرته وعلاقته بسائر أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه ، سواء كانوا ممن يشاركونه في العقيدة أو يخالفونه فيها. كما تجد فيه الحكومة الإسلامية القوانين الشرعية التي تطبقها في إدارتها لشؤون الرعايا من المسلمين وغيرهم، وفي علاقتها بالدول الأخرى.

ومن المجالات التي اهتم بها فقهنا الإسلامي وأولاها المجتهدون اعتناءً ملحوظا: مجال العمران وتنظيم المدن الإسلامية، وتحديد التصرف في الأماكن العامة التي يكون للناس فيها حق مشترك مثل الطريق والسوق والميناء والمسجد.

ومن ذلك أنهم أقروا للطريق حرمة تيسر استعماله لكافة الناس، دون أن يلحقهم ضرر من أفراد يتجاوزن حدودهم في استعماله، فمن اقتطع منه جزءا ألحقه بملكه الخاص حُكم بهدم ما بناه، وإعادة الطريق إلى ما كانت عليه. وقد حدثنا تاريخ قرطبة الإسلامية أن بعض سكانها اقتطع جزءا من أحد طرقها وبنى فيه، فعرضت المسألة على الفقهاء القرطبيين، فأفتى بعضهم بهدم الجزء الذي يضر بقاؤه بالطريق، بعد أن قدروا أن الطريق يلزمه ثمانية أذرع عرضا، وأفتى آخرون بهدم كل ما زيد فيه من البناء على كل حال مراعاة لحرمته وصفته كمرفق مشترك (٢).

وترجيح المصحلةالعامة على الخاصة مبدأ يراعيه سائر فقهاء الأقطار – خارج الأندلس أيضا – ففي أفريقية أعلن علامتها الإمام عبدالسلام بن سعيد سحنون (٣) (ت٢٤٠هـ) أن «من أدخل في داره من زقاق المسلمين شيئا، وشهد الناس بذلك بعد عشرين سنة، يرده إلى الزقاق، ولا تحاز

*مدير قسم الفقه والسياسة الشرعية – تونس

الأزقة» (٤).

وفي مصر أعلن أبو عمرو عثمان بن الحاجب (٥) (ت٦٤٦هـ) في «مختصره الفقهي» الشهير مبدأ «لا تحاز الشوارع بالبنيان» وجاء بعده الفقيه المصري خليل بن اسحاق الجندي (٦) (ت٧٧٦هـ) فشرح مختصره في كتابه «التوضيح» وعلل هذا المبدأ بأن الطريق له صبغة الحبس لعامة المسلمين، وذكر إنه «لا إشكال في منع ما يضر وهدمه» مما يبنى على أرض حيزت من الشوارع العامة، وأما ما لايكون فيه ضرر فاختلفت فيه الآراء، فقيل بالجواز وقيل بالكراهة، ولكن المشهور هو المنع. وتهديم ما بني فيما اقتطع من الطريق ولو لم يكن البناء ضارا بالناس، وهذا ما تقتضية صبغة الحبس، وهو ما ذهب إليه من المالكية مطرف (٧) وابن الماجشون (٨) وسحنون.

وما ذكرته ليس إلا نموذجا من أحكام العمران التي تناولها الفقهاء بتفصيل، عرفوا به حقوق الناس المشتركة والخاصة، وبينوا به ما ينبغي للقضاة أن يحكموا به في النوازل المتعلقة بالمباني، وما ينبغي للمحتسبين أن يراعوه في عملهم عند تنظيم المدن وتوفير راحة ساكنيها.

ثم إن الأحكام الفقهية التي تتناول المجال العمراني تكون تارة موزعة في أصناف من الكتب الفقهية، وتارة مجموعة في تأليف خاص بها. فأما الكتب الفقهية التي تعرض بعض أحكام العمران دون أن تختص بها فهي التالية:

— كتب الفقه العامة التي صنفها أعلام المذاهب التشريعية المختلفة.

— كتب الفتاوى والنوازل التي تتضمن أجوبة المفتين عما سئلوا عنه من أسئلة كان بعضها في موضوعات عمرانية، مثل المعيار للونشريسي (٩) ونوازل الإمام البرزلي (١٠).

— كتب الحسبة: النظري منها والعملي، فالنظري يتناول كل الحقوق لصيانتها والتعريف بها وبدور المحتسب في حمايتها، وبعضها حقوق في البنيان والعقار، والعملي يعرض صورا ظريفة لما كانت عليه المجتمعات الإسلامية ولما قام فيها من وسائل تنظيم هادفة إلى تحقيق المصالح العامة.

وأما الكتب المختصة بأحكام البنيان فعددها محدود، نذكر منها:

— كتاب القضاء في البنيان لعبدالله بن عبدالحكم المصري (١١) (ت ١٩١هـ).

— كتاب الجدار لعيسى بن دينار (١٢) (ت ٢١٢هـ).

— كتاب الجدار لعيسى بن موسى (١٣) (ت٣٨٦هـ).

— الإعلان بأحكام البنيان لمحمد بن إبراهيم ابن الرومي التونسي (١٤).

— فتح الرحمن في مسألة التنازع في الحيطان لمحمد بن حسين البارودي الحنفي (١٥).

العمران في كتب الحسبة

اهتمت كتب الحسبة ببيان وظائف المحتسب وما يشمله نظره من مقاومة المنكرات التي قد تظهر في المدن وأماكنها العامة. فكل منكر يظهر أو يفترض وقوعه ينصون عليه لتنبيه من يتولى الحسبة لتتبعه، ويعاقب أصحابه بنفسه أو بدفع أعوانه إلى ذلك.

ويعنينا في هذا المقام أن نبرز اهتمامهم بالمجال العمراني وتحديد عمل المحتسب فيه، إذ في ذلك دلالة على مستوى حضاري بلغته أمتنا في حسن التنظيم والعناية بالمظاهر المادية للمحيط الذي يعيش فيه المسلم.

والمؤلفون في الحسبة عندما يتكلمون عن منكرات الأماكن العامة لا يميزون بين ما هو معنوي وما هو مادي بل يمزجون مزجا يصور مدى العناية بالناحيتين مستلهمين التوجيه الإسلامي الذي أولى الناحيتين اهتمامه البالغ. وكمثال لذلك أذكر أن الفقيه محمد بن عيسى بن المناصف (١٦) (ت٦٢٠هـ) لما تكلم عن دور المحتسب في الشوارع والمحلات العامة عدد ما يظهر فيها من محرمات يتحتم تتبعها لقطع دابرها، وكان منها المحرمات التي تقع في هذه الأمكنة ولا صلة لها بالأبنية والعقار مثل شرب الخمر والازدحام واتخاذ الملاهي وتعرض الفساق للنساء، وإظهار النسوة محاسنهن وزينتهن للناس واجتماعهن في بعض الأسواق بسفلة السماسرة ومزاحهن بما لا يحل، وكان منها المحرمات التي تبدو وثيقة الصلة بالمباني والطرق مثل تكدس الأوساخ المستخرجة من سروب المحلة وقنوات الحومة ومثل قطر الميازيب التي تجري بنجاسة في موضع ضيق، ومثل اتخاذ مرابط الدواب على الطرق والتي تؤذي المارة، واتخاذ الكلاب العادية في الحومات وعلى أبواب الديار.

وهذه الناحية الثانية المتعلقة بالعمران ونظامه هي التي أردت إبراز عناية المحتسبين بها، وقد تناولها مؤلفو الحسبة لما لاحظوا أن إهمالها يوقع في الحرج ويؤدي إلى الأذى. ولاحظ ابن المناصف أن بعض الأمور المباحة في الأصل إذا أصبحت تقضي إلى الضرر تصير ممنوعة مثل بعض التصرفات التي تحصل في أسواق ضيقة المساحة لا تتسع للازدحام يقول عنها إنها «قد تفضي إلى أذى المسلمين في تخريق أثوابهم أوتلويثها وتكليفهم المشقة في التحرز منها.. شأنها الإباحة في الابتداء، لولا ما يعترضها من أذية المسلمين التي نبهنا عليها، فواجب أن تمنع على الصفة التي تؤذي» (١٧).

تنظيم الأسواق

لقد وكل تنظيم الأسواق إلى المحتسبين، حتى سمي المحتسب ب- «صاحب السوق» وألفت في أحكام السوق مؤلفات (١٨)، وممن أشار إلى ترتيبها وبنائها عبدالرحمن الشيزري الشافعي (١٩) (حوالي ٥٨٩) قال: «ينبغي أن تكون الأسواق في الارتفاع والاتساع على ما وضعته الروم قديما، ويكون من جانب السوق إفريزان يمشي عليهما الناس في زمن الشتاء وإذا لم يكن السوق مبلطا، ولا يجوز لأحد من السوقة إخراج مصطبة دكانه عن سمت أركان السقائف إلى الممر الأصلي لأنه عدوان على المارة، يجب على المحتسب إزالته والمنع من فعله، لما في ذلك من لحوق الضرر بالناس».

وقد أوصى الشيزري بأن يكون لأرباب كل صنعة سوق يختص بهم (٢٠) وهذا ما ذهب إليه أيضا ابن عبدون الأندلسي عندما قال: «يجب على المحتسب أن يرتب الصناع، ويجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة، فهو أجل وأتقن» (٢١).

ويصرح الجرسيقي بمايوكل إلى المحتسب بالنسبة لرعاية الأسواق، فيقول: «يجب عليه النظر في شوارع المسلمين وأسواقهم، فيما ينجسها أو يوعرها أو يظلمها أو يضيقها كالأجنحة والسوابيط والبيع في الطريق» (٢٢).

الحسبة وتنظيم العمران

وهناك من يرى أن البيع في الطريق لا يمنع فيما خف ولم يكثر، وأن من سبق من الباعة إلى مكان في الطريق فهو أحق به من غيره، ولكن هذا الحق لا يكتسي صبغة الدوام (٢٣).

ويذكر يحيى بن عمر الكناني (ت ٢٨٩هـ) أن ما يتجمع في السوق من الأوساخ التي يلقيها أصحاب الدكاكين يجب عليهم كنسها ورفعها، ولا يكلفون برفع الطين المتجمع بسبب المطر، لأنه ليس من فعلهم (٢٤).

حرمة الأماكن العامة وتنظيمها

أكد فقهاء الحسبة والقضاء على ما تكتسيه الأماكن العامة في المدينة الإسلامية من حرمة وما فيها من حقوق مشتركة، وقد ألمحنا إلى ذلك بالنسبة للطرق والمسالك، ونذكر أن الموانىء المتخذة لإرساء السفن والقوارب على ضفاف البحار والأنهار، أكدوا على صبغتها العامة التي تمنع التصرف فيها بالبيع أو الهبة أو البناء عليها، تقديرا لأهمية الانتفاع المشترك بها، وقد قال عنها ابن عبدون: هي «عين البلد وموضع إخراج الفوائد مما يخرجه التجار، ومأوى الغرباء وموضع إصلاح السفن فلا يكون فيها ملك لأحد، إلا للسلطان وحده، ويجب على القاضي أن يحمي ذلك كل الحماية، فإنه موضع مجتمع التجار والمسافرين وغيرهم، ويجب على صاحب المواريث ألا يبيع منه شبرا واحدا» (٢٥).

وأما المساجد فهي مقر العبادة يشترك المصلون في أداء صلاة الجماعة بها ويؤمها المسلمون لتلقي العلم والهدي الإسلامي، وقد روعيت - في عمرانها - أمور من الناحية الخارجية وأخرى من الناحية الداخلية فمما جاء متعلقا بخارجها ومحيطها قول ابن عبدون: «يجب ألا يكون حول الجامع بائع زيت ولا قذر.. ولا بائع طيور» (٢٦). ومن الناحية الداخلية تكلم الفقهاء عن فراش أرض المسجد وتزويقه وتزيينه بالشمع والقناديل، وقد أفتى العز بن عبدالسلام الشافعي (ت ٦٦٠هـ) بجواز تزيينه، لما في ذلك من مظاهر الاحترام والإكرام، واعتبر محمد العقباني التلمساني المالكي (ت ٨٧١هـ) إنارته بثريات كبيرة بدعة مستحسنة، أما تعليق الستائر التي تشغل المصلين وتلهيهم وتشوش خشوعهم فاعتبره مكروها «لما فيه من تفويت الغرض الذي بنيت المساجد لأجله» ولم ير بأسا في تعليق الستائر في مكان غير مواجه للمصلي بحيث لاتشغله عند الصلاة (٢٧).

وصومعة المسجد ينبغي ألا يكون وضعها يسهل لمن صعد إلى أعلاها أن يتكشف منها على الدور المجاورة، وقد منع الإمام سحنون صعودها إذا كانت تتيح التكشف، لما في ذلك من ضرر (٢٨).

وأما غرس الأشجار بالمساجد فكانت محل خلاف بين فقهاء المذاهب، وفي الأندلس - حيث ساد المذهب المالكي - كان الأندلسيون يميلون إلى غرس الأشجار بها ترجيحا لمذهب الإمام الأوزاعي الشامي الذي يبيح ذلك خلافا للمذهب المالكي (٢٩). وهذه إحدى المسائل التي خالف فيها الأندلسيون مذهب إمامهم السائد ببلادهم.

لقد كان الحرص شديدا على مراعاة راحةالسكان ودرء ما يضرهم في الأماكن العامة التي لها حرمة خاصة وعهد إلى المحتسب صونها في نطاق تنظيمه للعمران بالمدينة. ومما يقوله فقيه الحسبة ابن عبدالرؤوف الأندلسي في تحديد عمل المحتسب في تنظيم الأماكن العامة: «يمنع من طرح الأزبال والجيف وما أشبهها في المحجات فإن ذلك يضر بالديار، فأما الأوساخ فإنها تنجس.. يكلفون بنقل ذلك إلى خارج البلد، وتتعاهد المساجد ورحابها وما دار بها عن طرح الأزبال والنجاسات، وينهى من فعل ذلك، فإن عاد عوقب. ويمنع حمال الحطب وكل من يحمل محملها بالمشي بها في المحجات والطرق الضيقة، ويكلفون النزول بها في الرحاب الواسعة للبيع، ويمنعون هم وغيرهم عن توقيف الدواب بأحمالها حتى يباع ما عليها، ويؤدبون إن عادوا... ويمنع الصباغون - ومن في معناهم - عن نشر الثياب المصبوغة المبلولة على الطرق، فإنها تؤذي الخاطرين بتغيير ثيابهم، وينهون عن اتخاذ أفرانهم على الطرق، فإنهم يؤذون المجتازين بالدخان، ويكلف من فتح سربا وأخرج ما فيه أن ينقله إلى خارج البلد، ويسوي موضع السرب، ويعدل الطريق، وينظفه من الأذى، لئلا يضر بذلك المار عليها» (٣٠).

وهكذا يتدخل المحتسب في تنظيم الأسواق ومنع الصناع من الإضرار بالناس، وتخول له سلطته أن يردع وأن يعاقب من تجاوز الحد.

الخاتمة

إن شريعتنا الإسلامية جاءت بمبادىء عامة ينبني عليها نظام حياتنا وتصلح لكل زمان ومكان ضامنة خلود هذه الشريعة الإلهية، ومن تلك المبادىء: دفع الضرر وإقرار الحقوق ومراعاة المصلحة العامة ودرء المنكر، وهذه المبادىء هي التي قامت عليها خطة الحسبة التي كان من مهمات صاحبها تنظيم النواحي العمرانية في المدينة الإسلامية حتى يطيب العيش فيها، ولقد ساعد فقهاء الحسبة في تحديد معالم هذا التنظيم وقننوا أحكامه التي يطبقها المحتسب

■ دفع الضرر وإقرار الحقوق ومراعاة المصلحة العامة ودرء المنكر، على رأس المبادىء التي قامت عليها خطة الحسبة في الإسلام

■امتازت الدعوة الإسلامية بالعموم والشمول فجاءت أحكام الفقه الإسلامي متناولة لجميع مجالات الحياة

عند أداء وظيفته الحضارية، تلك الوظيفة التي مهدت لوظيفة البلديات في عصرنا الحاضر. وبذلك يظهر ما لأمتنا من رصيد في مجال التشريع وفي مجال التنظيم مايدل على مدى الرقي الحضاري الذي بلغناه□

الهوامش:

* أستاذ التعليم العالي في الفقه المقارن بجامعة الزيتونة، مدير قسم الفقه بالمعهد الأعلى للشريعة، تونس.

١) انظر العدد ٣٣٠ من هذه المجلة «الوعي الإسلامي» الصادر بتاريخ صفر ١٤١٤هـ/ أغسطس ١٩٩٣م.

٢) تحفة الناظر للعقباني: اللوحة ٤٦. مخطوط دار الكتب بتونس رقم ٨٩٥٠.

٣) أبو سعيد عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، غلب عليه اسم سحنون، فقيه القيروان وإمامها وقاضيها، مجتهد في المذهب المالكي، اشتهر بالمدونة الكبرى التي أخذ مسائلها عن الفقيه المصري عبدالرحمن بن القاسم العتقي صاحب الإمام مالك. توفي بالقيروان سنة ٢٤٠هـ، ترجمته ومصادرها في رياض النفوس للمالكي: ١/ ٣٤٥ ط دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٣م.

٤) النوادر والزيادات، لابن أبي زيد القيرواني ج٤ لوحة ١٢٥، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٥٧٧٠.

٥) أبو عمرو عثمان بن عمر جمال الدين المشتهر بابن الحاجب، فقيه على المذهب المالكي وضع مختصرات في عدة فنون منها مختصر فقهي اشتهر «حسن المحاضرة للسيوطي: ١/ ٢١٠».

٦) خليل بن إسحاق من علماء المالكية، بالقاهرة المعزية مجمع على فضله من أهل التحقيق، له مؤلفات في الفقه والنحو اشتهر منها مختصره «أعلام الزركلي: ٢/ ٣٦٤، ديباج ابن فرحون: ١/ ٣٥٧».

٧) مطرف بن عبدالله بن مطرف بن سليمان اليساري الهلالي أبو مصعب، من تلاميذ مالك صحبه سبع عشرة سنة. كان عالما ثقة. توفي سنة ٢٢٠ بالمدينة، متجاوزا ثمانين سنة. «تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٧٥، الديباج لابن فرحون: ٢/ ٣٤٠».

٨) عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، أبو مروان. كان فقيها فصيحا دارت عيه الفتوى بالمدينة، تفقه بأبيه وبمالك. توفي سنة ٢١٢ أو بعدها متجاوزا ستين سنة «طبقات الفقهاء للشيرازي ١٤٨، الديباج:٢/ ٦، ٧».

٩) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي الفقيه المالكي المغربي المتوفى بفاس سنة ٩١٤هـ وكتابه الموسوم بـ«المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب»، نشرته دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٩٨١ في ١٣ جزءا.

١٠) أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني نزيل تونس فقيه مالكي حافظ (ت٨٤١هـ) ونوازله تتوفر منها عدة نسخ مخطوطة بالخزائن التونسية العامة والخاصة.

١١) انظر ترتيب المدارك: للقاضي عياض: ١/ ٥٢٥، الديباج لابن فرحون ١/ ٤٢٠.

١٢) ترجمة ابن دينار في ترتيب المدارك: ٢/ ١٩.

١٣) من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس ١٥٢٢٧.

١٤) لهذا الكتاب طبعة حجرية فاسية. وتحقيقه موضوع رسالة جامعية أنجزها الصديق الباحث عبدالرحمن بن صالح الأطرم نال بها شهادة الماجستير من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بإشراف الدكتور صالح الفوزان سنة ١٤٠٣هـ وهي الآن قيد الطبع.

١٥) من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس رقم ٣٩٣٣.

١٦) أبو عبدالله محمد بن عيسى المعروف بابن المناصف وابن أصبغ فقيه مالكي من أصل أندلسي ولد بالمهدية سنة ٥٦٣هـ ونشأ بتونس آخذا عن أعلامها وتوفي بمراكش سنة ٦٢٠) «التكملة لابن الأبار: ٢/ ٦١١».

١٧) تنبيه الحكام، لابن المناصف: ٣٣٩، ٣٤١، ط دار التركي للنشر، تونس ١٩٨٨م.

١٨) منها كتاب «أحكام السوق» ليحيى بن عمر الكناني الأندلسي نزيل سوسة نشرته الشركة التونسية للتوزيع بتونس سنة ١٩٧٥ بتحقيق حسن حسيني عبدالوهاب بن نصر بن عبدالله الشيزري، معاصر للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي القرن السادس الهجري، انظر مقدمة تحقيق كتابه «نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ط/ القاهرة سنة ١٩٤٦م.

٢٠) نهاية الرتبة للشيزري ١١.

٢١) انظر ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة: ٤٣.

٢٢) المصدر نفسه: ١١٩ وما بعدها.

٢٣) التوضيح لخليل بن اسحاق ج ٢، اللوحة ١٣٩، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ١٢٢٥٦.

٢٤) أحكام السوق: ٩٥. ط الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٧٥.

٢٥) ثلاث رسائل أندلسية: ٢١٩.

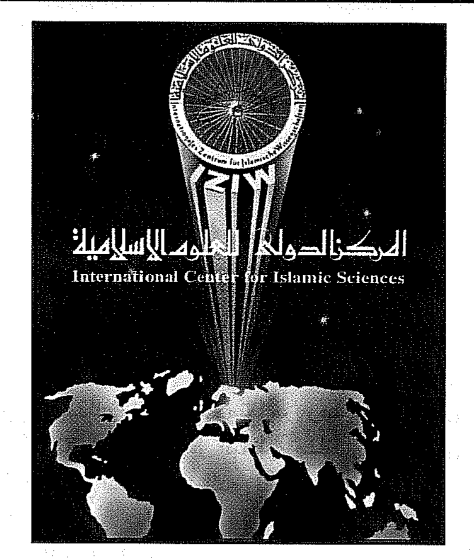
٢٦) المصدر نفسه: ٤٣.

٢٧) تحفة الناضر، للعقباني: اللوحتان ٢٩و ٣٠، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس ٨٩٥٠.

٢٨) تكميل التقييد، لابن غازي المكناسي: ج٤، اللوحة ١٩٥، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ١٥١٦٠.

٢٩) تحفة الناظر: اللوحة ٣٣، المخطوط سالف الذكر.

٣٠) الحسبة والمحتسب في الإسلام، للدكتور نقولا زيادة: ١٤٦.



■ يتحمل المركز كافة نفقات الدورات الشرعية، بما في ذلك الاقامة والطعام والكتب، حرصا منه على إفادة أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين في الغرب

المركز الدولي للعلوم الاسلامية في ألمانيا

منارة وسط دياجير المادة

إعداد: د. صلاح الدين أرقه دان

يقارب عدد المسلمين في أوروبا ٢٠ مليونا، منهم العامل والعالم والطالب واللاجيء، واكثرهم مضطر للإقامة في ديار الاغتراب بسبب ظروفه الاقتصادية أو السياسية التي تمر بها بلاده، وبعضهم فرّ بدينه بسبب الاضطهاد الذي يواجههم فيها كما في فلسطين وكسوفو والبوسنة والهرسك وكردستان، وسواها..

حاجة المسلمين إلى مؤسسات متخصصة

وبالرغم من هذا العدد الجم الغفير للجاليات الاسلامية، والقدرات العلمية الفذة التي تساهم بشكل فعّال في التقدّم العلمي الذي وصل إليه العالم الغربي، ليس لديهم مؤسسات متخصصة تعمل على تعليم أبنائه لغتهم ودينهم، وهم يتعرضون لظروف قاسية تفرض عليهم التغرب في اللغة والدين والمجتمع والفكر، وجوانب أخرى عديدة في الحياة. وإيضاح صورة الإسلامية النقية بعدما شوّهها الاعلام المغرض والتجهيل المقصود..

كما تفتقد الساحة الإسلامية الغربية علماء مؤهلين لإفتاء أبناء الجاليات الإسلامية في أمور دينهم، لاسيما ما يستجد من المعاملات الكثيرة المعقّدة، وإن وقع سؤال العلماء الزائرين أو مراسلة مراكز الافتاء في العالم الإسلامي فإن الفتاوى تأتي متباينة مختلفة باختلاف مناهج العلماء ومذاهبهم الفقهية، ولا تلحظ – في الغالب – الظروف الموضوعية الخاصة التي يعيشها المسلم في الغرب..

خطوة عملية

وفي سبيل إيجاد خطوة عملية على درب معالجة الحالة المذكورة، تداعى عدد من الدعاة المهتمين في ألمانيا (من المسلمين الألمان والمقيمين فيها) فأنشأوا مركزا إسلاميا باسم (المركز الدولي للعلوم الاسلامية) ليحمل على عاتقه عبء التعليم والإرشاد في جانبي اللغة وعلوم الشرع من تفسير وحديث وفقه وأصول وغير ذلك من علوم يحتاجها المجتمع المسلم لاسيما في البلاد الأوروبية، على أن يتم ذلك من خلال دورات علمية مكثفة تطرح فيها مناهج محددة ولمستويات تم توصيفها ووضع برامج مناسبة لها، وقد ساهم عدد من أبناء الكويت في دعم نشاطاته، ويديره حاليا فضيلة الدكتور حسن هيتو المدرس في كلية الشريعة بجامعة الكويت..

ويتولى التدريس في هذه الدورات عدد من العلماء أهل الثقة والكفاءة ممن أبدى استعداده الكامل للتعاون مع المركز في شتى بقاع العالم الاسلامي، وتهدف تزويد طلبة العلم بما يمكنهم من القيام بأعباء الدعوة إلى الله على بصيرة من أمور دعوتهم ودينهم..

وقد أجاز المؤسسون الانتساب إلى عضوية (المركز) بصفة (عضو فعال) لكل مسلم تتوفّر فيه الكفاءة العالية في العلوم الإسلامية، وأجازوا الانتساب بصفة (عضو غير فعّال) لكل مسلم مهتم بالعلوم الاسلامية..

ويطمح (المركز) إلى إنشاء لجنة للفتوى، تمثل جميع المذاهب الفقهية من كبار علماء العالم الإسلامي، تتولى إفتاء

المسلمين المقيمين بالغرب في كل ما يحتاجون إليه في جميع جوانب الحياة من العبادات والمعاملات والعقود..

الدورات الشرعية المنجزة

لقد أقام المركز، منذ عام ٩٨ وحتى الآن خمس دورات علمية وأعلن عن بدء تقديم الطلبات للدورة السادسة في الفترة من 12/24٩٤/ وحتى 1/6٩٥/ وتشمل موادها: الفقه، ومصطلح الحديث، والنحو، والتوحيد، والتجويد، والثقافة الإسلامية، على أن يستوفي الطالب الراغب بالمشاركة شروط الانتساب إلى الدورة، المذكورة مع استمارة الاشتراك نفسها..

وقد ساهم في القسط الاكبر من التدريس في الدورات السابقة عدد من ابناء الكويت والمقيمين فيها، وحضرها حوالي ٧٠ طالبا من جميع انحاء أوروبا، وعلى الأخص من: ألمانيا وفرنسا وهولندا وبريطانيا وبلجيكا والدنمارك والسويد، ورغم كثافة المحاضرات اليومية وصعوبة المادة العلمية التي يتلقاها بعض الطلبة لأول مرة، فقد زادت نسبة النجاح عن ٨٠٪ ولله الحمد..

يعيش في الغرب ما يقارب ٢٠ مليون مسلم، يقيم أكثرهم اضطرارا بسبب الظروف السياسية أو الاقتصادية القاهرة في بلده

وكان لهذه الدورات اكبر الاثر في نفوس الطلاب الذين حضروها لما حققوه من العلم والمعرفة، إلى جانب الفوائد الاجتماعية المتمثلة في لقاء عدد من مختلف الجنسيات والميول والطموحات في مكان واحد ولغاية واحدة وفي منهج علمي واحد. كما كان لها كبير الأثر في التربية، لحرص الجميع على تطبيق تعاليم الاسلام ومعاني الأخوة والإيثار، والسمو الروحي في الصلاة والصيام والقيام والتلاوة وغير ذلك.

أهداف علمية طموحة

ولتحقيق أكبر قدر من الفائدة من وراء المركز تم تحديد أهدافه بالتالي:

- نشر الثقافة الاسلامية بين ابناء المسلمين عن طريق تدريسهم العلوم الشرعية من مصادرها الأصلية المعتمدة..
- نشر اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ولغة علماء الدين على مدى التاريخ..
- متابعة كل ما يتعلق بالاسلام من ابحاث وندوات ومؤتمرات، وتنسقيها وترتيبها بحيث يسهل على الباحثين الوقوف عليها..
- مراسلة من يمكن مراسلته من العلماء والمفكرين والناشرين ممن له عناية بالموضوعات العلمية الاسلامية للاستفادة من خبراتهم وآرائهم..
- تقديم المشورة العلمية لطلبة درجات الماجستير والدكتوراه في مجال اختيار مباحثهم، وطريقة العمل فيها، عن طريق لجنة من أساتذة الجامعات في شتى المجالات..
- الاهتمام بجمع المعلومات عن التراث الاسلامي المخطوط..
- عقد المؤتمرات والندوات التي تجمع العلماء والمفكرين للتداول فيما يحتاج لبحث ونظر من الامور العلمية المهمة..
- إنشاء لجنة للفتوى، تبحث وتناقش قضايا إسلامية قديمة وحديثة مما يحتاج للبحث والنظر..
- إصدار (دورية) ينشر فيها ما تجمع لدى المركز من معلومات وقام به من النشاطات..

ترتب على الدورات الشرعية المكثفة فوائد علمية واجتماعية وتربوية كثيرة

جهاد لا قتال فيه

ليس للمركز موارد مالية ثابتة، وإنما يعتمد على اشتراكات المؤسسين والمنتمين إليه في ألمانيا وغيرها، ولكن الاشتراكات هذه لا تفي بأدنى حاجاته، ولذلك يعتمد على تبرعات المهتمين من المسلمين، من جميع أنحاء العالم.. وبالرغم من حجم النشاط الثقافي الذي يقوم به المركز إلا أنه لم يتمكن بعد من شراء مقر له لعدم توفر الامكانات المالية الكافية، وإنما استأجر مبنى مؤقتا يشمل مكاتب الإدارة والمصلى، مما فرض تحديد عدد المشاركين بالدورات والنشاطات الأخرى، بالرغم من تلقي مئات الطلبات من جميع أنحاء اوروبا.. ويبلغ اجمالي نفقات المركز الحالية حوالي ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف مارك الماني شهريا (حوالي ٦٠٠٠ دولار أمريكي)، تمثل اجرة المقر ورواتب العاملين والمصاريف الروتينية.. وفي الوقت الذي تكلف فيه الدورة الشرعية الواحدة حوالي ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألف مارك (حوالي ١٨ ألف دولار أمريكي)، فإن المركز يقدّم خدماته بما في ذلك الإقامة والطعام والكتب ومصاريف المحاضرين مجاناً لا يكلّف الطالب المشارك ماركاً واحداً، مراعاة لأحوال الغالبية العظمى من الطلبة المشاركين.. ويسعى المركز حاليا لشراء مقر دائم، قدّرت تكاليفه بحدود ٢٠٠ مائتي ألف دينار كويتي (تزيد عن ٦٠٠ ألف دولار أمريكي)، ويطمح إلى إيجاد مورد مالي ثابت لتغطية النفقات الشهرية، ونفقات النشاطات بما فيها الدورات الشرعية، وقد فتح لذلك باب التبرعات في جهاد لا قتال فيه □

القرآن الكريم مائدة المربين والدراسين

بقلم: محمد يوسف الجاهوش

بعث الله تعالى محمداً ﷺ مبشرا ونذيرا، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا وأنزل القرآن معجزة خالدة مستمرة ماتعاقب الليل والنهار، وتحدى به الثقلين من الإنس والجن، فأذعن لفصاحته بلغاؤهم، وانقاد لحكمته حكماؤهم، وانبهر بأسراره علماؤهم وانقطعت حجة معارضيه وظهر عجزهم، كيف لا وهو كلام الحكيم الخبير، الذي خلق الخلق بعلمه، وتعبدهم بقدرته، فأنزل إليهم مافيه صلاحهم ونجاحهم في الدارين، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] فالقرآن كلام الله تعالى، أحكم آياته بإرادته وصانه بقدرته.

يسر ذكره للذاكرين، وسهل حفظه للدراسين، فهو للقلوب ربيعها وللأبصار ضياؤها جعله الله تعالى نوراً وإلى النور يهدي، وحقا وإلى الحق يرشد، وصراطا مستقيما ينتهي بسالكيه الى جنة الخلد. لا تمله القلوب، ولا تتعب من تلاوته الألسنة، ولايخلق على كثرة الرد.

والمسلم مطالب – وليس له خيار – ان يكون هذا الكتاب الكريم دليل دربه، ودستور حياته، في خلوته وجلوته، والأمة مطالبة – وليس لها خيار – ان يكون القرآن الكريم دستورها ومصدر تشريعها، تصدر عنه في دقائق وجلائل الأمور على كل مستوى، وفي كل مجال، بقوانينها وتنظيماتها الداخلية، وبتشريعاتها وعلاقاتها الدولية. ويوم ان تفعل ذلك تنتظر نصر ربها الذي وعده عباده المؤمنين. والخطوة الأولى التي تربط المسلم بالقرآن هي: تلاوته.

تلاوة القرآن

آداب تلاوة القرآن الكريم:

١- طهارة البدن من الحدث الأكبر والأصغر ونظافة الثوب والمكان.

٢- الاستعاذة بالله من الشيطان عند البدء. قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨]..

٣- التدبر والتفكر في معاني مايقرأ او يسمع، ولو اقتضاه هذا التدبر ان يردد الآية مرات كثيرة، لأن هدف التلاوة إنما هو فهم الخطاب الرباني، والوقوف عند أوامره ونواهيه، وقد ذم الله من لايتدبر كتابه، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد:٢٤]، وقال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ [ص:٢٩] وصح عن ابي ذر أن النبي ﷺ قام بآية يرددها حتى أصبح، وهي قوله عز وجل: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة:١١٨]..

٤- ان يتذكر القارىء من واقع حاله ماهو موافق لما يطلبه ربنا في كتابه، وماهو مخالف وقائم على غير هدى من كتاب الله، قال تعالى: ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذكّروا ومايزيدهم إلا نفوراً﴾ [الاسراء:٤١]..

٥- ان يتحرى اوقات حضور قلبه وخشوعه، فيستغلها في التلاوة والتدبر، واهمها ما كان عقب الصلاة المفروضة، وفي هدأة الليل وسكونه، قال تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ [الاسراء:٧٨] والنصف الاخير من الليل افضل من الأول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة،

وأفضل قراءة النهار بعد صلاة الصبح، ويفضل من الأيام: الجمعة، والإثنين، والخميس، ويوم عرفة، والعشر الأواخر من رمضان، والعشر الأوائل من ذي الحجة، ورمضان شهر القرآن.

٦- وعلى سامع التلاوة الإنصات، وتأمل المعاني ومتابعة القارىء فان ذلك من اسباب جلب رحمة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحَمون﴾ [الأعراف:٢٠٤]..

٧- ويستحب للقارىء وللسامع إذا قرأ أو سمع آية رحمة ان يسأل الله من فضله، واذا مر بآية عذاب ان يتسعيذ بالله من الشر أو من العذاب، سواء أكان يقرأ في الصلاة أم خارجها، ويستوي في ذلك الإمام والمأموم والمنفرد، فقد صح عن حذيفة بن اليمان انه صلى خلف النبي ﷺ ذات ليلة، فكان اذا مر بآية فيها تسبيح سبّح، واذا مرّ بسؤال سأل، واذا مرّ بتعوّذ تعوّذ [رواه مسلم].

٨- ان يتجنب القارىء الكلام والضحك اثناء القراءة - إلا كلاما يضطر اليه - فقد اخرج البخاري في صحيحه ان النبي ﷺ كان إذا قرأ القران لايتكلم حتى يفرغ مما أراد ان يقرأه.

٩- تزيين الصوت رترقيقه بما لايعد تكلفا، فإن رسول الله ﷺ كان يحب سماع القرآن من ذوي الصوت الحسن، وقد صح عنه ﷺ انه قال: «زينوا القرآن بأصواتكم» [رواه ابو داود والنسائي] وأثنى على أبي موسى الأشعري لحسن صوته بقوله: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود » [متفق عليه].

١٠- وينبغي لقارىء القرآن ان يرتل قراءته: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل:٤] وقد نعتت أم المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ بأنها كانت قراءة مفسرة حرفا حرفا. [رواه الترمذي وابو داود]..

فضل التلاوة وثوابها

ان فضل التلاوة عظيم، وثوابها جزيل، ومنزلة العبد عند ربه بمقدار قربه من كتابه عز وجل، ومعايشته له، وكثرة تلاوته، وإقامة احكامه، قال تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممارزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾ [فاطر:٢٩و٣٠]..

فانظر يا اخي الى منزلة التلاوة وثواب المثابرين عليها:

١- إنهم ممن وعدهم الله تعالى بالتجارة الرابحة في دنياهم واخراهم.

٢- وتعهد لهم ربنا عز وجل ان يوفيهم اجورهم كاملة غير منقوصة.

٣- ان يزيدهم من فضله، ثوابا فوق ثوابهم وجزاء يفوق ما استحقوه بأعمالهم.

٤- ويختم لهم بالمغفرة ﴿إنه غفور شكور﴾

■ تحرى اوقات حضور قلبك وخشوعه، فاستغلها في التلاوة والتدبر، واهمها ما كان عقب الصلاة المفروضة، وفي هدأة الليل وسكونه

ومالذي يرجوه المؤمن بعد هذا

منزلة قارىء القرآن

منزلة قارىء القرآن ترتفع وتترقى كلما أخلص النية وابتغى وجه الله تعالى، وكلما ازدادت صلته بكتاب الله عز وجل، قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها» [ابو داود والترمذي، وقال الترمذي حسن صحيح].

وقارىء القرآن احد رجلين: رجل آتاه الله ملكة الفصاحة والبيان والنطق السليم، فهو مع السفرة الكرام البررة. ورجل لم ينشأ على الفصاحة والبيان لعجمته، أو بعده عن العلم والعلماء فهذا له في قراءته أجران.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران» [متفق عليه].

وقارىء القرآن تضاعف حسناته، قال ﷺ: «من قرأ القرآن له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر امثالها لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الترمذي].

ومنزلة قارىء القرآن والعامل بأحكامه فوق غيره من الناس قال ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين» [رواه مسلم].

والقرآن يأتي شفيعا يوم القيامة لمن تعاهده بالدرس والفهم والعمل، لذلك حث الرسول عليه الصلاة والسلام على قراءته، قال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه» [رواه مسلم]..

واحذر أخي المسلم ان تشغلك امور الحياة - أيا كانت - عن صلتك بكتاب الله عز وجل تلاوة وفهما، فشواغل الحياة لن تنقضي مادامت الحياة.

وفرق كبير بين من يواجه الحياة وأحداثها ومشاغلها وهو موصول الحبال بربه، متزودا من كلامه، وبين من يواجهها ضعيف الصلة بمصدر العزة - القرآن الكريم - قليل التزود من معينه وفضائله، وان الوقت الذي يعيشه المسلم مع كتاب ربه ليس وقتا ضائعا، ولايتوقف بسببه أي عمل من الأعمال، انه وقت يكتسب المسلم فيه طاقة إيمانية، وقوة روحية تضاعف من همته ونشاطه، وتنعكس آثارها الإيجابية على نفسية صاحبها.

ثم هو وقت مبارك، ويبارك الله بسببه

القرآن الكريم مائدة المربين والدراسين

في بقية الأوقات، ويعطي صاحبه أفضل مما يؤمل، قال ﷺ: «من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]..

المحافظة على القرآن والتحذير من نسيانه

إن من أوتي حفظ القرآن كله او حفظ بعضه فقد أوتي حظاً عظيما، ورزق خيرا عميما، وان ظن ان احدا أوتي خيرا منه فقد حقر ماعظم الله عز وجل.

لذلك جاءت الأحاديث النبوية صحيحة صريحة تحذر من نسيان القرآن، وتحث على تعهده بمداومة التلاوة لتثبيت الحفظ، فعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها» [متفق عليه]..

وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها امسكها، وان اطلقها ذهبت» [متفق عليه].

إكرام أهل القرآن

القرآن كلام الله تعالى القديم وحبله المتين، وحملته هم أولياء الله تعالى، ما حافظوا عليه، واهتموا بفهمه، وحرصوا على تبليغ تعاليمه فلا عجب ان يكونوا موضع الإكرام والاجلال. قال ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» [رواه أبو داود]، وهو حديث حسن.

ومن كرامة أهل القرآن على ربهم ان جعلهم مقدمين على غيرهم في حياتهم وبعد مماتهم. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ان النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى احد ثم يقول: «أيهما أكثر أخذا للقرآن»؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. [رواه البخاري]..

فليت من أكرمهم الله تعالى بحفظ كتابه، وحمل رسالته يدركون منزلتهم عند ربهم عز وجل ويؤدون واجبهم تجاه حمل الأمانة التي حملوها.

أخلاق حامل القرآن

■ القرآن دليل درب المسلم، ودستور حياته، في خلوته وجلوته

ينبغي ان يكون حامل القرآن هو رجل الدعوة، ورجل الدعوة يجب ان يكون رجل القرآن، متحليا بأكرم الشمائل، مصونا عن دنيء المكاسب، مترفعا على الجبابرة والطغاة، متجافيا عن سفاسف الامور، متواضعا للصالحين، ذا سكينة ووقار، شريف النفس، عالى الهمة، وهذه الاخلاق فهمها اصحاب النبي الكريم وتحلوا بها، وحرصوا على نقلها إلى من وراءهم، قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله قائما إذا الناس نائمون، وبنهاره صائما اذا الناس مفطرون ، وبعفة لسانه إذا الناس يهجرون، وبحزنه اذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وعن الحسن البصري رحمه الله، قال: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ينبغي لحامل القرآن ان لايكون له حاجة إلى احد من الخلفاء فمن دونهم، فحامل القرآن حامل راية الاسلام لاينبغي له ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيما لحق القرآن.

خاتمة

وبعد؛ أخي المسلم، ان القرآن مائدة الله عز وجل يدعو مناديها صباح مساء: هلم الى قرى الكريم، وضيافة العزيز الحكيم، فأقبل يا أخي، أقبل ولاتتردد. تزود من مائدة القرآن ففيها شفاء النفس من امراضها، وسلامة الأجسام من أدوائها، وراحة الصدور من كآبتها وانقباضها: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادوْن من مكان بعيد﴾ [فصلت:٤٤]..

ان نماذج الحياة على صعيد الفرد والدولة والأمة قد وضحها القرآن وبينها، وتكفل بالسعادة والسيادة والعزة والسؤدد لمن أقام الحياة على وفق هدايته وفي ضوء تعاليمه.

وإن أمة أعرضت عن كتاب ربها واتخذته وراءها ظهريا حرية أن يطول ليلها، ويدوم شقاؤها، ويستذلها أعداؤها، وينهبون خيراتها، ويسومونها سوء العذاب، فمتى يصحو عقلاء الأمة ويحملون أنفسهم على منهج القرآن ويقودون أمتهم إلى هذا النهج القويم؟

إننا لم نفقد الأمل، ومازلنا نتطلع إلى ذلك اليوم الذي نرى فيه شباب الدعوة ورجالها ربانيين في اخلاقهم، ربانيين في سلوكهم وتعاملهم، ربانيين في صداقاتهم ومعاداتهم، عندها نرجو لهم نصر الله الذي وعد عباده المؤمنين. سدد الله الخطا ووفق الجميع. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين□

التربية بالقصة أكثر أساليب لتربية اثارة وتشويقاً

التربية بالقصة.. احد أساليب التربية المعتبرة، وأكثرها إثارة وتشويقا، لما في القصص من عناصر تشويق، ولسرعة ثباتها في الذهن، ولما تحتويه من العظات والعبر.. فالقصة تتجاوب مع ميول الإنسان الفطرية، وتعني بالتربية الوجدانية، إذ تولي العاطفة جانبا كبيرا من اهتمامها، وتوسع الخيال، وتقوى الذاكرة، إنها تقوم على أساس تصوير الحياة بأجمل السلوك وانبل القيم، فتوجه المتلقي نحو اعتناق أمثل المثل الإنسانية والقيم المعهودة، هذا بالإضافة إلى مايجده في قراءتها من متعة وراحة بما يعود عليه أخيراً ببالغ النفع في حقول الأدب واللغة والتربية والحياة..

بقلم: مصطفى عيد الصياصنة

عناية القرآن الكريم بالقصة

وقد عنى القرآن الكريم بالقصة عناية بالغة، فأفرد سورة كاملة من سوره باسم (القصص)، وخص إحدى سوره كاملة بقصة مطولة، وأكثر من ذكرها — أي القصص - مطولة وموجزة، في الكثير من باقي سوره، قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف:١١١]، وقال: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ [يوسف:١٠٣] كما وأمر نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بأن يقص على الناس مايوحى إليه من القصص من ربه، ليتعظوا ويعتبروا: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ [الاعراف:١٧٦].

وعظ القرشيين بالقصة

فمثلا..كان مشركو قريش يشعرون باستكبار عن مجالسة ضعاف المسلمين وفقرائهم، فضرب الله لهم مثلا (قصة أصحاب الجنتين) قصة ذلك الثري الذي أبطرته النعمة، وأذهلته الثروة، فنسى القوة الكبرى، التي تسيطر على أقدار الناس ومدارج الحياة، وحسب ان هذه النعمة التي بين يديه لاتفني، وأن مايتجلبب به من سرابيل الجاه والمال والقوة لن يخذله، فراح يجادل ويباهي رجلا آخر ضعيفا، إلا أنه مؤمن معتز بإيمانه، لايرى النعمة إلا دليلا على المنعم، وموجبة لحمده وشكره، لا لجحوده وكفره:

﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا. كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا. وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ماأظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة﴾ [الكهف:٣٢-٣٦].

إنه رجل ثري بطر مأخوذ بنفسه ومايملك، ذهب به زهوه وبطره وتعاليه إلى انكاره ان تكون الساعة قائمة، لقد وصل به غروره إلى منتهاه، وسد عليه صلفه جميع منافذ التفكير والتأمل السليم، وأغلق على نفسه البائسة كل الابواب التي يمكن عن طريقها وصول صوت الحق والخير اليه، وراح يعلن بكل وقاحة وبجاحة جحوده وكفره للنعمة التي أسبغها الله وافرة عليه.. لقد

الاعتبار



انخلع من كل أردية العبودية والشكر، وهام في الطريق الذي اختطه له شيطانه وقاده اليه كبره وصلفه..

أما صاحبه، فقد كان على النقيض من موقفه تماما: لقد كان أقل منه مالا وولدا، إلا أنه كان أفضل منه بما هو أهم وأعظم.. لقد كان عزيزا بإيمانه، مطمئنا إلى عبوديته لله الواحد القهارشاكرا لـه نعمه وآلاءه، راضيا بقدره الذي قدره له.

﴿قال لـه صاحبه، وهو يحاوره أكفرت بـالذي خلقك من تـراب ثم من نطفـة، ثم سواك رجـلا. لكنا هـو الله ربي ولاأشرك بـربي أحـدا. ولـولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله إن ترن أقل منك مالا وولدا. فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويـرسل عليها حسبانـا من السماء فتصبح صعيـدا زلقـا. أو يصبح مـاؤهـا غــورا فلن تستطيع لــه طلبـا﴾ [الكهف:٣٧-٤١]. ويستمـر الحوار على هذه الصـورة بينهما ساخنـا حارا، إلى ان ينتهي على هـذا الشكـل: ﴿وأحيط بثمـره فأصبح يقلب كفيه على مـاأنفق فيها وهي خاويـة على عروشهـا ويقول يـاليتني لم أشرك بربي احد ولم تكن لـه فئة ينصرونه من دون اللــه ومــاكــان منتصرا﴾ [الكهف:٤٢-٤٣].

واحيط بثمـره.. محقت جنتـه بثمارهـا وشجـرها، وشخص صـاحبنـا مذهـولا، يقلب كفيـه على الخسـارة التي مني بها، والمصيبة التي حلت به ووقعت على رأسه.. واعتراه النـدم، حـاصرته الهمـوم بثقلهـا، وأخذ يُعْـولُ ويصيح: ﴿ياليتني لم أشرك بربي أحدً﴾. ولكن متى؟ بعد فوات الأوان، وبعد ان نـزل بجنته كل عواصف الـدمار والخراب، ويسـدل الستـار على منظـر الجنان وقد استحالت يبـابا.. إنه مثل لكل انسان نفشته النعمـة، فنسى ذكر الواهب المنعم وشكـر البـاذل المن، فـازدهى كالطـاووس وعربـد واختال.. إنها قصـة غابـرة، إلا أنها جرس يقـرع كل آن، فينبه كل سـادر ولاه، ويوقظ كـل غافل وَسْنَان..

من القصص النبوي

ولبيان ان أبـواب التوبـة مفتوحـة، لكل من اتجه الى اللـه، بقلب صادق ونيـة خالصـة، على ماكـان منه من عمل، ضرب النبي صلى الله عليـه وسلم لذلـك مثلا بقصة (القـاتل مئة):

■شكـــل المثــــل القصصي مادة بارزة للمثـــل الشعبـــي ■تشتت سبأ فـذهب شتـــاتها مثـــلاً

فعن أبي سعيـد الخدري رضى الله عنـه، ان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم قال: «كـان فيمن كـان قبلكم رجل قتل تسعـة وتسعين نفسـا، فسـأل عن أعلـم أهل الأرض، فدل على راهـب، فأتاه، فقـال: إنه قتل تسعـة وتسعين نفسـا، فهل لـه من توبـة؟ فقال لا، فقتلـه، فكمل به المئـة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فـدل على رجل عالم، فقال: إنـه قتل مئة نفس، فهل له من توبـة؟ فقال: نعم، ومـن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى ارض كـذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد معهم، ولاترجع إلى أرضك، فإنها ارض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت، فاختصمت فيـه ملائكـة الـرحمة ومـلائكة العـذاب، فقالت مـلائكة الـرحمة: جاء تائبـا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط، فأتـاهم ملك في صـورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقـال: قيسوا مابين الأرضين، فإلي أيتهما كـان أدنى فهو لـه، فقـاسوا، فـوجـدوه أدنى إلى الارض التي أراد، فقبضتـه مـلائكـة الـرحمة» [رواه البخاري ومسلم].

لقد سيق هذا المثل على شكل قصة، الهدف من ورائها بيان ان فسحـة الأمل في ولوج باب التـوبة واسعة ومستمـرة، مهما بدر من الإنسـان من ذنـوب، ومهما اقترفت جـوارحـه من آثـام، فهـذا مجرم سفـاك متعطش للولوغ في الدماء البريئة، وقد قتل مئـة رجل، ومع ذلك قبل الله منـه توبتـه، عندما أتاه منيبا مخلصا بها قلبه، ورحمة الله وسعت كل شيء.

شكر النعمة ونكرانها

وفي قصة (الأقرع والأبرص والأعمي) مثل آخر من الأمثال النبوية الكريمة:

فعن أبي هـريرة رضي اللـه عنه، انـه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ان ثـلاثـة من بنـي اسرائيل: أبـرص وأقـرع وأعمى، أراد اللــه أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص، فقـال: أي شيء أحب اليك؟ قــال: لــون حسن وجلـد حسن، ويذهب عني الذي قـد قذرني الناس، قال: فمسحه، فـذهب عنه قـذره، وأعطى لـونا حسنا وجلـدا حسنا، قـال: فأي المال أحب اليك؟ قال: الإبل، قال: فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتي الأقرع، فقــال: أي شيء أحب إليك؟ قــال: شعـر حسن، ويـذهب عنـي هـذا الـذي قـذرني الناس، قـال: فمسحه، فـذهب عنـه، قال: وأعطي شعرا حسنـا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطى بقرة حاملا، قال: بـارك اللـه لك فيهـا، قـال: فأتي الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قـال: يرد الله إلى بصري، فأبصر بـه الناس، قـال: فمسحه، فـرد الله إليـه بصره، قـال: فأي المال احب إليك؟ قال: الغنم، فأعطى شاة والدا، فأنتج هذان، وولـد هذا، فكـان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقـر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلابلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد والمال، بعيرا أتبلغ بـه في سفـري، فقـال: الحقوق كثيرة، فقال لـه: كأني أعرفك، ألم تكن أبـرص يقذرك الناس، فقيرا فـأعطاك الله؟ فقـال: إنما ورثت هذا المال كـابرا عن كابر، فقال: إن كنـت كاذبا فصيرك الله إلى ماكنت عليه، قال: وأتى الأقرع في صورته، فقـال له مثل مـاقـال لهذا، فرد عليـه مثل مارد على هذا، فقال: ان كنت كاذبا فصيرك الله إلى مـاكنت عليه، قـال: وأتي الأعمى في صوتـه وهئيته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل انقطعت بي الحبـال في سرفي، فـلا

الاعتبار بقصص الغابرين عن طريق الامثال

بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى، فرد الله إلى بصري، فخذ ماشئت ودع ماشئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي عنك، وسخط على صاحبيك» [رواه البخاري ومسلم].

شخصيتان متقابلتان

في هذا المثل القصص من أمثال النبوة، نجد طرحا لشخصيتين متقابلتين: الشخصية الجاحدة المكابرة المتبجحة، يمثلها كل من الأبرص والأقرع، اللذان كانا يشعران بمنتهى الألم والمعاناة، لما هما عليه من العاهة والفقر، وقد استجاب رب العالمين لدعوتيهما بشكف الضر عنهما، إلا أنهما أشاحا عن فعل الخير وتقديم يد المعروف، متعللين بكثرة الحقوق والواجبات، وحين ذكرهم ذلك الآتى (الذي هو ملك) بما كانا عليه، تنكرا ببجاحة، وادعى كل منهما أنه ورث هذا المال كابرا عن كابر.. في مقابل الشخصية الجاحدة نجد شخصية الأعمي، العبد الشاكر، المقر المعترف بنعم الله عليه وفضله، المتصدق مما أعطاه الله.

وهو مثل فيه من العبرة والعظة ما فيه، فالإنسان طموح إلى الأفضل والأحسن، إلى البسطة في المال والجسم، راغب في رحمة ربه أن تناله فتكشف عنه مابه من ضر، حتى اذا أنعم الله عليه، وزاده بسطة في ماله وجسمه، اتخذ أحد طريقين: إما الجحود والتنكر لما كان عليه، والتبجح بأنه إنما نال ذلك بكد اليمين وعرق الجبين، فيعزف عن الإحسان والبر والمعروف، وإما ان يكون عبدا شكورا.. ففي الحالة الأولى يجلب على نفسه النقمة والعذاب، وفي الثانية يكافأ بمزيد النعم وموفور العطاء والبركة.

إنه الطرح الذي يهدف من ورائه تلوين الحياة بطابع الإشراق، الذي يبعثه السرد القصصي للمثل في النفوس، وامتاعها باللون المحبب إلى جبلتها من ألوان الوعظ والارشاد، هذا بالاضافة إلى توظيف مثل هذه الأشكال من السرودات المتعة، لإحداث التغيير المبتغى والمأمول في السلوك الإنساني والطبع البشري السليم.

القصة في الأمثال الشعبية

وفي الأمثال العربية القديمة، نلحظ مثل هذا التوظيف للمثل القصصي، المستقاة معانيه من أحداث تاريخية منصرمة، أو أساطير وحكايات موروثة، من أجل تحقيق هدف الوعظ والإرشاد وزرع العبرة الفاعلة في النفس والسلوك.. ومن هذا القبيل قولهم: (تفرقوا أيادي سبأ) [مجمع الأمثال للميداني] لمن حلت بين ظهرانيهم رحال الفرقة لتشتت والضياع، بعد الألفة والرغد والاجتماع.

سبأ وسد مأرب

وسبأ هذه قوم سكنوا اليمن وحكموه ردحا طويلا من الزمن، منهم بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام، وقد سكنوا أرضا مخصبة ممرعة، وتحكموا في مياه الأمطار المتدفقة خلال ديارهم، اذ بنوا سد مأرب العظيم، الذي يعد أحد عجائب العالم القديم، جعلوه على فم واد، يكتنفه من جانبيه جبلان، ويحجز خلفه بحيرة واسعة ممتدة من الماء، الذي نشطوا في التحكم به لوقت حاجتهم، وبرعوا في استغلاله في مقابلة بساتينهم وجنانهم الوارفة المتنامية..

لقد أنعم الله عليهم بعطائه، وعرفوا كيف يستفيدون من هذا العطاء، فغرسوا الأشجار، واستنبتوا الثمار، وغدوا في حال من رفاهية العيش والغبطة والرغد، يرفلون في النعمة، وينعمون بالأمن والعافية والأمان.. حتى إن مسافرهم لم يكن لوفرة الثمار وتقارب البلدان - يحتاج إلى حمل شيء من الزاد والماء مع طيلة رحلته وتنقله، فهو حيث نزل وجد الماء والثمر والمقيل والسكن، بل ان المرأة من نسائهم، لم يكن عليها إلا أن تضع مكتلها أوزنبيلها علي رأسها وتمضي، لتعود إلى بيتها بعد سويعات وجيزات، وقد تساقط في وعائها من الثمر اليانع الطري مايملؤه، من غير كلفة منها أو قطف، لقد أضحوا في بحبوحة العيش يتبخترون، اكتنفتهم سماحة الأرض بالنعمة والرخاء، واحتضنتهم سماحة السماء بالعفو والمد والغفران، إلا أنهم لم يشكروا ولم يذكروا، بل أعرضوا وأدبروا.. فأرسل الله عليهم من صواعقه، مابدل نعمتهم شقاء وأمنهم خوفا وتضامنهم تفرقا وشتاتا.. أرسل عليهم سيل العرم، فحطم السد، وأغرق الأرض، وأهلك الزرع والثمر، وتحولت تلك الجنان الفسيحة المرعة إلى صحراء تتناثر بها - هنا وهناك - أشجار الشوك والأثل والسدر والخمط، فتشتتوا في البلاد.. وساحوا في غياهب الأرض.. كأوراق شجرة عصفت بها ريح الخريف فتطايرت في كل فضاء. قال تعالى في تصوير حالهم: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا. وهل نجازي إلا الكفور﴾ [سبأ:١٥-١٧].

قصة براقش

ومن ذلك في أمثالهم، قولهم: (على نفسها جنت براقش) [مجمع الامثال للميداني] يضرب لمن يعمل عملا، يرجع ضرره عليه.. وقصة هذا المثل، ان براقش هذه عبارة عن كلبة، نبحت على جيش مروا، وهم لايشعرن بمكان وجود القوم الذين منهم براقش هذه، فلما سمعوا نباحها، علموا بمكانهم، فعطفوا عليهم واصطلموهم.. فكانت جنايتها على أهلها وقومها، فذهبت في العرب مثلا□

وظفت العرب المثل في سبيل إحداث التغيير المبتغى والمأمول في السلوك الانساني

أشرف العالم على القرن الحادي والعشرين، وانطلقت المرأة في ميدان الحياة تشارك الرجل حقله، ومصنعه، ومعمله جنباً إلى جنب، حتى إنها قد تتفوق عليه أحياناً، لتصبح العلاقة بينهما شبه ندية أو - إن صح القول - ندية مطلقة تتناطح بها رؤوس النساء بالرجال، فتختل الموازين، وتتلاشى الحدود بين الباطل والحق، وبين ماهو كائن ومايبنغي أن يكون. لتصبح فوضى الأدوار، ومايتبعها من تضارب الآراء، سمة المجتمعات المعاصرة بما فيها المجتمع الإسلامي.

دور المرأة في المجتمع الإسلامي

بقلم: د. نزهة طلعت وفا عبد الهادي عصر*

اتحدت الجاهليات القديمة للعرب واليونان والرومان وغيرهم على ظلم المرأة وإهدرت أسمى حقوقها في الحياة وهي إنسانيتها. بل سلبتها الحياة نفسها، حتى جاء الإسلام فكان لها منقذاً، وناصراً، وحامياً ،فرفع من شأنها، وحث على العناية بها، وإكرامها وحسن تربيتها واعتبرها شقيقة للرجل، وشريكة له في حياته، وهي منه، وهو منها، بل نظر إليها نظرة خاصة بحكم أنها تمثل نقطة الثقل في تكوين الأسرة وبالتالي تمثل نواة المجتمع البشري. فالرجل والمرأة في ميزان الإسلام لهما قوام الحياة الإنسانية التي لاترقي إلا في ظل تكاملهما معا.

والإسلام في نظرته إلى الإنسان فيما له من حقوق، وفيما عليه واجبات، هي نظرة واحدة إلى كل من الرجال والنساء، ولا تفاضل بينهما إلا في التقوى والعمل الصالح: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ [آل عمران:١٩٥] وعلو منزلة المرأة في الإسلام تؤكد سموه، وحيوية شريعته، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، فلقد كرم إنسانيتها ومنحها حقوقا مساوية لحقوق الرجل، منها: حق التعليم والثقافة، وحق العمل، إلى جانب الحقوق المدنية وشؤون المسؤولية والجزاء.

واقع المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر

يقع المجتمع الإسلامي اليوم أسير أزمات البحث عن أسلوب حياة مناسب يساير ظروف العصر، وذلك في مناخ، غير صحي، ووفق معايير غير صحيحة، ويبدو حائرا بين فرض قيمه، والأطر العلمية والعملية الخاصة به، فمزج ما اقتبسه من الحضارة الغربية بما حافظ عليه من الحضارة الشرقية بارتجال زاد من تخبط قيمة وأسلوب حياته، وانعكس هذا بدوره على المرأة المسلمة، فأصبحت هي الأخرى أسيرة لهذا التمزق الذي فُرض على مجتمعها، وفرضه هو بالتالي عليها، فوقفت مبلبلة الفكر، زائغة البصر والبصيرة بين تيارين يتجاذبانها، ويزعم أنصار كل منهما أن هدفه هو الحفاظ على كرامة المرأة والذود عن حقوقها، بما يحفظ كيانها الإنساني، ويجعلها عضوا نافعا في المجتمع.

فيدعو التيار الأول المرأة إلى وجوب العودة إلى البيت حيث مكانها الطبيعي الذي خلقت لتمارس كافة أدوارها فيه، ومن خلاله فقط يتحقق وجودها الإنساني، ويدلل أنصار هذا التيار على صحة دعواه بمختلف البراهين المدعمة بالدين تارة، أو بالاعتبارات الخِلْقية والخُلُقية تارة أخرى، أو مكتفيا بالإشارة إلى الواقع الملموس، وما تعانيه النساء العاملات من تعاسة وشقاء. وأما التيار الآخر فيحفز المرأة على منافسة الرجل، ومزاحمته في أعماله ومهامه، وشغل كافة أدواره لتكون له ندا ، وإلا ستفقد عنصرا من عناصر شخصيتها، وبالتالي ينحسر وجودها الإنساني.

ويؤكد أنصار هذا التيار على صحة رؤيته بالإشارة إلى تقدم المجتمع الغربي الذي يجب أن تتخذه المجتمعات الإسلامية نبراسا تسير على هداه، حتى تسمو إلى درجته من التطور والرقي، وبهذا التجاذب والصراع ابتعد كل منهما عن حد الحق القائم على الوسطية، فخلود الإسلام مستمد من قدرته على البقاء ومسايرة العصر بما فيه من متغيرات، فيمزج قيم الدين بمواصفات الدنيا لمواجهة تحديات هذه المرحلة ويعود بالإنسانية إلى حيث أراد لها الله أن تكون أمة وسطاً ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة:١٤٣].

حقيقة الدور الإنساني في الإسلام

لقد بدأت مسؤولية الإنسان رجلا كان أو إمرأة على الأرض منذ ارتضائه حمل الأمانة التي عرضها الله عليه في أن يكون خليفته فيها، حيث يقول تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن

(*) مدرس مساعد بكلية الإعلام، جامعة القاهرة.

يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان﴾ [الأحزاب:٧٢] ومن هذه المسؤولية تحدد دور الإنسان تحديدا إلهياً بالغاية من خلقه وهي عبادته سبحانه ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات:٥٦] وهذا التحديد الإلهي ما هو إلا إطار تتحدد من خلاله كافة الأدوار الانسانية الأخرى الكفيلة باستمرار الحياة وتوازنها، وإقامة مجتمع رباني، المظهر والجوهر.

مسؤولية المرأة في المنظور الإسلامي

إن المرأة في الإسلام ذات مسؤولية خاصة وعامة، فهي مسؤولة عن نفسها وعبادتها، وبيتها من ناحية، وعن مجتمعها من ناحية أخرى، وهي لاتقل في مطلق المسؤولية عن الرجل، ومنزلتها في المثوبة والعقوبة عند الله بما يكون منها من طاعة أو معصية، فقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيتها وزوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(١).

دور المرأة في المجتمع من المنظور الاسلامي

يختلف دور المرأة في الحياة من مجتمع إلى آخر سلبا وإيجابا تبعا لطبيعة التدريبات التي تتلقاها من ناحية، وتبعا لاستعداد المجتمع لتقبل أي أنشطة تسهم بها من ناحية أخرى، ولقد سوى الإسلام بين المرأة والرجل فيما توجب فطرتها النسوية فيه، فسوّى بينهما في العبادة يقول الله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل:٩٧] ويقول تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ [التوبة:١٠٥]. وفي كلتا الآيتين نلمس أن المرأة في الإسلام مثل الرجل، لابد في الأصل أن تكون عاملة كالرجل العامل، وإن كانت طبيعة العمل قد تختلف باختلاف مكانة وظروف كل منهما (٢) وتبعا لما قرره الإسلام للمرأة بأنها ذات مسؤولية، فيمكن تحديد أدوارها في المجتمع الإسلامي في أدوار خاصة تجاه بيتها، وأدوار عامة تتصل بمجتمعها.

أولا: الأدوار الخاصة

١- المنزل:

إن للمرأة في الإسلام دورا أساسيا وطبيعيا وهو المنزل، فهي كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها كزوجة وأم، وهي كزوجة يجب أن تعني بزوجها وتخلص له، وهي كأم يجب أن تكون كل اهتماماتها ورعايتها لهذا الزوج وهؤلاء الأبناء، وهذا ما يتطلب منها التفرغ للبيت الذي من خلاله تنشيء الأجيال، وتبنى الكيانات الإنسانية التي يقع على عاتقها بناء الأمة، ويتوقف عليها فيما بعد مصير الشعب فالأم هي المدرسة الأولى للطفل، وهي بعد ذلك المؤثر الأول في حياة الشباب والرجال على السواء، ومهمتها هذه تعدل في ثوابها وأجرها ماللرجل في شهوده للجنائز والجهاد، وهذا ماقاله الرسول صلى ا لله عليه وسلم لأسماء بنت يزيد حين أتته تسأل عن أجر النساء، حيث أجابها قائلا: «إنصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، وإتباعها لموافقته يعدل كل ماذكرت للرجال».

> ”يعود خلود الاسلام واستمراره إلى وسطيته وقدرته على التعايش مع مستجدات العصور“

ثانيا: الأدوار العامة

ظلت المرأة لفترة طويلة بعيدة عن مجال العمل الخارجي والإنتاج، قانعة بالإشراف على مجتمعها الصغير، ولكن مالبث هذا الوضع أن تغير، واستطاعت أن تندمج في المجتمع الأكبر، وتتصل به مباشرة لتساهم مع الرجل في تنميته وتقدمه في مجالات عدة وهي:

١- المرأة في مجال العلم والثقافة الدينية:

إن تحميل الإسلام المسؤولية للمرأة يجعل لها الحق في أن تتعلم كل مايؤهلها للقيام بتبعات هذه المسؤولية على الوجه الاكمل من تحرّ للخير، والبعد عن الفساد، ومن هنا أوجب عليها الإسلام كما أوجب على الرجل معرفة كل مايتصل بأحكام العبادات والعقائد والمعاملات، ومعرفة ماأحل الله وماحرم من المأكل والمشرب، وإن كانت درجة هذا الوجوب تتفاوت من الوجوب العيني إلى الوجوب الكفائي تبعا لأهمية العلم، وإحتياجات المجتمع. أما في مجال الثقافة الدينية فإن للمرأة فيها دورا هاما، ولقد لقيت الصحابيات في الإسلام من الرسول صلى الله عليه وسلم من التأييد والتشجيع مادفع ببعضهن إلى الاهتمام بالدراسات الدينية، وبخاصة رواية الحديث، وكانت في مقدمتهن السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت مرجعا يعتد به في هذا المجال.

ولم يعق المرأة عن طلب العلم كونها زوجة أو أما فكانت تتلقاه في المساجد، والزوايا، ودور الكتب والمدارس وغيرها من الأماكن المعدة لتربية الولد وتعليمه. وإن كان الباحثون قد اختلفوا في تحديد طبيعة مناهج تربية المرأة وتعليمها، ونوع الثقافة التي يريد المجتمع للفتاة أن تتلقاها لتصبح بها عضوا نافعا في بناء المجتمع الإنساني، فإن هذه ليست بالقضية، لأن العلوم بأنواعها المختلفة سواء مايتعلق منها بمصلحة الفرد أو المجتمع وسواء الدينية

دور المرأة في المجتمع الاسلامي المعاصر

منها أو الدنيوية فإنها مباحة للمرأة إباحتها للرجل، مادامت تقنن داخل الإطار الإسلامي، وتلقن في جوه.

وعلى ذلك فهو للمرأة حق وفريضة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وإن يظهر فضل العلماء على سائر الناس فإن للتفقة في الدين فضل على سائر العلوم، فلقد روى عن معاوية أنه كان يقول خطيبا: سمعت النبي صلى الله على عليه وسلم يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (٣).

٢- المرأة في مجال العمل:

إن حق المرأة في العمل جليّ، فلقد شغلت المرأة المسلمة بالتدريس، وتتلمذ عليها أعظم الرجال وأفاضلهم، وأجازت لهم،ويروى أن الخطيب البغدادى قرأ على كريمة بنت أحمد المرزوى «صحيح البخاري»، كما عملت المرأة في التطبيب والتمريض، فكانت فيه رائدة مثل«رفيدة الانصارية».

المرأة والعمل السياسي:

أ- المشاركة الحربية

لقد منح الإسلام حق الجهاد للمرأة بأذن زوجها، وإن قضت الضرورة وحمى الوطيس فلها أن تخرج بدون إذنه وكان من الصحابيات من .. في المعارك ضربن بالسيف، وركبن الخيل، ولأهمية الدور الذي قامت به المرأة المسلمة في ميادين القتال من تمريض للجرحى، ودفن للقتلى، وإمداد للجيش بالطعام والسلاح، والمشاركة في المشورة والإعداد النفسي والمعنوي، أفرد لها البخارى بابا في كتابه أسماه«باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال» وإن كان العلماء قد اختلفوا فيما هدف إليه البخاري في تسمية كتابه حيث رأي إبن المنير أنه قد يريد أن إعانتهن للغزاة غزو أو إنهن ماثبتن لسقي الجرحى إلا وهنّ بصدد أن يدافعن عن أنفسهن، أما مسلم فقد ذهب إلى أن النساء إذا خرجن مع الرجال لايقاتلن بل يقتصرن على مداواة الجرحى (٤) ومهما كان الأمر، فإن حق المشاركة في القتال الفعلي للمرأة مباح، فإذا أرادت المرأة في عصرنا الحديث المشاركة في هذا الدور الإيجابي، فعلى المجتمع أن يتخذ لها الوضع الذي يصونها ويحفظ عليها كرامتها، حتى تقوم بدورها العام في جو آمن بعيد عن عبدة الاهواء وإن كان الهدف تعليمها كيف تدافع عن نفسها.

ب- إبداء الرأي بالتأييد أو المعارضة:

ينظر الإسلام إلى المرأة نظرته إلى الرجل فمن حقها أن تبدى رأيها في أي مسألة أو أمر يعنّ لها وتدافع عنه بما تملك من حجج وبراهين، وعلى ولاة الأمر الإصغاء إليها وإزالة مايكون قدنزل بها من ضرر.. ويكفي أن سورة المجادلة التي نزلت في حادثة«خولة بنت ثعلبة» أن تكون أثراً من أثار الفكر النسائي، وانعكاسا لاحترام الإسلام الإنسانية المرأة وتقديره لرأيها فلقد اصابت إمرأة وأخطا عمر» ؟ وهذا مايؤكد حرية المرأة وحقها في إبداء الرأي تأييداً أو معارضة، ويعد حق تصويتها في الانتخابات - حاليا أبسط دور لها في المشاركة السياسية.

> ”يحتاج موضوع المرأة في المجتمع المسلم المعاصر إلى رؤية علمية وموضوعية ترتكز على الشمولية والواقعية“

ج- المبايعة:

إن من الادوار العامة التي يحق للمرأة ممارستها، المبايعة على الالتزام بمبادىء معينة وعدم انتهاكها لهذه المبادىء كالقسم على الالتزام بمبادىء مهنة معينة كما يحدث في العصر الحديث، وليس ثمة تفرقة بين الرجال والنساء في القيام بهذا الواجب (٥).

د- التبرع:

يحق للمرأة المسلمة أن تتبرع ماديا أو لإغاثة المجتمعات الإسلامية - وما أكثرها - والمساهمة في رفع البلاء عنها فلقد كانت النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يتبر عن بحليهن وذهبهن ليجهزن الجيوش ويقمن به صرح الإسلام وفي مقدمتهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم. وهن القدوة الحسنة.

٣- المرأة في مجال الخدمة الاجتماعية

«إمتازت المرأة في القديم والحديث بأعمال البر والإحسان بما فطرت عليه من رقة طبع وحنان وتدين. ولقد قدمت أعمالا خيرية جليلة خففت عن البشر عناء الفقر والجوع والحرمان والمرض، وساهمت كثيرا في بناء المستشفيات والملاجيء ودور الحضانة والمدارس على اختلاف أنواعها» (٦)

والتناصر في المجتمع الاسلامي والقيام بالأعباء الاجتماعية يشمل الرجال والنساء ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم﴾ [النحل:٩٧].

ومجالات الخدمة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الإسلامي حاليا كثيرة ومتنوعة. ومن شأن تعاونها في هذا المجال «أن يسد ثغرة كبيرة في مجال البر والإحسان والتربية والتطبيب والمواساة وهذا فضلا عن القيام بأمور المرأة التي هي في حاجة إلى جهود رائدة من جنسها حفاظا عليها وعلى إسلامها» (٧).

٤- المرأة في المجال الديني والدعوة:
إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أكبر مسؤولية في نظر الإسلام تتساوى فيها المرأة بالرجل، وليس للمرأة أن تلقى حظها من هذه المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه اقدر منها على القيام بهذا الدور، أو أن طبيعة خِلْقتها لاتسمح لها بذلك، ولكل من الرجل والمرأة دائرته. وميدانه الذي يمارس فيه الدعوة وهذا الدور ثابت للجميع لايقتصر على جنس أو جماعة معينة، ولقد تطورت وسائل الدعوة في العصر الحديث تبعا للثورة التكنولوجية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة فكانت وسائل الاعلام المقروة، والمسموعة والمرئية إلى جانب المؤسسات الدينية الأخرى أنجع الوسائل لنشر الدعوة الاسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن استخدمت بشكل صحيح - وللنساء مجالهن فيها كما للرجال.

الرؤية الإسلامية لدور المرأة في المجتمع

لقد شاركت المرأة في الحياة الإسلامية، وأخذت مكانها، وأدت دورها في المجتمع الإسلامي، فبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم، وخاضت المعارك، ضمن الحدود التي شرعها الإسلام لها، وهاجرت مع من هاجر من الصحابة، وشاركت في الدعوة إلى الله عزوجل ومن هنا كانت شمولية الإسلام للحياة تنعكس على رؤيته الشمولية للمرأة، من حيث كونها إنسانا، لها من الحقوق وعليها من الواجبات ماللرجل وماعليه، وتتحمل من المسؤليات العامة والخاصة مايجعلها بين حدّى الجزاء فإما ثواب. وإما عقاب. والإسلام دين الفطرة وعليها خلق الإنسان ومن ثم فإن في تبديلها خروجا عن الطبيعة، والفطرة كما يقول محمد المدني قد أكسبت كلا من الجنسين أوضاعا خاصة، ويسرت لكل منهما سبيله بحسب المقصود منه» (٨).

فالمساواة في الأدوار بين الرجل والمرأة لاتقتضي إنكار الطبيعة، ونسيان الفوارق الخِلْقية وما يتبعها من الاختصاص في الأدوار، فلكل منهما أدواته وإمكاناته التي لاتقوم الحياة إلا بهما معا باعتبارهما جناحى الإنسانية وإنكسار أحدهما يعني التوقف والهبوط يقول الله تعالى: ﴿ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ [النساء:٣٢].

فاذا كان المجتمع الإسلامي المعاصر وهو يأخذ بأدوات التقدم يستعين بشطره الإنساني الآخر وهو النساء، وكانت منهن من تنادي إنقيادا للمرأة الغربية - بالمساواة التامة في شغل أدوار الرجل، فإن طلب هذه الندية المطلقة من شأنها أن تحط من وضع المرأة، وتتنزل بها عن الطبيعة الإنسانية التي أرادها الله سبحانه لها: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ [البقرة:٢٢٨].

وإذا كان الاسلام قد منحها حق المساواة مع الرجل فإن لهذه المساواة حدودا وكما يرى عباس العقاد: «فإن العدل الذي فرضته الفلسفة القرآنية للمرأة، هو وضع المرأة موضعها الصحيح من الطبيعة، ومن المجتمع ومن الحياة الفردية.. لأن الطبيعة لاتنشىء جنسين مختلفين، لتكون لهما صفات الجنس الواحد ومؤهلاته وأعماله وغايات حياته (٩) ومع الشدة التي نلاحظها في رؤية العقاد لدور المرأة من خلال الحقوق الممنوحة لها، نجد الإمام حسن البنا مع إتفاقه من حيث المبدأ مع العقاد يشير - بسماحة - إلى رفق الإسلام بالمرأة في عدم تسويتها كاملا مع الرجل فيقول: «الإسلام إن انتقص من حق المرأة شيئا من ناحية فإنه قد عوضها خيرا منه في ناحية أخرى، أو يكون هذا الإنتقاص لفائدتها وخيرها قبل أن يكون لشيء آخر» (١٠).

عملت المرأة إلى جانب الرجل، وكانت داعية صابرة في عهد الرسالة والخلافة الراشدة، وم بعدهما، ولم يكن دورها أقل شأنا من دور الرجل

وأخيرا نشير إلى أن الاصل في المشاركة النسائية - في المجتمع - الإباحة القائمة على الأولويات «ويأتي دورها المنزلي في مقدمة هذه الأولويات وهو الدور الطبيعي لها. والإسلام دين وسط قام على التوازن بين الروح والمادة والنفس والجسد، وبين الدنيا والآخرة.. فلا تضييق ولاتفريط» وأبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا» [القصص:٧٧] إننا بحاجة إلى رؤية موضوعية ترتكز على الشمولية والواقعية الإسلامية المعاصرة فيما يتعلق بقضايا المرأة وأدوارها في المجتمع الإسلامي□

الهوامش

(١) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر، المجلد ١٣، كتاب الأحكام ص١١١.
(٢) د. عبد الهادي النجار «الاسلام والاقتصاد» عالم المعرفة (٦٣) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، ١٩٨٣م، ص٤٢.
(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر، المجلد الاول، كتاب العلم، ص١٦٤.
(٤) أنظر المرجع السابق، المجلد السادس كتاب الجهاد، ص٧٨.
(٥) د. كمال جودة ابو المعاطي، وظيفة المرأة في نظر الاسلام، القاهرة: دار الهدى للطباعة ١٩٨٠م، ص٧٤ بتصرف.
(٦) عمر رضا كحالة، المرأة في القديم والحديث، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٧٥م) ص ١١.
(٧) د. توفيق الواعي، النساء الداعيات، ط ١ الكويت: معهد الدراسات الاسلامية ١٩٨٩م، ص ١٦٦.
(٨) أنظر: محمد المدني، المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، القاهرة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، د. ت، ص٣٥.
(٩) انظر عباس العقاد، الفلسفة القرآنية ع٢٢٩٤، القاهرة، دار الهلال، ط١٩٧٠م ص٥٠، و٥١.
(١٠) حسن البنا، المرأة المسلمة، ط١، القاهرة دار الكتب السلفية، ١٩٨٣م، ص٩و١٠.

علامة الكويت

الشيخ عبد الله الخلف الدحيان

عرض: د. صلاح الدين أرقه دان

علامة الكويت
الشيخ عبد الله
الخلف الدحيان

الكاتب: محمد بن ناصر العجمي

الناشر:
مركز البحوث والدراسات الكويتية

الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورّثوا درهما ولا ديناراً، وإنما ورّثوا رسالات الله والخشية منه، والجهاد في سبيله بالقول والعمل، وقد ذكر النبي ﷺ فضلهم الأسنى في أحاديث شتى، كقوله: «إن الله وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير».. وفقد العالم مصيبة لا تُجبَر، وثلمة لا تُسد، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن خراب الأرض بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير فيها..

ولئن كان إحياء الأرض الموات مما حثّ عليه الشرع وأجزل لصاحبه العطاء في الدنيا والآخرة، فما بالك بإحياء سير أهل العلم، وهم القدوة بعد الأسوة الحسنة ﷺ والنبراس بعد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ونحن في أيامنا هذه أحوج ما نكون إلى قدوة ماثلة بعدما أكثرنا من المثاليات ومواضيع الترف الفكري، وأصبحت موارد العلم سهلة ميسّرة بالطباعة والنشر والتوزيع، ولم تبق الطباعة الحديثة، ولا وسائل الاتصال حجة لتقصير في تناول ما كان آباؤنا يضربون وراءه آباط الإبل، ويصلون في سبيل تحصيله الليل بالنهار، ويتحمّلون مشقات الطريق ووعثاء السفر..

ولئن كان بعض علمائنا ودعاتنا يبحثون في شؤون (الصحوة الاسلامية) المعاصرة، وتدور كتاباتهم حولها وصفا ونقدا وإطراءا وتوجيهاً، وتتناولها وسائل الإعلام كلٌ بحسب منبعه وتوجهه، فإن الكتابة عن أئمة الهدى الأعلام، ومن تبعهم بإحسان، وسرد تاريخهم وتحليل مواقفهم وتبيان عملهم وفضلهم، فيه من بذور العلم النافع، والتوجيه نحو الاقتداء المثمر، ما لا تستغني عنه أمة تريد إقامة بنيانها، وتقويم مسارها، والاستمرار من حيث انتهى الآباء، فلا تضيع التجارب، ولا تموت المفاهيم، ولا تجمد الحركة، ولا نراوح مكاننا فنضيع علينا الرصيد الهائل من العلم والتجربة ومنهجية العمل، ولا نبدأ من الصفر كلما أردنا خطوة إلى الأمام، بل ننطلق على بركة الله في سبيل الحق مزودين بتراث مفيد نزاوج بينه وبين العصرنة بما يجمع بين خيري الدنيا والآخرة، إن شاء الله..

ولكتابة السير منهج يحتاج صبراً وتفهّماً، ذلك أن الكتابة عن الحيّ حياة، والكتابة عن القدوة اقتداء، والشيخ محمد بن ناصر العجمي أراد من كتابه (علّامة الكويت، الشيخ عبد الله الخلف الدحيان) الخروج من إطار التأريخ لشخصية الشيخ إلى إنارة الدرب امام الدارسين لمعرفة مرحلة محددة من تاريخ الكويت، بعدما ازدادت قناعته بأن تاريخ الكويت لا يزال بحاجة الى جهود مضاعفة لتتبع أطرافه وجمع وثائقه ومتابعة أحداثه والوقوف بتأمل وعمق امام شواهد نشأته ورحلة تطوره وعرض ذلك على العالم في إطار علم محكم، كما جاء في مقدمة الناشر..

ويرى الناشر أن الجانب الثقافي من تاريخ الكويت هو الأكثر حاجة الى العناية والاهتمام، فلم ينل العلماء الرواد من ابناء هذا الوطن حقهم اللائق من الدراسة، ولم تحظ اعمالهم بما ينبغي لها من التوثيق والتحقيق والتحليل..

كما فتحت هذه الدراسة الأعين على البيئة العلمية المتكاملة التي عرفتها الكويت من قبل ظهور النفط، وتفاعلها مع البيئات العلمية المجاورة، ففي مراسلات الشيخ عبد الله مع معاصريه من العلماء واهتمامه بجمع النادر من المخطوطات، ما تشهد عليه مكتبته الثرية المحفوظ منها خمسمائة مخطوط في مكتبة الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت، واكثرها نادر يعود إلى القرن الخامس الهجري، وبعضها نُسِخ في حياة المؤلف وأحياناً بخطه، ومنها قطعة من كتاب (منهاج السنة النبوية) لابن تيمية بخط صاحب الترجمة رحمه الله..

والكتاب حلقة في سلسلة بدأها مركز البحوث والدراسات الكويتية لسد ثغرة التقصير الحاصل في هذا الميدان، وقياما بواجب وفاء نحو هؤلاء الرواد، وانطلاقا من مسؤولية المركز التي حمله اياها مرسوم إنشائه ليكون مصدرا وطنيا للعلم والمعرفة بتاريخ دولة الكويت وشؤونها السياسية والاجتماعية والثقافية..

والكتاب في سيرة (العالم الجليل، والفقيه النبيل، الشيخ عبد الله بن خلف الدّحيان، المتوفى سنة ١٣٤٩هـ، الذي كان له أثر ظاهر في إحياء العلم في الكويت، وربط الطلبة بالعلوم الشرعية، وإحياء دراسة كتب السلف التي فيها العلم النافع، فقد قضى عمره المبارك بالعلم والتعلم، فهو لا ينتهي من درس إلا ويبدأ بآخر، مع خدمته للنّاس يستقبلهم في منزله ما بين مستفتٍ وصاحب حاجة، كل ذلك بهمّة وعزيمة لا تعرف الكلل ولا الملل على مرّ الأيام، ولمّا تولّى القضاء الذي لم تطل مدته فيه، كان ذا نزاهة وجرأة جنان لا تأخذه في الحق لومة لائم، كما كان رحمه الله زاهداً معرضاً عن الدنيا)..

وكان الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران قد أثنى عليه وأطراه إطراء شهادة لا إطراء محاباة، فقال بما يستحقه تبيان مقام لألِيء أهل العلم وكواكب أهل الفقه: (ما لمع البارق النجدي إلا وأهدى لي مزيد الشوق إلى الأحباب، وما تنسّم نسيمٌ من تلقاء كاظمة إلا استراح القلب من نشره المستطاب، ولا ابصرت دراً إلا وقلت: هو من بحر حسان البلاغة، ولا وقعت عيني على المرجان إلا وقلت: قد قضى من زين العلماء بلاغة، ولا لاح لي الكوكب الدري إلا ودريت بأن نوره مقتبس من شمس العلم والتقى والصلاح، يذكر إثر ذلك الأثري الذي مورده العذب لظمآن الحقائق أعظم ري، ألا وهو العالم الفاضل الناهج منهج السلف، الشيخ عبد الله بن خلف، لازالت الأقطار النجدية، والأصقاع الكويتية محلاة بجواهر علومه مغتبطة ببيانه ومنطوقه ومفهومه)..

وقد جعله مؤلفه في ثمانية فصول كاملة غطت مختلف جوانب حياة الشيخ صاحب الترجمة العلمية والعملية، ففي (الفصل الأول) اسمه ونسبه ونشأته وطلبه العلم، ورحلته في ذلك، ومشايخه، ورحلته إلى الحج، وأخلاقه وصفاته، وإمامته وتوليه القضاء، وثناء العلماء عليه..

وفي (الفصل الثاني) مجالسه العلمية وتلاميذه، ومكتبته القيمة ونوادرها، ونماذج من نفائسها، والمخطوطات التي طبعت أو حُققت مما حوته مكتبته، ومآلها..

وفي (الفصل الثالث) ذكر لبعض فوائده العلمية على طُرر المخطوطات، وتملكاته للكتب ووقفيته لها..

وحوى (الفصل الرابع) المراسلات العلمية التي بينه وبين العلماء، ومراسلات علماء عصره معه..

وتم تخصيص (الفصل الخامس) لمراسلاته إلى العلماء، والرسائل الودية بينه وبين أصحابه..

واختص (الفصل السادس) برسائله إلى ابن اخته الشيخ احمد الخميس..

وفي (الفصل السابع) دار البحث والتوثيق لخطه وشعره، ومؤلفاته، وذكر ذريته، ووفاته، والرُّؤى..

أما (الفصل الثامن) فقد ضم المراثي التي قيلت فيه، وأتبعه المؤلف بملحقات هي: اجازة الشيخ المؤرخ إبراهيم بن صالح له، وإجازة الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل له، وترجمته لشيخه محمد الفارس، وتقريظه لرسالة (تحذير المسلمين) للشيخ عبد العزيز الرشيد، وبعض خطبه التي لم تطبع، مع نماذج من صور الرسائل..

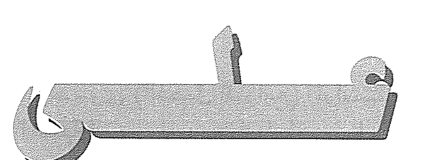
ومن طريف ما ذكره في تقريظ العلماء له ما نقله عن تلميذه المرحوم الشيخ عبد الله النوري، وهو قوله: (والذين عرفوا عبد الله بن خلف، عرفوا فيه رجلا تقيا، متواضعا لله في نفسه، عظيما في اعين الناس، يقضي نهاره، وكل نهار من ايام عمره، معلما للناس، واعظا لهم، حلالا لمشاكلهم، مفتيا في قضاياهم، يقرأ القرآن، ويتدبر معانيه، ويستنتج منه احكامه، يعبد الله، ويختلط بالناس، يجلس في مجلسه لهم، ويعود المرضى، ويهنيء أو يعزي، عرّفه عارفوه بأنه قوي الإرادة، مضّاء العزيمة، صادق القول، وفيٌّ بالعهد، محافظ على الوعد، لا تعرف همته الكسل ولا الملل، ولم يذكر عنه؛ رحمه الله؛ أنه أضاع ساعة من عمره في لهو أو عبث)..

وينقل في أخلاق الشيخ، وزهده وكرمه وإحسانه قصصا، منها ما رواه تلميذه العلامة محمد بن سليمان الجراح: (أُعطي الشيخ كيسا فيه مال، وذهبنا لزيارة مريض من أصحابنا؛ وهو فقير؛ فلما ذهبت إليه وجدت عنده الكيس نفسه، أحضره له الشيخ عبد الله)، ومنها رواية تدل على حسن العلاقة بين الراعي والرعية، وعلى مروءة الشيخ وعلو همته من غير كِبْر ولا إيذاء، وهو ما أخبر به الأديب إبراهيم الجراح فقال: (أرسل له الشيخ أحمد الجابر؛ حاكم الكويت آنذاك؛ رحمه الله، ابن عون ومعه سبعون نيرة، وهو مبلغ عظيم جدا في ذلك الزمان، وقال ابن عون: إن الشيخ أحمد الجابر يقول لك: إنها ليست من الجمرك، بل هي من مزارعنا في الفاو – أي انها من خالص المال وحلاله – فأخذها الشيخ عبد الله وأخرجها وعدّها وأظهر كأنه قد قبلها حتى لا يكون في الخاطر شيء، ثم أعادها إليه وقال: أرجعها وقل له: أنتم ذخر؛ إذا احتجت إليها أخذتها)..

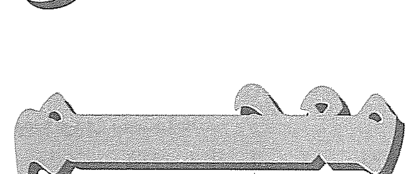
ولابد لقاريء الكتاب أن يقدّر الجهد الذي بذله المؤلف، وهو يتتبع في دقة بالغة، واستقصاء موضوعي نشأةَ الشيخ عبد الله ورحلته في طلب العلم، وإمامته، وتوليه القضاء، ومجالسه العلمية، وتلاميذه، وغوصه داخل مكتبته مع مخطوطاتها ومراسلاته العلماء.. ومما زاد في قيمة الدراسة المنهجية سفر الباحث ورحلته وراء المعلومات ذات الصلة بموضوع الكتاب حرصا منه على توثيقها وتدقيقها، وكشفه – بعين المحقق الخبير – قيمة آثار الشيخ العلمية ومقتنياته من المخطوطات الثمينة، وتحديده ما نشر منها مما لم ينشر مما يفتح الباب أمام الباحثين والدارسين للقيام بحق إحياء رسالة العلم وأهله.. وممن قرّظ هذا الجهد العلمي القيم الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الله آل جراح، والشيخ إبراهيم بن سليمان الجراح، وإمام وخطيب المسجد الحرام بمكة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد□

(الشامل) معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، وضعه محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي، ونشرته دار العودة في بيروت.. الطبعة الاولى عام ١٩٨١م، والطبعة الثانية (وهي التي بين ايدينا) عام ١٩٨٥م.. ويقع هذا المعجم في ثلاث وثلاثين وألف صفحة من القطع المتوسط بخلاف الفهرس.

استدراكات



على



معجم (الشامل)



بقلم: أ.د. مصطفى رجب*

ويقول المؤلفان في مقدمة هذا المعجم: إنهما استعرضا ماوُضع في اللغة العربية من معاجم، فلم يجدا ما يرجوان، فوضعا هذا المعجم، ورتّباه في صيغة واحدة مرتبطة بطريقة معجمية، متناولين:

١- مواد النحو والصرف.
٢- علوم القرآن والحديث.
٣- علم العروض.
٤- الاملاء والخط.
٥- علوم البلاغة.
٦- التعريفات الادبية والنقدية.

وهما يقولان في المقدمة: (نستطيع القول - وبكل ثقة - إن هذا المعجم هو للطالب في المرحلة الثانوية، وللمختص في المرحلة الجامعية، وللباحث والدارس مهما علا اختصاصهما كما أنه في الوقت نفسه لهواة اللغة العربية ومحبيها، ويمكن وصفه بأنه مكتبة في كتاب)!!

وقد أكون مخالفا للحقيقة اذا قلت انني سعدت بقراءة هذا المعجم النفيس فالحق أن سعادتي انتهت عندما وصلت الى هذه الفقرة من المقدمة!! إذ كيف يستطيع انسان مثقف أن يقول: ان ما يؤلفه للهواه وللباحثين في وقت واحد؟!على أية حال.. ما إن مضيت في قراءة المعجم حتى وجدتني مضطرا الى تدوين بعض الملاحظات، حتى وجدت أن دفتري ضاق بما دونت، وكلما توغلت في المعجم، اكتشفت مزيدا من الملاحظات، وبصفة خاصة أشير الى الاغلاط في الآيات القرآنية الكريمة، وهذا أشنع ما يمكن أن يقع فيه مؤلفان يزعمان أنهما يضعان معجما يضم فيما يضم (علوم القرآن والحديث) وليت الامر وقف عند حد الأخطاء الطباعية، بل إنه يتعدى ذلك الى التحريف في آيات القرآن الكريم، واستنتاج قواعد من تلك الآيات المحرقة!!ولو أنني ذكرت كل ما دونت من ملاحظات، لاحتاج الامر الى مائتي صفحة ولكنني سأكتفي بضرب أمثلة، وبيان مواضع الخطأ:

ص٥: جاء قول المؤلفيْن: (فوجدنا قسمين من الموسوعات: (قسم قديم يحوي) والصواب أن يقولا: (قسما قديما يحوي) وهذا في المقدمة!!في الصفحة نفسها: (هذه المعاجم تحصر اهتمامها بجوانب جزئية) والصواب أن يقولا: (تحصر اهتمامها في جوانب جزئية). ص١١: في باب الالف يقولان عن الألف المهموزة: (وقد تحدثنا عنها في باب الهمزة).. ومن المعروف أن باب الهمزة يأتي بعد باب الالف وكان الصواب أن يقولا: وسنتحدث عنها في باب الهمزة.

١- نماذج لأخطاء في الآيات القرآنية:

أولا: آيات محرفة:

ص٦٢٥: ﴿هو الله الصمد﴾.. والصواب: ﴿الله الصمد﴾.

وهذا أعجب ما يمكن أن يقع عليه بصر الانسان، فهذه السورة لشهرتها وقصر آياتها نستبعد أن يخطىء فيها مسلم.

ص٦٢٩: ﴿يكاد زيتها يضيء لو لم تمسسه نار﴾الصحيح: ﴿ولو لم تمسسه﴾.

ص٦١٢: ﴿لا تأخذكم بهما رأفة في الدين﴾.. الصحيح: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ [النور/٢].

ص٨٣: ﴿ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وأن أسأتم فعليها﴾.. الصحيح: ﴿وان أسأتم فلها﴾ [الاسراء/٧].

ص٨٤: ﴿قل سأتلو عليكم ذكرا﴾ الصحيح: ﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾.

ص٨٧: ﴿لكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء، ويثبت ما يشاء﴾ الصحيح: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب﴾.

ص١١٣: ﴿أبشرا منا هنالك نتبعه﴾. الصحيح: ﴿أبشرا منا واحدا نتبعه﴾.

ص ٦٤٦: ﴿وما تفعلوا من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾.الصحيح: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه﴾ [المزمل/٢٠].

ثانيا: آيات يبدو الخطأ فيها كما لو كان مطبعيا:

ص٦٤٣: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ توجد ضمة على الكاف في ﴿يكفهم﴾.

ص٦٤٣: ﴿لو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة﴾.. فيها ضمة على قاف ﴿اتقوا﴾. وسقطت واو من أولها، فالصحيح ﴿ولو أنهم﴾

ص٥٧٨: ﴿وطور سنين﴾. الصحيح: ﴿سينين﴾.

ص٥٨٣: ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾. أورداها هكذا، وقالا: بظنين: أي متهم،

*أستاذ بكلية التربية، سوهاج، مصر

ولكنهما لم يشيرا الى أن هذه قراءة تخالف خط المصحف العثماني فالذي في قراءة حفص: ﴿بضنين﴾ بالضاد وليس بالظاء.

ص٦٦٣: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ بفتح الهمزة، وسكون الصاد، وكسر اللام من غير تشديد.. والصحيح ضم الهمزة، وفتح الصاد، وتشديد اللام المكسورة.

ص٥٤٣: ﴿وان أحسنتم أحسنتم لانفسكم﴾ الصحيح حذف الواو منها.

ص٥٤٧: ﴿من كل حدْب ينسلون﴾ وردت بسكون الدال، والصحيح فتحها.

ص٧٤: ﴿ولن ينفعكم اليوم اذا ظلمتم انكم في العذاب مشتركون﴾. هذه الآية فيها ثلاثة أخطاء:

أولهما: الصحيح إذْ وليس اذا.

وثانيهما: فتح همزة أنكم وليس كسرها، كما وردت في المعجم.

وثالثهما: وهو الأشنع: أن المؤلفين أورداها هكذا ليستشهدا بها في مجال الحديث عن (اذا الشرطية) وهي ليست باذا كما وضحنا.وما أبعد الشقة بين إذْ واذا عند من يعرفون العربية، بله من يؤلفون فيها، ويضعون لها المعاجم التي تصلح للباحثين والمتخصصين!

ـــ ص٩٠: ﴿وآية لهم الليل﴾.. وردت ﴿آية﴾ بالنصب، والصواب أنها مرفوعة بالضمة ومنونة.

ثالثا: آيات مختلفة اختلافا:

وهذا القسم أبشع شيء في الكتاب: أن يصطنع المؤلفان كلاما يكتبانه بين القوسين اللذين يبدو ما بينهما كأنه قرآن، ومن أعجب العجب أن يبنيا على هذا الصنيع قاعدة، أو يؤكدا به قاعدة يتناولانها، فمثلا:

ص٦٣٣، ورد ما يظن أنه آية وهو: ﴿أفتدري كيف عاقبة الظالمين﴾ في معرض حديثهما عن عدم فصل الفاء عن معطوفها، فذكرا ما ذكرا، ثم عقبا بقولهما: (والأحسن إعراب الفاء هنا استئنافية، والجملة بعدها استئنافية).. ولم يرد هذا الكلام في القرآن قط بصيغة (أفتدري) هذه التي يبنيان عليها قاعدتهما.. والذي ورد في القرآن في مثل هذا الموطن قوله تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ [القصص/ ٤٠]، و[يونس/ ٣٩].

ص٥٩٥: يفعلان ما فعلاه آنفا، فيوردان: ﴿عسى أن يرحمكم ربي﴾ ويستشهدان بهذا على أن عسى يكثر اقترانها بـ (أن). وليس هذا الكلام من القرآن، والذي يشابه هذا قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا﴾ [الاسراء/ ٨]، وفي الآية الحقيقية اتصل اسم عسى بها قبل ورود أنْ، بعكس الآية المختلفة.

ص٧٦٧: ورد: ﴿إن ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾. وقالا بعدها: ان (ما) اسم موصول. اسم ان، والخبر جملة ينفد والآية الصحيحة: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾. [النحل/ ٩٦]. بدون (ان).

ص٨٦٤: ﴿وأنه أضحك وأبكى. وأنه أمات وأحيا﴾ وليس هذا مطابقا للقرآن، فالصحيح: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا﴾ [النجم/ ٤٣ و٤٤].

ص١٥٣: ﴿ومن يؤمن بربه فلا يخاف بأسا ولا رهقا﴾.. ليس هذا من القرآن، والذي في القرآن قوله تعالى: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾ [الجن/ ١٣].

ص٧٢٦: أوردا: ﴿ولا تأكلوا أموالهم لاموالكم﴾.. واستشهدا بها على مجيء اللام بمعنى (مع) والذي في سورة النساء: ﴿ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم﴾.

٢ - نماذج لأخطاء نحوية ولغوية:

والذي يحز في النفس أيضا، أن مؤلفي المعجم لم يهتما بمراجعته فيما يبدو، فجاء بهذه الصورة السيئة.. ومن مظاهر هذا السوء: أن يحتوي المعجم (وهو معجم في علوم اللغة).. على أخطاء نحوية، يندر أن يقع فيها الافراد العاديون الذين عافاهم الله من تأليف المعاجم، (وتقميس) القواميس ان جاز التعبير.. فمن ذلك مثلا:

ص٥: (فوجدنا قسمين .. قسم قديم.. الخ والصواب قسما قديما على انها بدل من المنصوب قبلها.. (وهذا في المقدمة كما اشرنا آنفا).

ص٦٠٥: (ليس جمعا مذكرا سالما، ولا مؤنثا سالما).. والصواب: (ليس جمع مذكر سالما، ولا جمع مؤنث سالما).

ص ٦١٤: ضبط قول المتنبي: (وجداننا كل شيء بعدكم عدم) بضم الواو، والافضل كسرها بل هو الصحيح.ص٦٢٩: جاء قولهما: (هل يمدحه، أم يسخر منه؟). اللغويون يقولون: (ان أم تأتي بعد همزة الاستفهام) وان (أو) تأتي بعد (هل).

ص١٤٠: (وتعرب) من (لو سميت رجلا (من)) مبني على السكون في محل رفع. الصواب: مبنيا على السكون.

ص١٤٠ ايضا: (مهما تغير موقعها الاعرابي) ويقول اللغويون: أن القياس ان تدخل (مهما) على المضارع، لا على الماضي، كقوله تعالى ﴿مهما تأتنا به من آية﴾.

ص ١٢٩: (اذا كان المضاف اسما جمع مذكر سالما، أو ملحقا به) وأرى في هذا التعبير ركاكة ونبوا لا ادري مصدرهما، وأحس أن الصواب أن يقولا : ان المضاف اذا كان جمع مذكر سالما، أو ملحقا به.. فلا أرى معنى لوجود كلمة (اسما) هذه قبل جمع المذكر السالم.. أم ان المؤلفين الكريمين قد أوحى اليهما أن جمع المذكر السالم، والملحق به، قد يكون فعلا، أو حرفا مثلا؟ وما ذلك عليهما ببعيد!

ص٧٥: (إذا.. وهي أداة شرط غير جازم.. الصواب غير جازمة.لان غير وما بعدها تصف الاداة، ولا تصف الشرط نفسه).

ص٨٠: (سواء كانت ناصبة، أم حرف عطف).. الصحيح أن تأتي همزة تسوية قبل الفعل الذي بعد سواء، حتى يمكن االتخيير بأم.. كقوله تعالى: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم﴾. ص٥٨٥ حفنة أخطاء:

أهي انسانية أم قومية؟ وهل هي نوع واحد أم متغيرة (قلنا سابقا: أن التخيير بعد هل يكون بـ(أو) وليس (بأم).

(وكلما تفاعلت أنواع مختلفة من العواطف، كلما كان العمل الادبي أحسن) لاداعي لتكرار (كلما) وهو من الاخطاء الشائعة.

(العاطفة الجيدة تصدر عن انفعال حقيقي من الاديب فيما يكتب) والصواب: بما يكتب.

٣- نماذج لأخطاء علمية:

وأقصد بالاخطاء العلمية: تسرع المؤلفين بابداء رأى، أو اعطاء حكم، مبني على أساس غير سليم، أو تسرعهما بالفتوى في موضع، ثم تناقضهما مع ما أفتيا به في موضع آخر من معجمهما، فمن ذلك مثلا: ٣/أ= النصوص الشعرية ليست قطعية الثبوت، وبالتالي فان الاستشهاد بها في تقعيد قاعدة نحوية ينبغي ـ طبقا للاصول العلمية ـ أن

استدراكات على معجم (الشامل)

يسبقه توثيق للنص الشعري موضع الاستشهاد، وبخاصة ان روايات البيت الواحد قد تضطرب، أو تختلف من مصدر لآخر من مصادر التراث الشعري، وهذا ما لم يلتفت اليه واضعا المعجم، فعلى سبيل التمثيل:

ص٥٦٢ قالا: (لايجوز الفصل بين التمييز والعدد الا في ضرورة الشعر كقوله: (في خمس عشرة من جمادي ليلة).. يريد: في خمس عشرة ليلة من جمادي).. وفي قولهما هذا مأخذان: أولهما: أعادتهما الضمير (كقوله) على غير مذكور، مما يخالف أبسط قواعد النحو، وثانيهما: اثباتهما هذا الشطر كما لو كان معروفا للجميع فلاهما أتما البيت، ولا ذكرا قائله، ولا مصدره.

ص١٣٤ أوردا البيت الشهير:

لو ان الباخلين، وانت منهم *
رأوك، تعلموا منك المطالا

ونسباه الى النابغة الجعدي، وبعد صفحة ونصف صفحة فقط، أوردا البيت نفسه ص١٣٦، ونسباه الى كثير عزة!

ص ٥٩٩ أوردا البيت الآتي:

كيف أصبحت؟ كيف أمسيت؟ مما *
يغرس الود في فؤاد الكريم

وقد ضبطاه بضم التاء في الفعلين الناسخين في البيت، وفي تعليقهما على ذينك الفعلين، والصواب: فتح التاء على أنها للمخاطب، ويبدو أنهما لم يحاولا فهم معنى البيت.. ومعناه: أن سؤال المضيف للضيف كيف أصبحت؟ أو كيف أمسيت؟ من الاشياء التي تميل اليها نفس الانسان وتأنس بها، فالتاء تاء المخاطب، وليست تاء المتكلم.

ومن ذلك ما أورداه ص ٦٦٣، فقد أوردا قول الشاعر:

ويركب يوم الروع منا فوارس *
بصيرون في طعن الاباهر والكلى

فقد ضبطا الكلى بكسر الكاف (وهي جمع كلية بضم الكاف) والمعروف في جمع كلية أنها كلى بضم الكاف كذلك، أما كسرها فلغة العامة.

ومن ذلك ما أورداه ص ٦٤ من قول عمر بن أبي ربيعة: (ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهرا) استشهدا بذلك على حذف الهمزة الاستفهامية، أي ثم قالوا أتحبها؟ مع أن البيت يروى أحيانا:

قال لي تحبها قلت بهرا *
عدد الرمل والحصى والتراب

وهو الاقرب للمنطق، فالسؤال بكم عن العدد يناسبه نصف البيت الثاني، أما روايتهما فركيكة، اذا عرفنا أن مطلع القصيدة:

قال لي صاحبي ليعلم ما بي *
أتحب القتول أخت الرباب؟

وليس عمر بن أبي ربيعة بالشاعر الركيك الذي يستفهم بالهمزة، أول القصيدة ثم يستفهم بالهمزة وبالصيغة نفسها بعد بيتين أو ثلاثة أبيات.

٣/٢- من أمثلة التسرع في الفتوى، ما ورد في ص ٦٦ في معرض حديث المؤلفين عن أسلوب الشرط.. قالا ما معناه: ان الاسم لا يأتي بعد أدوات الشرط الا بعد أداتين فقط، هما: إن الجازمة، و (اذا) غير الجازمة.

ونفاجأ بهما في ص ٢٢١ يأتيان بأمثلة للاداة (أيّ) وهي اسم شرط جازم، فيقولان: بأى كتاب تقرأ أقرأ، ويضيفان: إن الاساس في (اى) أن تضاف الى نكرة ونسيا ما قالاه انفا (ص٦٦) من أن الاسماء لا تأتي الا بعد ان واذا.

٣/٣- من أمثلة التردد، أو عدم القدرة على الضبط، ما أورداه في ص: ٥٦٩ - بند رقم (٧) من ان اسم المفعول الذي اصله ثلاثي وعينه حرف علة، تحذف تاؤه في صيغة منتهى الجموع.. مثل: مختار، ومنقاد تصيران: مخاير، ومقاود، ولنا زيادة ياء قبل آخره تعويضا عن المحذوف فتصيران: مخايير، ومقاويد مع أنهما في بند (٥) السابق قالا: ان الميم في أول الكلمة أولى بالبقاء اذا كانت زائدة وتليها تاء الافتعال والاستعمال، ونون الانفعال، وهو ما لم يلتزماه في بند (٨) هنا.

وانني أشك في سلامة هذه القاعدة شكا كبيرا، فاذا صحت فكيف يقولان في جمع (مشتاق) اذا كانت اسم مفعول أو في غيرها مما لابد له من حرف جر بعده؟ وكيف يقولان في جمع (مختار) على هذه الصيغة (مخاير) أيكون مفردها اسم فاعل، أم اسم مفعول؟ وبأي قرينة؟ ثم (مقاود) هذه التي جاءا بها، كيف نفرق بينها في هذه الصيغة، وبينها جمع (مقود) بكسر الميم وسكون القاف، وفتح الواو؟ وكيف يجمعان (مرتاع) بمعنى خائف على هذه الصيغة؟ اهي مرايع أو مراييع؟ ومن ذا الذي يعرف أن مراييع هذه جمع مرتاع لصيغة منتهى الجموع؟

ثم أنهما في بند (٨) بعد هذا مباشرة يقولان: الطبيعي في الصفات التي أولها ميم زائدة، أن تجمع جمع مذكر سالما، أو مؤنث سالما مثل: مجتهد: مجتهدون، مجتهدة، مجتهدات.. وأعتقد أن بند (٨) يشمل فيما يشمل جمع أسماء المفعول التي أصلها ثلاثي، وعينه حرف عله، لانها غالبا تكون صفات.

٣/٤- ومع اقرار المؤلفين بأن الطبيعي في الصفات التي أولها ميم زائدة. أن تجمع جمع مذكر سالما، أو مؤنث سالما، فانهما في ص ٨١ يقولان: (ثلاثة مفاعيل) وكان الاولى بهما أن يقولا: ثلاثة مفعولات.. تطبيقا لما يقعدانه من قواعد.

نماذج لركاكة الاسلوب

ص ٨٩ يتحدثان عن قراءة القرآن فيقولان: (ويجوز للقارىء أن يقطع الاستعاذة عن البسملة، ويقطع البسملة عن اول السورة، وله ان يصل الاستعاذة بالبسملة أو يقرأ الاستعاذة ويقف.. ثم يصل البسملة بالسورة وله أن يقطع دائما فيقف بعد الاستعاذة وبعد البسملة) ما هذا كله؟ ولم كل هذا الاخذ والرد والارغاء. والازباد في معنى يسير؟ ألا يمكن أن يعبر عن هذا كله بأسلوب أخصر لا استطراد فيه ولا اعادة.. فيقال مثلا: ان للقارىء أن يصل

بين كل من الاستعاذة والبسملة والسورة، أو يقطع فيقف بعد كل واحدة أو اثنتين.

قولهما في ص ٦٧٩ بحيث أن (بفتح همزة أن).. و(تقديم بيت على بيت لا يؤثر كثيرا على المعنى) الصواب في (المعنى) و (ثم تغلغل تأثير أرسطو في الفكر والادب، ففهموه بشكل خاطىء فأخذوا هذه الملاحظات الخاطئة التي فهموها، وحولوا الشعر الى بلاغة لفظية) فهما ذكرا أرسطو فجأة خلال حديثهما عن الوحدة العضوية.. ثم ان قولهما (بشكل خاطىء) من الاساليب الركيكة.. فالفصيح أن يقولا: (ففهموه فهما خاطئا) والواو في الفعل (فهموه) لاتعود على مذكور قبلها، واسم الاشارة: (هذه الملاحظات) لامكان لها هنا، اذ لم يسبق استخدام كلمة (الملاحظات) حتى يشار اليها.

ويبقى ما أورداه عن أسس الشعر الحديث في ص ٦٨٠ فجل ما أورداه لا طائل منه، ولا قيمة له، ولا حتى من مجرد التعرض له هنا.

٥- نماذج للنقل غير الدقيق:

أورد المؤلفان ص ٥٦٧ أن صيغة (فعال) بضم الفاء، من مصادر الثلاثي التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لتستعمل للدلالة على : أ - داء. ب - صوت. مثل دوار، وزكام، ونباح.. وأوردا هذا في ص ٦٥٠ على أنه قاعدة مسلم بها دون اشارة الى انه اجتهاد مجمعي، والا فان اللغة العربية قد عرفت مصادر على وزن (فعال) لا تدل على داء او صوت، مثل دخان، ومخاط وغيرهما واجتهاد المجمع مبني على غلبة الاستعمال وشيوعه.

٦- وتناقضات أخرى كثيرة:

ص٩٤١: ذكرا أن اسم الموصول (من) للعاقل و(ما) لغير العاقل وهذه المعلومة من المعلومات التي تقال لصغار التلاميذ، ولكن الباحثين يعلمون أن هذه القاعدة ليست مطردة فقد وردت من لغير العاقل في قوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يو م القيامة). وقوله تعالى: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾ وقول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه * لعلي الى من قد هويت أطير؟

وقول الشاعر:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي * وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟

وكان حريا بهما حين ذكرا أن (من) للعاقل، أن يحترزا فيقولا: (غالبا) مثلا أو على الاقل كان حريا بهما أن يتواضعا في المقدمة فلا يقحمان الباحثين مع طلاب الثانوية سواء بسواء عند التعامل مع معجمهما هذا الفريد!!

يقولان في ص ٩٢٠: (أي مبدوء بهمزة (وصل) تصبح عند النداء همزة قطع) وقبل هذه القاعدة الخرافية يمكن للقارىء أن يقرأ أول سطر في الصفحة نفسها ليجد (يابن خال، يابن أم) فهما لم يلتزما بقاعدتهما ويخالفانهما في الصفحة نفسها، سبحان الله، وكيف تكون هذه قاعدة صحيحة وفي القرآن الكريم وردت همزة الوصل بعد النداء ولم تصبح همزة قطع في قوله تعالى: ﴿يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ [طه/ ٩٤].

(ملحوظة: كتبنا الآية بالرسم المعهود لنا حتى يتبين خطأ القاعدة للقارىء ولم نكتبها بالرسم العثماني الموجود في المصحف. وفي كلتا الحالتين فالقاعدة خطأ) فهل تفضل عامل المطبعة بوضع هذه القاعدة؟ أو أنهما وضعاها سهوا؟

ومن أمثلة مخالفتهما لما يضعانه من قواعد ما ذكراه ص١٧: (اذا اجتمع المد والهمز وكان المد أولا، كتبت الهمزة مفردة) مثل: تضاءل، تشاءم ونجدهما في ص ٩٢١: يكتبان: يا أخي ويا أبا خالد.. أفليست هذه همزة سبقها مد؟ أم أنهما يستنكران أن تكتب يا أخي هكذا طبقا لقاعدتهما: ياءخي. الذي يجده القارىء في كثير من كتب الاملاء أن الهمزة التي يسبقها مد تكتب مفردة ولكن اذا كان هذا المد حرف النداء (يا) كتبت الهمزة على طرف حرف النداء ولم ترسم لها الف كما فعل المؤلفان. وهما لم يشيرا الى هذا الاستثناء أصلا.

يقولان في ص٤١٣: (الجواب هو الرد عن استفهام أو كلام) والصواب هو: الرد على وليس عن. أليس كذلك؟

ص ٩٥٥ فيها أخطاء في أربع آيات قرآنية على التوالي هي:

﴿فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة﴾ وهذا ليس من القرآن، والذي في القرآن هو قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ فهل هذا سهو؟ وهل يجوز السهو هنا؟ واذا جاز السهو في الضمير فهل يجوز في عدد مرات الجلد؟ أو أن عامل المطبعة - لسبب ما - خفض العدد من ١٠٠ الى ٨٠؟

الآية الثانية في الصفحة نفسها: ﴿والله أنبتكم في الأرض نباتا﴾ والصواب ﴿من الأرض﴾.

والثالثة: ﴿خلق الانسان ضعيفا﴾ والصواب ﴿وخلق﴾.

الرابعة هي قوله تعالى: ﴿اذكروا الله كثيرا﴾ والصواب قوله تعالى: ﴿واذكروا﴾ [الانفال/ ٤٥] أو ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب/ ٤١].

ص٤٣٧ ﴿أفلم يسيروا في الارض فيروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ ليس في القرآن آية بهذا الشكل اطلاقا. بل هي محرفة جهلا أو عمدا.

ص٤٤٤ ﴿فاقبلت امرأة في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ الصواب: ﴿امرأته﴾. ويستحيل أن يكون هذا خطأ مطبعيا لانه لاتشابه بين الكلمتين ومثلها (أي مما يستحيل أن يكون مطبعيا). ص٤٦٨: ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس أمارة بالسوء﴾ والصواب: ﴿لأمارة﴾.

وأخيرا: فاكهة المقال التي أهديها الى القارىء في ص٤٦٠ من المعجم ما ورد على انه آية قرآنية ﴿الشمس والقمر آيتان من آيات الله﴾ فهذا الكلام ليس من القرآن. وليس في القرآن ما يشبهه. وهو - فيما أظن - حديث شريف. ولكنهما أورداه بين الاقواس التي يضعان بينها الآيات الكريمة. وهذا من أشنع الخطأ الذي يذكرني بقول الشاعر:

إذا كنت لاتدري فتلك مصيبة
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم□

مفاهيم إيمانية خاطئة

إعداد: قسم الواعظات بوزارة الأوقاف/ الكويت

يتضمن الإسلام – كما نعلم – جميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة، ويتميز عليها بكونه صالحا لكل زمان ومكان وأمة، فالتمسك به لا ينافي مصالح الأمة بأي حال من الأحوال، بل فيه صلاحها.. والإسلام هو دين الحق الذي ضمن الله تعالى لكل من تمسك به – حق التمسك – السعادة في الدارين الدنيا والآخرة.. ولكن هناك – وفي واقع المسلمين اليوم – تصورات خاطئة عن الإسلام، قد يتصورها البعض عن جهل أو عن حسن نية، لا بد من تصحيحها وايلائها الاهتمام والجدية التي تحتاجها..

المفهوم الأول: عن الإيمان

قد يظن البعض أن الإيمان هو تصديق بالقلب وحسن نية فحسب، أما العمل الذي يصدق هذا الإيمان ويثبته فهذا أمر ثانوي، فالمهم أن يكون الإنسان مؤمنا بالله محبا له مصدقا بكل ما جاء به، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أما الطاعة والاتباع فذلك منفصل عن الإيمان لا يمت له بأي صلة..

هذا المفهوم خطير جدا، وذلك ما اعتقدته فرقة المرجئة الضالة التي أرجأ اتباعها العمل وأخروه عن الإيمان، وهذا الاعتقاد يجرّيء معتقده على المعصية ويقعده عن الجدية في الالتزام بالإسلام.. وإذا ما أردنا تصحيح ذلك المفهوم نقول: إن الإيمان قول – واعتقاد – وعمل،فهو قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمن كان هذا حاله فهو المؤمن حقا كقوله عز وجل في كتابه في آيات عديدة: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات/ ١٥]، فإذا وقع الإيمان في القلب فإنه لا يصدق ولا يكمل إلا إذا ظهر أثره في الجوارح كلها، فلا تقترف هذه الجوارح إلا ما يرضى عنه خالقها ومصورها، لذلك استحق من وحد الله ثم أتى معاصيه أن يعذّب بالنار على قدر أعماله المنافية للإيمان، ثم يُخرج من النار ويُدخل الجنة لأنه كان موحدا وليس مؤمنا، هذا هو مفهوم الإيمان الصحيح الذي يجعل المؤمن مجتنبا المعاصي، صغيرها وكبيرها، فيحفظ جوارحه عن كل ما يخل بإيمانه..

المفهوم الثاني: عن العبادة

يظن الكثيرون أن العبادة هي فقط ما يؤديه المسلم من الأركان الخمسة، ومايقوم به من نوافل الصلاة أو الصوم، ويهملون بقية الأعمال والأقوال التي تدخل ضمن العبادة، وهذا حدا بالبعض إلى الاكتفاء بالنسك والشعائر الإسلامية والركون إلى ذلك، والعبادة بمفهومها الصحيح هي: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة)، وبذلك تكون حياة المؤمن كلها عبادة، فصلاته عبادة، وصيامه عبادة، وأكله وشربه عبادة، بل وحتى شهوته يقضيها في حلال عبادة، وذلك كله شريطة أن يقترن بالنية الخالصة لله تعالى واستشعار نعمه جل وعلا، وهكذا ينعم المؤمن بهذه النعمة الجليلة التي حرم منها غيره، فأي سعادة ينعم بها وقد أصبحت حياته كلها بدقيقها وجليلها – بمفروضاتها ومسنوناتها – بحلالها ومباحاتها، كل ذلك يقع في دائرة عبادة الله: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام/ ١٦٢و١٦٣].

ونقول لمن ظن أن العبادة هي القيام بالأركان الخمسة فقط، أما غير ذلك فهو من المندوبات ولا يطالب بها العبد، نقول لمن كان هذا تصوره إن تلك الخمسة هي أركان الإسلام وليس الإسلام، هي الدعائم والأسس التي يقوم عليها الإسلام وليست الإسلام كله، هذا مثله كمثل البيت لو أسس وأقيمت أعمدته ولم يضف على تلك الأعمدة شيء، لا جدران ولا منافذ ولا مرافق فهل يصلح هذا للسكن؟ وهل يمكننا تسميته بيتا؟ طبعا لا.. فكذلك أركان الإسلام هي قواعده الضاربة في الأرض يشاد عليها صرحه الشامخ بجميع تكاليفه ومتطلباته من: طلب علم وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر وصلة أرحام، وبر بالوالدين، وإحسان إلى الجار، والتصدق وكفالة اليتيم، والآداب والأخلاق الفاضلة، والتعاون على البر والتقوى ... إلخ. هذا هو الإسلام جملة، وهذه هي الميزة التي يتميز بها الإسلام عن غيره من الأديان ألا وهي الشمولية.

المفهوم الثالث: قبول العمل الصالح

اعتقد البعض خطأ أن العبرة بكثرة الأعمال الصالحة، فاتجه كثير من المسلمين عن حسن نية أو قصور في التصور لحقيقة العمل الصالح، اتجهوا إلى الإكثار من الأعمال الصالحة والعبادات دون إعارة الاهتمام إلى شروط قبول هذه الأعمال الصالحة، فنرى بعض الناس حينما يسمعون عن عبادة معينة كنوع من أنواع الأذكار أو الصلاة أو أي عمل مرتبط بالدين نجدهم يبادرون إلى

فعل ذلك غايتهم الإكثار من العمل الصالح دون التأكد من مدى توافر شروط قبول هذه العبادة أو تلك حتى تكتب للعبد في ميزان حسناته ولا تذهب هباء منثورا.

إن العبرة في العمل الصالح ليست في الكثرة إنما هي في صلاح هذا العمل وحسنه ومدى توافر شروط قبوله، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الملك / ٢ ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾. فلم يقل تعالى: أيكم أكثر عملا فاقتصار المسلم في صلاته على الفروض الخمسة على أن يحسن كل صلاة بخشوعها وصفتها من قيام وركوع وسجود، أفضل له من أن يؤدي جميع النوافل والرواتب،وأفضل له من قيامه ليله وهو مخل بشروط هذه الصلوات يسرق من القيام للركوع ومن الركوع للسجود، شارد الذهن في صلاته ينقرها نقرا لا اطمئنان فيها ولا روية.

إذا نقول لا بد من توافر جميع شروط قبول العمل الصالح (العبادة) وهي ثلاثة

١ - الإيمان.
٢ - الإخلاص.
٣ - الاتباع.

أما الإيمان فقد سبق الحديث عنه، وأما الاخلاص فهو تجريد النية والقصد لله أثناء العبادة، وتخليص هذه العبادة من كل طلب للسمعة أو الشهرة.

أما الاتباع فلا بد وأن تكون العبادة مطابقة لما جاء في سنة محمد ﷺ، وعدم الابتداع فيها لقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران/ ٣١]. ولقوله ﷺ في بداية كل خطبة: «وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» [رواه ابوداود]، وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ». [أخرجه البخاري]. لذلك لا بد للعبد أن يتثبت مما يدعى إليه من قيام بعبادة كالالتزام بذكر من الأذكار أو بهيئة من الصلوات فيسأل من دعاه لهذه العبادة: ما دليلك من الكتاب أو السنة على ورود هذه العبادة شرعا وهل فعلها أو أقرها الرسول ﷺ؟ فإن لم يجد دليلا على ذلك فليعرف أنها عبادة باطلة، فإن الأصل في العبادات التحريم، أي أن كل عبادة لم يأت بها الرسول ﷺ ولا الصحابة فهي باطلة ومحرمة، فهناك مثلا من يدعو إلى المواظبة على أذكار معينة بعد صلاة المغرب بعدد معين، نقول لهؤلاء الذين ابتدعوا صلاة وسموها بصلاة الأوابين ودعوا الناس إلى القيام بها، نقول لهم: هل أنتم أكثر عبادة من الرسول صلى الله عليه وصحابته الكرام حتى تبتدعوا أذكارا وصلوات لم تؤمروا بها كمتبعين، أم أن ما جاء به رسول الهدى عليه الصلاة والسلام من الشرع ناقص - والعياذ بالله - فأردتم أن تكملوه؟! أما إذا كان ذلك منكم عن جهل ونقص في إدراك شروط قبول العمل الصالح فاللهم اهدهم واغفر لهم فإنهم لا يعلمون..

هذه أهم المفاهيم التي أخطأ كثير من الناس في فهمها فهل صححناها حتى تقبل أعمالنا وتغفر ذنوبنا ونسعد في دنيانا وفي آخرتنا؟ والحمدلله رب العالمين□

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

١) الإيمان والعمل الصالح قال تعالى ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل/ ٩٧].

٢) الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل وعمل المعروف قال تعالى ﴿لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾ [النساء/ ١١٤].

٣) الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة.

٤) اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في وقت المستقبل وعن الحزن على الوقت الماضي قال ﷺ: «احرص على ماينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم].

٥) الإكثار من ذكر الله قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد/ ٢٨].

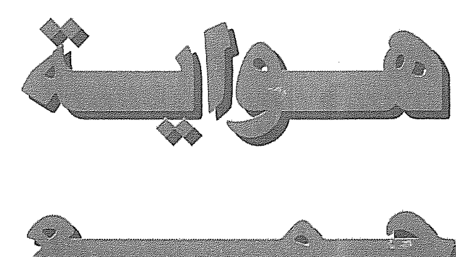
٦) التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة.

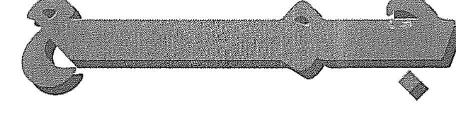
٧) استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح حيث قال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» [رواه البخاري ومسلم]□

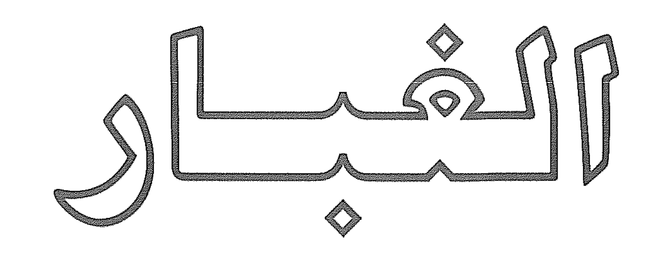
قسم الواعظات

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ [الصف: ١٠-١٣].

بقلم: أحمد عبد العزيز الفلاح







هواية جمع الغبار

تجارة رابحة

إنّ الداعية إلى الله سبحانه وتعالى يغبط من قبل الآخرين على قانون تجارته المنجية، وهذا القانون الإلهي الرباني لن يتعرض لذبذبة الأسعار كمَا تتعرّض تجارة أهل الدنيا إلى تخفيض ومضاربات وتعقيدات التحويل، وذلك لسبب جوهري هو أن هذه التجارة المنجية ليست مع البشر وإنما هي مع خالقهم، قوامها: الايمان بالله تعالى والجهاد في سبيل الله تعالى بالمال والنفس. وثوابها: غفران الذنوب ودخول الجنة والنصر والفتح القريب.. ومن مزايا هذه التجارة الرابحة أن سعر السهم فيها يزيد ولا ينقص، بحسنات ربانية ادناها ٩٠٠٪ كما قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الانعام: ١٦٠]. بل واكثر من ذلك؛ فقد تتضاعف إلى سبعمائة ضعف كما جاء في الحديث الشريف.

وزد على ذلك رضوان الله تعالى وجنة عرضها السماوات والارض، افبعد هذا الفضل الرباني يصد الناس عن تجارته؟!

أخي الحبيب..

بعد هذا العرض الموجز لقوانيين التجارة الربانية الايمانية اني لارى العاقل وقد شمر عن ساعد الجد مع المجتهدين مسرعا نحو افراح الآخرة نحو رضوان الله ويالها من افراح قد تنوعت لك كما تشتهي، فتارة تشتهي نظرة إلى ربك الجميل عز وجل أو تارة إلى ملاقاة الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء ومن سار على دربهم من سلف هذه الامة من العلماء كل ذلك لك، كما اخبر جل جلاله في سورة الانسان:

﴿ولقّاهم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا. متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً. ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً. ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً. قواريرا من فضة قدروها تقديراً. ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا. ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثوراً. واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً. عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهوراً. إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾ [الانسان: ١١-٢٢].

الداعية لا يهدأ ولا يرتاح

وتأمل أخي الحبيب ما قاله يحيى بن معاذ عندما نظر إلى القافلة فوجد فيها الماشي والمهرول والراكض ثم نظر إلى درجات الجنة فوجد انهم ينشطون اليها على قدر منازلهم لديه. ومن اجل ذلك فان للمؤمن درجات تحسب نشاطه وإقباله على الله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ [الاحقاف: ١٩]، وللمؤمن أن يتنافسوا في فعل الخيرات وفي الطاعات لينالوا الدرجات العليا من الجنة: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين: ٢٧] وكما ورد عن الصادق المصدوق ﷺ: «اذا سألت فسأل الفردوس الاعلى».

اذن فكل درجة في الجنة نشاط في السير فادفع ثمن الواطىء أو العالي، إن لك الخيار، انما نذكرك انه ملك وما هو والله باستئجار. أخي نعلم اختيارك ما انت بالذي يرضى بالوطىء بالجنة واني لصاحب الاستعلاء في الدنيا بان لا يطمع بعليين في الآخرة. اذن هنالك شرط وثمن فاقرأ قول الشاعر:

فاعلم بانك لن تنال جسيمة
حتى تجشم نفسك الأهوالا

اذن اعلم أخي؛ فقهك الله؛ انه مما لا شك فيه أن طريق الدعوة ليس ممهدا بالورود والرياحين وانما ممهد بالاهوال: «حفّت النار بالشّهوات وحفّت الجنة بالمكاره». هول من بعد هول كما أن درجات الجنة متعددة، فربض وفردوس فعليون، فيكون هذا الهول تكذيب الناس لك أو معاداة الاهل أو سجنا من طاغية، وقد يكون هذا الهول تعبا يوميا أو فقرا ونسيانا لفرحة أو حسنا، تعزف عنها عزوفا، وانت لاه بعمل الدعوة إلى الله.. وانظر إليّ قدوتك عمر بن عبد العزيز، قالت زوجته فاطمة: (ما رأيته اغتسل من جنابة أو حلم من يوم يويع بالخلافة، وقد صرف جميع جواريه واعادهن إلى بلادهن).

من هذا تجد أخي العزيز أن طريق الحق ثقيل لا يلجه إلا من اشتاق إلى الجنة، وكان ثقيلا في القديم ايضا، كما هو ثقيل اليوم، فهذا الحسن البصري يناديك في نفس الطريق ويقول: (ان هذا ثقيل وقد جهد الناس وحال بينهم وبين كثير من شهواتهم) فانه لا يصدق اصطلاح الداعية إلا على من كان اشعث اغبر، فمن نظر إلى الداعي المسلم وجد لسان حاله يخاطبه ويقول له: (اخا سفر، جواب ارض تقاذفت به فلوات فهو اشعث اغبر).

انظر أخي؛ فقهك الله؛ إلى صورة الداعية المسلم فتراه لا يركن إلى الراحة ولا إلى الكسل والخمول غير قاعد، فضلا عن أن يكون راقدا، بل تراه يسرف ساعات نهاره وليله في التجول داعيا آمرا ناهيا مربيا، وماشيا أو راكضا، فاذا ريح إلى بيته عند منتصف الليل ورأى الغبار تعلو قدميه وملابسه، ابتسم فمه وضحك قلبه، وذكر قول رسول الله ﷺ: «من غبرت قدماه في سبيل الله، حرمه الله على النار» [رواه ابي حبان في صحيحه. في الجهاد] وان عاد من الجهاد ينفض رداءه من غبار الجهاد ثم يقول لابنته: اجمعيه واجعليه لبنة، اذا مت اجعليها لي وسادة في قبري.

وما عليّ أن أغبّر قدميّ

اخرج ابن عساكر من طريق سيف عن الحسن رضي الله عنه فذكر الحديث في تنفيذ جيش اسامة رضي الله عنه، وفيه: (ثم خرج ابو بكر رضي الله عنه حتى اتاهم فأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامه راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابي بكر رضي الله عنه فقال له اسامة: ياخليفة رسول الله ﷺ لتركبن أو لانزلن فقال: والله لا تنزل، ووالله لا اركب؛ وما عليّ أن اغبّر قدمي ساعة في سبيل الله فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له، وتمحي عنه سبعمائة خطيئة. حتى اذا انتهى قال له: إن رأيتني أن تعينني بعمر بن الخطاب فافعل. فاذن له).

غبار الجهاد، طيب الجنة

غبار الجهاد طيب الجنة، اخرج الطبراني عن ربيع بن زيد قال: بينما رسول الله ﷺ يسير معتدلا اذا بصوت شاب من قريش يسير معتدلا عن الطريق فقال: أليس ذلك فلان؟ قالوا: نعم. قال: فادعوه. فجاء فقال له النبي ﷺ: ما لك اعتزلت عن الطريق؟ قال: كرهت الغبار. قال: «فلا تعتزله، فوالذي نفسي بيده انه لذريرة الجنة» [حياة الصحابة].

احرص أخي أن تغبر قدميك في سبيل الدعوة إلى الله مع الصبر على مشاق الدعوة وتحمل مسؤلياتها الجسام، فاليوم عمل بلا حساب وغدا حساب بلا عمل، فالسعيد من أخذ من دنياه إلى آخرته ومن قوته إلى ضعفه ومن شبابه إلى شيخوخته، فالدنيا مزرعة الآخرة، واعلم انه لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم.

أخي انظر إلى قدمية في نهاية يوم رباط وجهاد في سبيل الله فتراها قد اكتظت بذرات الغبار الممزوج بقطرات العرق التي ثقلتها فجعلت هذه الذرات كالجبال الراسيات يوم الحساب تثقل الميزان، ويوم الزحام منجاة.. ذرات ولكنها يوم الفرار أوتاد..

اذن فاحرص أخي؛ على أن تتزود منها بقدر ما تستطيع، فأنت الفائز، إن الداعية اللبيب يسابق أصحابه لحمل كل ثقيل من الامور فيكون يوم الجمع صاحب الميزان الثقيل كما تسابق النخعيون يوم القادسية.. قال أحد الصحابة: (أتينا القادسية، فقتل منا كثير ومن سائر الناس قليل)، وما كان أحد ممن حضر القادسية إلا وابلى ولكن الدعاة إلى الله لهم هواية التسابق في رفع الاثقال لكي تكلمون بها هواية جمع الغبار. أخي الداعية؛ اعلم أن الفراغ الذي كان يذهب بوقتك سدى، قد ذهب بلا رجعة إن شاء الله، من حين بداية انصهارك في بوتقة هذه الكوكبة المضيئة، كوكبة الجامعين للغبار في سبيل الله، كوكبة الخير والفوز والفلاح. استمع معي إلى فاطمة بنت عبد الملك تصف زوجها عمر بن عبد العزيز فتقول: (كان قد فرغ للمسلمين نفسه ولامورهم ذهنه، فكان اذا امسى مساءا لم يفرغ من حوائج يومه وواصل نهاره بليله)، فانظر معي إلى هذه الامثال واجعلها قدوتك في طريق الدعوة إن اردت أن تصدق دعوتك وتؤدي حق الامانة والانتساب لها، وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب﴾ [الشرح:٧و٨]. فانظر أخي؛ فقهك الله؛ إن القرآن قد شمل جميع مناحي الحياة والابطال واجعلهم قدوتك في طريق الدعوة، وان اردت أن تكون صادقا مع دعوتك وتؤدي حق الامانة والانتساب إليها.

واعلم أخي؛ فقّهك الله؛ أن اقرآن قد شمل جميع مناحي الحياة بين دفتيه فما من امر صغر أو كبر إلا وانت واجد ما يشفي صدرك ويبدد حيرتك ويضعك امام المنهج الصحيح القويم، إن هذا الكتاب الرحب الواسع يحتاج من الداعية إلى أن يسلك احدى خطواطه أو رحلاته من حيث التنقل بين دفتيه، وهذه الخطوط والرحلات قد تنوعت بتنوع مواضيعه الكثيرة. أخي العزيز؛ قم بنا نمضي في رحلة قصيرة عبر أجواء هذا الكتاب العظيم مستخدمين خطا من خطوطه الكثيرة إلا وهو خط الجهاد في سبيل الله، الجهاد بالمال، الجهاد بالنفس والولد، الجهاد باللسان والقلم، الجهاد بالوقت والراحة.

أخي الحبيب؛ ألا ترى أن خط الجهاد في سبيل الله له رحلات كثيرة وعظيمة في ثنايا سماء القرآن الكريم. فانظر معي في خط رحلة ذي القرنين الجهادية في سبيل نشر دعوة الله على ارضه بين عباده وكيف رفض الاجر المادي والعرض الدنيوي، وفضّل ما آتاه الله عنده انها فعلا صورة مشرفة من صور الجهاد في سبيل الله ونشر دعوته، فحري بك أيها الداعية أن تسلك طريق السابقين من الانبياء والرسل والصالحين وتتمثل هذه القدوات، وان تضعهم نصب عينك متى ارتضيت لك هذا الطريق والتزمت هذا المنهج الرباني وسلكت احدى رحلاته متبعا خط الجهاد ومثقلا قدمك بغباره.

وينبغي أن يردد لسان حالك يا أخي قول الشاعر:

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي□





موت الاستغاثة..

بقلم: محمد علي وهبه المحامي

رفع أحمد سيلوفتش نظراته إلى السماء، تضرعاً إلى الله، أن يحيل بلاده إلى دار سلام بعد أن أكلت نيران الحرب يابسها وأخضرها. رأى السحب مبعثرة في السماء كأشلاء القتلى المبعثرة في كل مكان على الأرض، يغلب عليها لون الحمرة الداكنة، كأنها قد أصابها ماأصاب القوم. كان حصار الصرب لسراييفوا قد طال، وقذفهم الناري الشرس يقترب من قلب المدينة. لم تنقطع الانفجارات الهادرة التي يسمعها من حوله، ويشعر باقترابها المزمجر في وحشية لذلك طلبت منهم قوات الدفاع البوسنية إخلاء المنطقة سريعاً، وكانوا يتعاونون معهم في حمل الأطفال والعجزة والشيوخ، ووضعهم في عربات كبيرة، تنطلق بهم إلى معسكرات بعيدة للإيواء.

اختلط صوت الانفجارات في رأسه بصوت أمه العجوز وهو يحملها فوق ظهره، وينطلق بها إلى العربة. كان يشعر بأنه لا يحملها وحدها، وإنما يحمل معها سنوات عمره التي قاربت الستين بكل مافيها من خبرات ومصاعب رحلة العمر، ويشعر بقلبه يكبر في صدره، ويستضيء بنور سماوي بهيج، يمتزج بنور قلبها النابض بحنان الأمومة فوق ظهره. كان أولاده الثلاثة يشاركون في الجهاد لصد العدوان،ولايدري إن كانوا أحياء، أو أموتا. أما أخوه سليمان الذي يكبره بعدة سنوات، والذي جاء إليهم من أطراف المدينة بعد فقده لزوجته وأولاده وبيته وأرضه، فقد بقي بالبيت، رغم توسلات أمه ليذهب معهم.

– كيف تبقى في هذا الجحيم؟

قال وهو يستجمع قدرات شيخوخته على الأنفة والتحدي:

– لماذا لا أساعد في عمل شيء؟

لم تنقطع خيوط دمعاتها، وصوتها الواهن يردد اسمه وأسماء أحفادها الثلاثة الغائبين، هي تبتهل إلى الله أن يعينهم على اللقاء في زمن قريب، ظل يجري بها لاهثا نحو العربة، وزوجته تركض خلفه بملابسها البيتية وهي تحمل حقيبة كبيرة، معلقة على أحد كتفيها، تضع فيها بعض حاجياتهم، وبعض الأطعمة والزجاجات المعبأة بالماء. وتعاونه في حمل أمه وهي تمسك بساقيها النحيلتين، وتضعهما فوق كتفها.

كانوا يتوجهون بقلوبهم إلى الله ليشملهم برحمته بعد انتقالهم مرغمين من ألفة البيت الهادئة الناعمة إلى قسوة الشوارع الحجرية الصاخبة بمثيراتها الكثيرة المزعجة، من رائحة أثاثات البيت وروائح الملاءات والستائر والملابس البيتية، إلى روائح العواصف الخارجية المحملة بالأتربة ودخان عوادم المركبات وأصوات الطلقات النارية المحيطة بهم من كل صوب، من المسكن المغلق عليهم في هدوء حميم ومأمون إلى حلق الفضاء المفتوح، والممتد لمسافات بعيدة مجهولة، باعثة على الخوف.

تعاونت معهما أياد كثيرة في حمل الأم العجوز، وإراحتها برفق بين أجساد كثيرة

لأمهات وشيوخ كثيرين فوق صندوق العربة المشكوف. كانت سيقانهم وأذرعهم تتداخل في بعضها، كاصواتهم المتداخلة في أحشاء بعضها، فيما يشبه الهمهمات المستغيثة. بعضهم تعتصر ملامح وجوههم مشاعر كثيرة متصارعة، وآخرون تلمع الدموع في عيونهم، وتسيل على خدودهم، مع ارتعاش ملامح وجوههم بمزيج ساحق من الحزن والألم تحت تأثير الشعور بآلام الرحيل الثقيل. تشبثت أصابع أمه الهزيلة بذراعيه وهي تدعوه ليصعد إلى جوارها.

قال وهو يربت على يديها المليئتين بالعروق الواهنة:

- سألحق بسليمان.

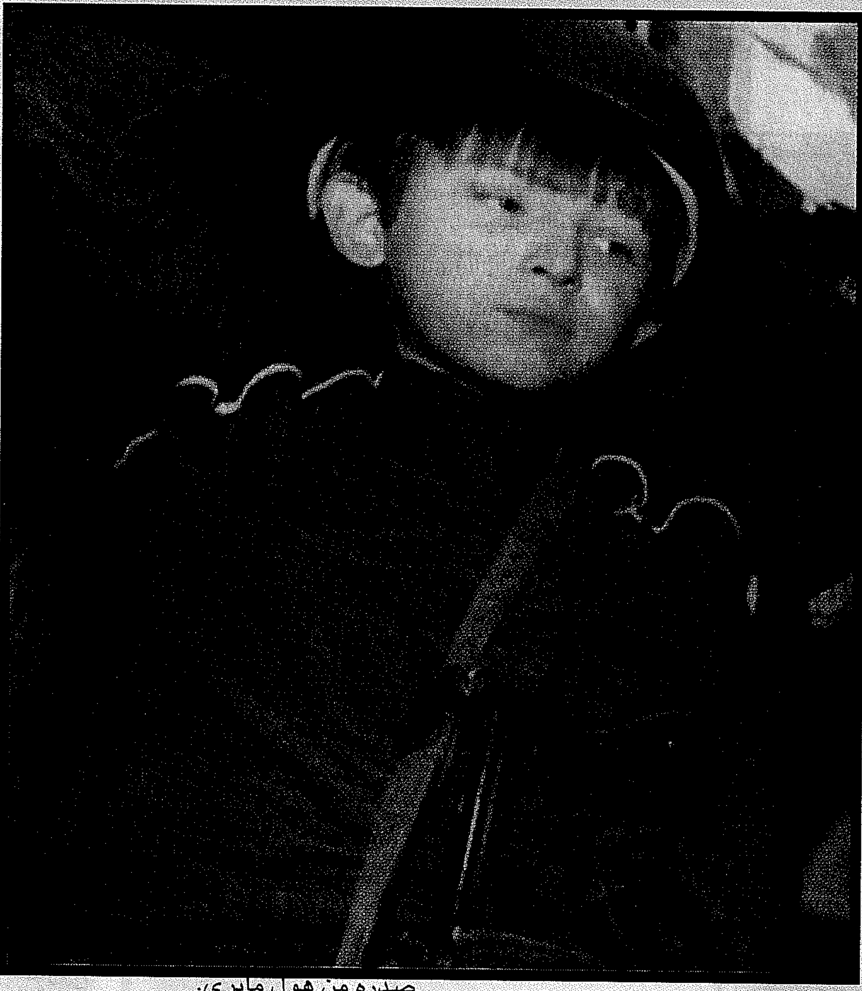
وحاول تخليص ذراعيه من بين أصابعها الضعيفة برفق.

- أتركه وحده يواجه الخطر.

قالها بلهجة مخضوضة وصوت يختنق في حلقه. اتسعت المسافة بينها وبينه، رغم وقوفه بجوارها. ورأت أشباحا مخيفة من حولها تحاول تكميمها وكتم أنفاسها، فاعتصر وجهها بدا عنيفا حتى كادت تجاعيده الواهنة أن تنفجر وهي تضع كف يدها على فمها لتكتم صرخة مؤلمة ذابت في داخلها وهي تسترخي بجسد مهدود في استسلام للمصير المجهول. وامتزج حزنها بإحساسها بشيء من الارتياح وهي تنظر إليه في إعجاب وهو ينتفض أمامها في صلابة مشتعلة، كأنه يتهيأ لاختراق حواجز الغيب النارية بقلب يحمل في نبضاته أسرار الخوارق والمعجزات..ذاب صوتها المهزوز مع صوت زوجته في صوت محركات العربة وهي تنطلق إلى بعيد وهما تبتهلان إلى الله مع من في العربة ليعينهم على الصبر.

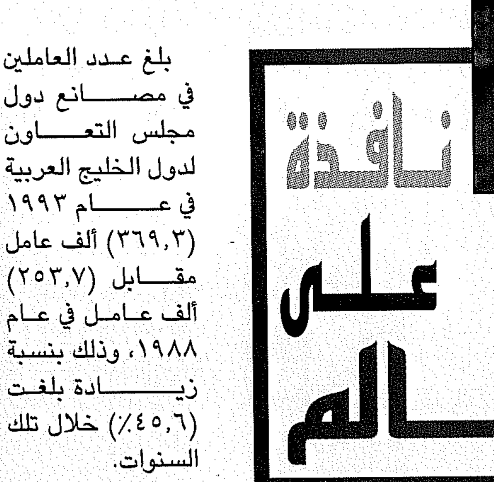
انقطع صوت الانفجارات فجأة من قريب ومن بعيد، مما شجعه على السير مسرعا ليلحق بأخيه. كان يرى بين لحظة وأخرى بعض عربات الجيش البوسني، وعربات القوات الدولية بألوانها وشاراتها المميزة تنطلق في الشوارع ذهابا وإيابا، وبعض عربات الإسعاف المحلية والدولية تنهب الطرقات بصوت عجلاتها المسرعة، وصوت نفيرها المتقطع الصارخ يملأ الآفاق وهي تحمل الجرحى والمصابين إلى أماكن العلاج، وبعض المجنزرات تتحرك بصوت مزمجر مخيف، وتترك آثارا مدمرة في الشوارع المرصوفة، تحيلها إلى أماكن شائهة بعد سحقها لوجهها الجميل، وبعض البيوت المهدمة التي طالتها القذائف المعادية، وبعض مآذن وقباب المساجد التي كانت تشق أحشاء الفضاء في شموخ عليائي مهيب قد تهدمت أجزاؤها العلوية، وأكلت القذائف النارية المعادية نقوشها التاريخية، الرامزة إلى نقاء وارتقاء الأحاسيس.

كان يشعر بما يشبه المطارق الحديدية تنهال ضربا فوق قلبه، فحاول أن يكتم إحساسه بالحزن وهو يسير بخطوات بطيئة، ثقيلة، حتى وصل إلى البيت. توقع أن يرى سليمان عند أحد نوافذ الطابق العلوي الذي يسكنون فيه، لكنه لم يره. أصابه الذعر فجأة مع معاودة الصرب لإطلاق قذائفهم المدوية الثقيلة. وامتلأ الجو من الانفجارات والشروخ والانهيارات المفزعة. كان يشعر بصفير القذائف ودوي الصواريخ المشتعلة وهي تمر منطلقة فوق رأسه. انبطح على الأرض سريعا بكل ثقل جسمه المهدود، وقلبه يوشك أن ينخلع من



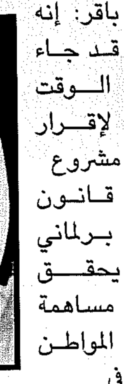
صدره من هول مايرى.

ازداد إحساسه بالذعر وهو يرى أكثر البيوت من حوله تتهدم بأصوات ساحقة، مكتومة، وهادرة في أحشاء الفضاء، تتصاعد منها سحابات مذعورة من الدخان والغبار، وتفوح منها رائحة النفط والمعدن المحترق وغبار الدمار. تملكه الإحساس بالرعب، واستحالت عيناه إلى بحر من الدموع على أثر انفجار صاروخي مزلزل فوق بيتهم الذي رأى حائطه العلوي يتدلى منكسرا، كالحصيرة المدلاة فوق واجهته، وكان معلقا بأسياخ حديدية في أعلى سقفه، وتتصاعد منه سحابات كثيفة من الدخان والغبار وألسنة النيران، ويبرز من أسفله رأس أخيه سليمان محشوراً بين حافتي الجدار المتساقط والنافذة، وحلقه مفتوح على اتساعه، ربما من أثر استغاثة كان يطلقها وهو يحاول الهرب من النافذة، فمنعه سقوط الجدار فوقه من الهرب، فمات، وماتت معه صرخته في حلقه. وكانت ملامح وجهه المسحوقة تحت الأحجار ملطخة بالدماء ■



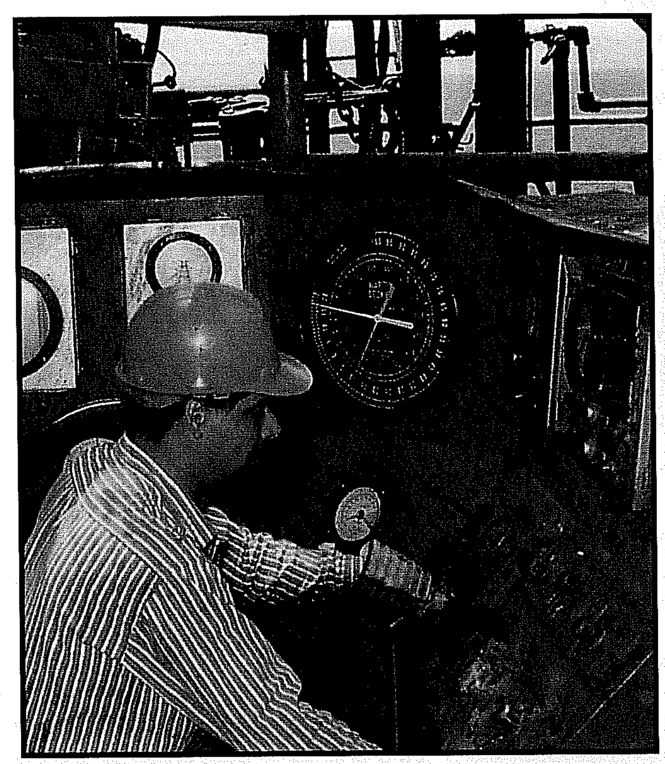
(الزكاة) ودفع العدوان

قال أمين سر مجلس الأمة النائب أحمد باقر: إنه قد جاء الوقت لإقرار مشروع قانون برلماني يحقق مساهمة المواطن في النفقات الدفاعية ويدعم المجهود الحربي، ويسهم في استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية.



وأعاد إلى الأذهان أنه تقدم مع عدد من النواب بمشروع قانون للزكاة ينص على أن الشركات العاملة بالبلاد مهما كانت طبيعة عملها تقدم ميزانيتها لوزارة المالية التي تقوم بدورها باستقطاع نسبة الزكاة من واقع تلك الميزانية، وحتى لا يكون العبء ثقيلاً على هذه الشركات، فإنها تخفف مساهمتها بمؤسسة الكويت للتقدم العلمي إلى ٢,٥٪ فقط، بدلاً من ٥٪، وتأخذ النسبة الأخرى كزكاة شرعية.

ازدياد القوى العاملة في مصانع الخليج



بلغ عدد العاملين في مصانع دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في عام ١٩٩٣ (٣٦٩,٣) ألف عامل مقابل (٢٥٣,٧) ألف عامل في عام ١٩٨٨، وذلك بنسبة زيادة بلغت (٤٥,٦٪) خلال تلك السنوات.

وأوضحت الأرقام الإحصائية الصادرة عن بنك المعلومات الصناعية لمنظمة الخليج للاستشارات الصناعية أن قطاع صناعات المنتجات المعدنية المصنعة والآلات والمعدات قد استوعب نحو ما نسبته (٢٢,٧٪) من إجمالي العاملين في المصانع العاملة .. تليها صناعة المنتجات التعدينية غير المعدنية (١٩,٤٪)، ثم صناعة المنتجات الكيماوية والبلاستيكية (١٩,٢٪).

وبينت الأرقام الإحصائية توزيع العاملين في المصانع العاملة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية حسب التصنيف الدولي الموحد للنشاط الصناعي في عام ١٩٩١. كالتالي: صناعة الأغذية والمشروبات والتبغ (٤٩٢٧١) عاملاً .. صناعة النسيج والملابس والجلود (٤٢٠٤١) عاملاً، صناعة الخشب والأثاث (١٦٢٨٤) عاملاً، صناعة الورق والطباعة والنشر (١٠٢٩٩) عاملاً، صناعة المنتجات الكيماوية والبلاستيكية (٧٠٧٩٦) عاملاً، صناعة المنتجات التعدينية غير المعدنية عدا البترول (٧١٦٢٦) عاملاً.

كفالة طلاب علم

قال طارق عبد الله المطر مدير صندوق طالب العلم في بيت الزكاة إن ثلاثة من الطلبة يكفلهم البيت أنهوا دراساتهم العليا على مستوى الدكتوراه. ومن ناحية أخرى ذكر طارق المطر أن عدد الطلبة الذين يكفلهم الصندوق حالياً يصل إلى أكثر من (٢٠٠٠) طالب موزعين في دول آسيا وأفريقيا بمن فيهم الطلبة الذين يدرسون في الأزهر الشريف.

وأعرب مدير صندوق طالب العلم عن شكره الجزيل لكل المحسنين الذين ساهموا بتبرعاتهم السخية في دعم هذا المشروع الخيري النبيل، موضحاً أن البيت على استعداد للتعاون مع الإخوة الكافلين في هذا المجال وتزويدهم باستمارات تعريفية بالطالب مع شهاداته الدراسية التي يرغب فيها ومدتها ومكان البلد الذي يدرس فيه، والتقارير اللازمة بصفة دورية.

خطورة جرائم الخادمات

حذرت دراسة ميدانية لمركز البحوث والدراسات بشرطة دبي من خطورة الجرائم التي ترتكبها الخادمات .. مشيرة إلى أنه قد لوحظ أن أكثر من نصف الجرائم التي ترتكبها المرأة في دولة الإمارات تقع من الخادمات، وأن بعض هذه الجرائم تكون موجهة إلى أفراد الأسرة وبخاصة الأطفال.

وأوضحت الدراسة أن ٩٢,٥٪ من جرائم الخادمات خطيرة للغاية، واستعرضت نماذج من هذه الجرائم ومنها إغراق طفل الأسرة برميه في حوض السباحة، وفتح غاز (البوتاجاز) بهدف قتل أفراد الأسرة، ومحاولة إحراق طفل صغير لا يتجاوز عمره عامين بالكيروسين انتقاما من الأسرة، ووضع طفل صغير في فريزر الثلاجة مدة من الوقت أثناء الليل لكثرة بكائه، وإهمال أمه له، ووضع طفل الأسرة في الغسالة وتشغيلها انتقاما من الأسرة، وسد فتحة شرج طفل لا يتجاوز عمره ثمانية أشهر بمادة لاصقة، ووضع منوم بصفة مستمرة لربة المنزل في المشروبات التي تقدمها لها، واستغلال طفل عمره خمس سنوات في أعمال التسول.

منع كتب تدّعي العلاج بالقرآن الكريم

طالب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بمنع نشر كتب تدعي العلاج بالقرآن الكريم، لما تحمله من خرافات ودجل. وذكر أن لجنة مشكلة من إدارة البحوث والنشر قامت بدراسة مجموعة من الكتب التي تعالج بالقرآن الكريم، وأكدت أن نشر هذه الكتب يغري بعض الناس بالقيام بأعمال السحر والدجل وبذلك يفقد متعلم السحر عقيدته الإسلامية بعبادة غير الله، وحذرت اللجنة من طبع هذه الكتب مشيرة إلى أن بها خزعبلات وإسرائيليات مدسوسة.



ضحايا السيول والحرائق في مصر

بلغت الحصيلة النهائية لضحايا كارثة سوء الأحوال الجوية التي تعرضت لها مصر في الثاني من شهر نوفمبر الماضي ٥٨٨ قتيلاً ومئات الجرحى إضافة إلى أن أكثر من مائة ألف شخص ظلوا بلا مأوى، كما نفق أكثر من ٢٥٠ ألف رأس ماشية، و٥٠٠ ألف من الدواجن. الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء المصري. قدر حجم الخسائر المادية بأكثر من ٥٠٠ مليون دولار.

هذا وقد بادرت الدول الشقيقة والصديقة إلى تقديم الدعم والمساعدات للأسر المنكوبة، وفي مقدمتها الكويت وباقي دول مجلس التعاون الخليجي.

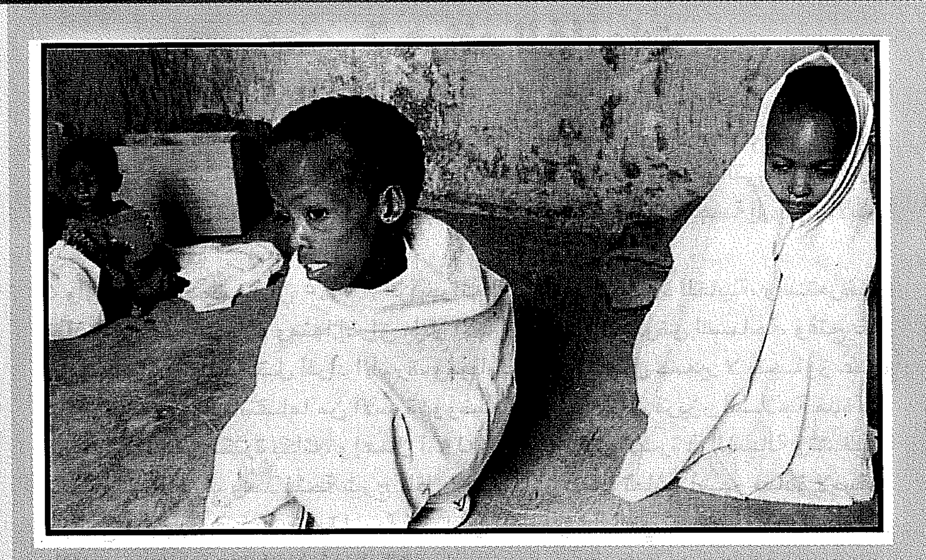
حاجة مسلمي آسيا للمدارس الاسلامية

أكد نعمان محمد طشقندي المشرف على مشروعات هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في جمهوريات آسيا الوسطى أن الدول الإسلامية والعربية لم تقم بدورها كما يجب نحو إخوانها المسلمين في تلك الجمهوريات، في الوقت الذي تسابقت فيه الدول الأخرى في إقامة علاقات، وإنشاء مشروعات في هذه المنطقة، التي تعتبر عمقا استراتيجيا للعالم الإسلامي. أما عن مشروعات هيئة الإغاثة في هذه الجمهوريات، فقد قال: إن الهيئة تقوم الآن بإنشاء أكثر من ١٥٠ مدرسة إسلامية ملحقة بالمساجد الجامعة، حيث انتهى إنشاء حوالي ٤٠٪ من هذه المدارس، ويجري إنشاء الباقي في خلال عام ونصف العام. إلى جانب إنشاء المراكز الإسلامية الكبيرة في المدن الهامة مثل مركز (أبي حنيفة) في مدينة (طشقند) على مساحة ٨ آلاف متر مربع، والذي تم إنشاؤه، كما يجري الآن إنشاء مركز آخر في مدينة (عشق آباد) عاصمة تركمانستان على مساحة ٣٠ ألف متر مربع.

إقبال على معاهد الأئمة في تركيا

أكد الشيخ صلاح الدين كابا – مفتي اسطنبول – أن وزارة التعليم التركية سمحت بفتح حوالي عشرين معهدا للأئمة والخطباء. وقال: إن الإقبال المتزايد على المعاهد أجبر الحكومة التركية على السماح بفتحها.

تجدر الإشارة إلى أن عدد المعاهد الثانوية للأئمة والخطباء قد بلغ حوالي ٥٠٠ معهد في أنحاء تركيا.هذا وصورت الصحافة الإسلامية بتركيا افتتاح العشرين معهداً هذه على أنه انتصار جديد لصالح التعليم الإسلامي في تركيا.



ملايين الأفارقة مهددون بسوء التغذية

أعلن جاك ضيوف المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة (فاو) في افتتاح المؤتمر الإقليمي الثامن عشر لهذه المنظمة أن حوالي ١٨٠ مليون أفريقي مهددون بسوء التغذية من جراء السياسات الزراعية غير الملائمة. كذلك تعتبر الأسباب التي طرحها ضيوف والرئيس البوتسواني كيتوميلي ماسيري الذي حضر الاجتماع (مزيجاً من العوامل المتناقضة التي تفتقر دول القارة إلى القدرة على إدارتها).

واستنادا إلى دراسة نشرتها الفاو في عام ١٩٨٦، عن التوقعات الغذائية للسنوات الخمس والعشرين المقبلة في أفريقيا، أشار ضيوف إلى أن السعر بالقيمة الثابتة للمواد الغذائية المستوردة سيقارب الـ ٢٨ مليار دولار في عام ٢٠١٠ فيما ستبلغ عائدات الصادرات الزراعية ١٢ ملياراً.

وعلى صعيد الحبوب وجدها فإن العجز يمكن أن يبلغ هذه السنة ١٠٠ مليون طن منها ٥٨ مليونا للدول الواقعة جنوب الصحراء وحدها، الأمر الذي يدل – كما قال ضيوف – على (الوضع الغذائي الحرج لأفريقيا).

مركز عربي لمعلومات المخدرات

بدأت مصر إقامة أول مركز عربي لمعلومات المخدرات تتولى الإشراف عليه الأمم المتحدة ويتبع المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر.

وقالت الدكتورة نادية جمال الدين رئيس قسم بحوث المخدرات في المركز: إن المركز الجديد يستهدف تبادل المعلومات والبيانات الخاصة بنشاط تجارة وتهريب المخدرات بين مختلف الدول العربية، بهدف وضع استراتيجية قومية عربية لمكافحة المخدرات.

وأكدت أن هناك ضرورة ملحة في الوقت الراهن للتنسيق العربي لمكافحة تهريب المخدرات، خاصة أن المهربين بدأوا يلجأون إلى استخدام طرق برية وبحرية غير معتادة لتهريب المخدرات بين الدول العربية.

قناة فضائية إسلامية

تدرس رابطة العالم الإسلامي تأسيس قناة فضائية إسلامية بالتعاون مع المؤسسات والشركات الإعلامية العربية والإسلامية للاستفادة من التقنيات الحديثة التي تستخدمها هذه الشركات لخدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان. وتتطلع الرابطة إلى الاستفادة من إمكانات مجموعة (دلة البركة) وخبراتها في هذا المجال، خصوصا وأن الأخيرة تملك أربع قنوات فضائية.

وعقد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، أحمد محمد علي اجتماعا مع السيد صالح كامل لرسم استراتيجيات مشروع القناة الفضائية الإسلامية بالتعاون مع مجموعة (دلة البركة) السعودية. وقال علي: (إن رابطة العالم الإسلامي هيئة إسلامية شعبية عالمية غير حكومية تسعى إلى خدمة الأمة الاسلامية في كل مكان.

وأضاف: (نحن نحاول الآن رسم الاستراتيجيات العامة للمشروع مستفيدين من الخبرات الموجودة في العالم الإسلامي بعدما رحب السيد كامل بالتعاون مع الرابطة لإيجاد القناة الفضائية الإسلامية. وهذه هي الخطوة الأولى. ولا يزال المشروع وليدا ويحتاج إلى بعض الوقت لاستكمال خطواته بصفة عامة).

مراهقو أمريكا وانتشار العنف!!

جاء في تقرير رسمي أذيع في واشنطن أن المراهقين في الولايات المتحدة الأمريكية يقتلون بعضهم بعضا بأعداد متزايدة. ونقل راديو صوت أميركا عن تقرير أصدرته مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة القول إن المعدل السنوي للقتلى بين الصبية الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٩ عاماً قد ارتفع بنسبة ١٥٤٪ في الفترة بين ١٩٨٥ و١٩٩١.

ونسب إلى بعض الخبراء قولهم إن هذه الزيادة يمكن أن تكون ناجمة عن شيوع تعاطي الكوكايين خلال الثمانينيات وتجنيد تجار الكوكايين للمراهقين لأغراضهم.

وقال (الراديو) إنه وفقا لهذا التقرير فإن الشباب هم الآن أكثر عرضة للاعتقال بسبب حوادث القتل من أي جماعة أو أي فئة أخرى.

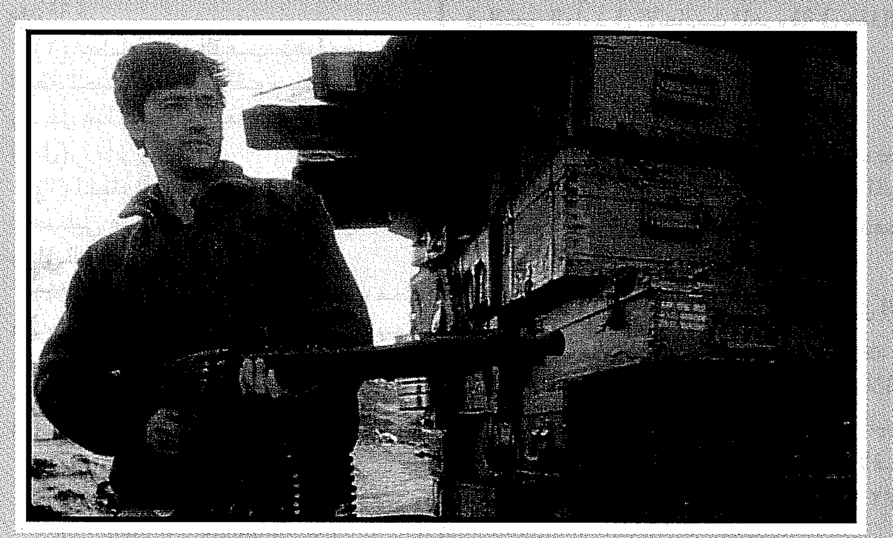
الصرب يستعينون بالمرتزقة!!

قال سفير جمهورية البوسنة والهرسك لدى دولة الكويت الدكتور نعيم كادتيش: إنه منذ بداية العدوان على جمهورية البوسنة والهرسك لوحظ وجود جنود من الروس مع بعض المرتزقة الآخرين من رومانيا وبعض دول أوروبا الشرقية في وحدات ما يطلق عليه اسم جمهورية الصرب، وفي نهاية ١٩٩٣، كان هناك ما بين ٢٠٠٠ - ٥٠٠٠ جندي روسي يعملون مع الصرب ضد الشعب البوسني.

وأكد السفير البوسني أنه في بداية شهر يناير من العام الحالي سجلت أعداد كبيرة من هؤلاء المرتزقة في وحدات كارجيتش عند جبل ازرين غرب مدينة (توزلا)، ويطلق عليهم اسم (ضيوف من سيبيريا). وفي نهاية الشهر نفسه في المنطقة حول (باله - سكوليتش). انضم الجنود المرتزقة إلى المتطوعين من الصرب، وشاركوا في العدوان ضد جيش البوسنة والهرسك في (فاريش أولوفو). كما سجلت حاليا أعداد من هؤلاء المرتزقة في مناطق سرايفو - غربافيتش - وبخارتش.وأكد السفير البوسني أنه توجد مراكز لتدريب هؤلاء المرتزقة والمتطوعين في بتروفارادين قريباً من نوفاساد، فوفودينا، في واجهة باحة مصنع كيماوي في شاباتس (في صربيا قريباً من الحدود التابعة لجمهورية البوسنة والهرسك)، وتوجد مراكز أخرى في فيرجين موست (المنطقة المحتلة من كرواتيا)، والتي أطلق عليها اسم كرايينا، وتوجد أيضاً في (باتاينيتسا) بجانب بلغراد على جبل تارا في منتجع الجيش السياحي في منطقة البوسنة، وعلى مناطق محددة بجانب نهر درينا ضمن منطقة صربيا وجد ما لا يقل عن ٤ آلاف جندي روسي.

وأشار السفير البوسني إلى أن هؤلاء المرتزقة والمتطوعين معهم، يدخلون إلى جمهورية البوسنة والهرسك من خلال هيئة المنظمات الخاصة، أو عن طريق مكتب ما يطلق عليه (جمهورية الصرب)، وغالباً ما تكون جوازات سفرهم مستبدلة بجوازات سفر يوغسلافية مزيفة، أو جوازات الجنود الصرب المقتولين.

وأشار إلى أن جمهورية البوسنة والهرسك واتحاد الفيدرالية للبوسنة والهرسك واتحاد الفيدرالية للبوسنة والكروات، قررت أن تضع تلك الحقائق أمام الرأى العام أجمع، لوضع حد لهذه التصرفات.



أوضاع سيئة للبوسنيين في مقدونيا

قدمت الحكومة البوسنية مؤخراً طلباً إلى المكتب الإقليمي للهيئة السعودية العليا لمساعدة مسلمي البوسنة والهرسك في زغرب المساعدة في ترحيل أكثر من ألف لاجيء بوسني يعيشون في جمهورية مقدونيا التابعة للاتحاد اليوغسلافي السابق، وقد بدأت الهيئة في اتخاذ الإجراءات اللازمة لتأمين وسائل النقل ومن ثم استقبالهم في مدينة سبليت الكرواتية حيث سيقوم المكتب التابع للهيئة هناك باتخاذ اللازم، ذكر ذلك المشرف على مكاتب الهيئة في أوروبا ناصر بن عبد الرحمن السعيد الذي أكد على المتابعة المستمرة والدعم الدائم اللذين تلقاهما كافة أنشطة الهيئة من قبل الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، ورئيس الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك والصومال.

والجدير بالذكر أنه يبلغ تعداد المسلمين البوسنيين المهاجرين داخل مقدونيا ثلاثة آلاف مهاجر يعيشون أوضاعاً مأساوية من جراء بعدهم عن الهيئات الإغاثية الإسلامية.





منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت ◻

الجائز والحرام في التعامل بالذهب

● عرض على اللجنة الاستفتاء، الآتي:

(١) بيع كيلو ذهب مصوغ مقابل ثمن الصياغة نقدا يدا بيد، مع ارجاع كيلو ذهب بعد فترة.

(٢) اعطاء بائع الذهب، ذهبا مصوغا لبيعه، لحسابي بسعر أقوم بتحديده، وما زاد على هذا السعر في بيعه هو له (فلصاحب المحل).

(٣) اعطاء بائع الذهب ذهبا مصوغا لبيعه لحسابي على أن يأخذ عمولة معينة على صافي البيع نحو ١٪ مثلا.

(٤) بيع كيلو ذهب مصوغ لصاحب محل (بيع الذهب) بسعر الكيلو لسعر اليوم مضافا إليه أجرة الصياغة. ويتم البيع على مجموع سعر البيع المحدد على أن يتم دفع المال بعد فترة.

●● أجابت اللجنة بما يلي:

بالنسبة للصورتين الأولى والرابعة هما محرمتان، لأنه يحرم تأجيل أحد البديلين أو كليهما في بيع الذهب بالذهب، وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الذهب بالذهب إلا يداً بيد.

كما أن في الصورة الأولى ربا الفضل أيضا وهو اعطاء زيادة مقابل الصياغة. ومن الواجب في بيع الذهب بالذهب التساوي في الوزن دون اضافة شيء ولو مقابل الصياغة..

أما بالنسبة للصورتين الثانية والثالثة فهما توكيل بيع الذهب لقاء أجر معين بالقدر أو بالنسبة، وهو جائز شرعا..

الزيادة في سعر شراء المصاغ الجديد بالقديم

● سأل سائل:

ما حكم من يشتري مصوغ ذهب جديد بمصوغ ذهب قديم مع زيادة نقدية، علما أن المصوغين متماثلان وزنا، موضحين ما يلي: إن الجاري في تجارة الذهب أن التاجر الذي يشتري مصوغا جديدا يدفع فيه قيمة وزن الذهب كما هو سعره في السوق وأيضا قيمة صوغه، وهي هنا الزيادة التي يأخذها بائع المصوغ الجديد فهل هذا البيع جائز أم يدخل في النهي الوارد في الأحاديث المعروفة في هذا الباب؟

●● أجابت اللجنة بما يلي:

إن هذا البيع المشار اليه في السؤال الأول يدخل في النهي الوارد عن بيع الذهب بالذهب متفاضلا، والطريقة الصحيحة لمثل هذه المبادلة التي يجري العمل بها هي: بيع الذهب غير المصوغ بالعملات النقدية ثم شراء الذهب المصوغ بالعملات النقدية أيضا، أي لابد من اجراء عقدين منفصلين..

وقد ورد في نحو هذه المعاملة أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاءه بتمر جنيب فقال رسول الله ﷺ: «أكلُّ تمر خيبر هكذا»؟ قال: لا والله يارسول الله، إنا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة. فقال رسول الله ﷺ: «لا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا» [رواه البخاري] والجنيب: هو الذي أُخرج منه حشفه ورديئه وهو الذي لا يخلط بغيره بخلاف الجمع، والجمع: هو التمر المختلط. [فتح البارى، جزء ٤، ص ٣٩٩، حديث رقم ٢٢٠١، ٢٢٠٢] ولابد من التقابض في المجلس.

حكم انتاج وبيع الأغاني

● ورد للجنة السؤال التالي:

ما حكم من جعل كسبه وتجارته من انتاج وبيع الأغاني؟ وجزاكم الله خيرا..

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا كانت الأغاني المراد انتاجها أو بيعها لا تتضمن طعنا في الاسلام ولا اثارة جنسية ولا دعوة الى رذائل الاخلاق ولا تحريضا على المحرمات في كلماتها أو أدائها أو لحنها فلا مانع من ذلك لأن الغناء حسنه حسن وقبيحه قبيح، وإن صاحب الغناء موسيقى فيصبح حكمها من المختلف فيه الذي يرشد إلى تركه ولا ينكر على فعله.

حكم التسعير بسعرين لمصوغ ذهب واحد

● ورد السؤال التالي:

ما حكم من يسعر بسعرين مختلفين لمصوغ ذهب واحد، فمثلا إذا أراد بائع المصوغ أن يأخذ قيمته نقدا، يكون السعر المعطى له أقل فيما لو أراد بائع المصوغ أن يشتري بثمن مصوغه مصوغا آخر، حيث يكون السعر المعطى أكثر، فهل يجوز هذا، وهل هذا هو المراد في البيع ببيعتين؟

●● وأجابت اللجنة بما يلي:

إن كان المراد من هذا السؤال تطبيق ما عليه العمل من بيع المصوغ بمصوغ آخر مع فرق في الثمن، فهذا ما تقدم منعه الا عن طريق البيع بالعملة النقدية ثم الشراء بالعملة النقدية، وقد سبق بيان الحكم الشرعي فيه، أما ان كان المراد شراء المصوغات القديمة بسعر أعلى، إذا كان البائع يريد شراء مصوغ جديد فيما بعد، وشراؤها بسعر أدنى إذا كان يرغب فيما بعد شراء مصوغ جديد فهذا التفاوت جائز بشرطين:

أولا: أن يتم ذلك بعقدين مستقلين.

ثانيا: أن تكون هذه الرغبات مساومة قبل العقد، وان يقع العقد على سعر واحد، وإلا كان من (بيعتين في بيعة) وعلى جميع الأحوال لابد من التقابض في المجلس.

التخلص من إثم الربا

● ورد للجنة السؤال التالي:

تمتلك عائلتي شركة تعتبر من كبريات شركات البلد، وهي جميع ما ورثناه عن والدنا رحمه الله منذ ما يقرب من ثلاثين سنة ونيف، والشركة منذ انشائها تتعامل بالربا بمختلف الوانه، ولكن التعامل الاساسي هو الاقتراض من البنوك، وأنا الآن أريد أن أتفكك من هذا الربا ومعي اختاي ووالدتي، فما رأيكم بالوضعين التاليين:

أ) إما أن نقوم ببيع حصصنا في الشركة، وهذا أمر الآن غير مقدور عليه حيث ان الشركة مديونة للبنوك وموجوداتها لا تغطي الديون، ومثل هذا الارباك ببيع الحصص سيجعل البنوك جميعها تهاجم الشركة بقصد تحصيل ديونها مما يؤدي بالتالي إلى خسارة عظيمة ليس في الشركة فقط ولكن في أموالنا الخاصة لأننا شركاء متضامنين، كما أن هذا العمل سيكسر القيمة الحقيقية للأصول الموجودة الى النصف تقريبا..

ب) واما الصبر على هذا الموضوع حتى تستقيم أمور الشركة، خاصة اننا الآن أوقفنا الاقتراض حتى نتمكن من تسديد ما عليها، ونتخلص بالتالي من ديونها، ومن ثم يأتي دوري في الإدارة الكاملة للشركة (حيث إنني الآن اعتبر من مدراء الشركة وفرصتي كبيرة في استلام الادارة). حيث أضع خطة طويلة المدى، مدتها من ١٠ – ١٥ سنة لمحو الربا وإزالة آثاره من الشركة وأعمالها.

●● أجابت اللجنة بالتالي:

لا مانع من الاستمرار في هذه الشركة، بشرط أن لا يتعاملوا فيما بعد بالربا. وبما أن التعامل الربوي الذي وقعت فيه الشركة هو الاقتراض دون الإقراض، وقد أوقفته الشركة فانه يكفي الاستغفار والتوبة والعزم على عدم الوقوع في ذلك ثانية. والله أعلم.

الزواج من غير المحجّبة

● ورد السؤال التالي للجنة:

إنني أريد الزواج، والمرأة المختارة لي ليست متحجبة، فهل يصح لي الزواج من امرأة غير متحجبة مع العلم انني ساسعي جاهدا وبكل تأكيد لتحجبها والزامها باللباس الشرعي، فهل يجوز لي ذلك؟ مع العلم اني واثق من قدرتي على القيام باقناعها والزامها باللباس والحجاب الشرعي. وجزاكم الله خيرا.

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

ينبغي للرجل المسلم أن يتخيّر المرأة الصالحة الملتزمة بالواجبات الشرعية ومنها اللباس الشرعي للمرأة، فان اختار امرأة على غير هذه الصورة وعرف من نفسه ومن سلوكها إمكان التزامها بما يجب عليها شرعاً فله ذلك، لأنّ مسئوليته عن هذه المرأة تبدأ بعد عقد الزواج، والله أعلم.

صفة التماثل في بيع الذهب

● وورد السؤال التالي:

هل التماثل في المصوغات الذهبية يكون في الوزن فقط أو أن التماثل ينبغي أن يكون كذلك في نوع القطع نحو قلاده، أسورة، خاتم، وكذلك في عيار الذهب نحو ذهب عيار ١٨، ٢١، ٢٤ إلخ.

●● وأجابت اللجنة بما يلي:

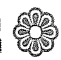
ان التماثل في بيع الذهب بالذهب سواء أكان مصوغا أو غير مصوغ، العبرة فيه بالوزن فقط ولا ينظر الى نوع القطعة المصوغة كما لا ينظر الى عيار الذهب ما دام الذهب هو الغالب كالعيارات المشار اليها في السؤال، فان صار الذهب مغلوبا كعيار (١١) فما دونه فيعتبر نوعا آخر بحسب المعدن الغالب فيه إذ العبرة للأكثر، والحل الشرعي في مبادلة هذه الأنواع من الحلي أو العيارات المختلفة بعضها ببعض، وهو ما سبقت الاشارة إليه في جواب السؤال السابق من بيع النوع الأدنى بالنقد ثم شراء النوع الأعلى بالنقد أيضا مع الأخذ في الاعتبار وجوب التقابض في المجلس.

العملات الورقية تقوم مقام الذهب

● قال ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة ...» الى آخر الحديث. هل الفلوس الرائجة المستعملة في هذا الزمان كالجنيه والريال ونحوهما من العملة المصرية وغيرها لها حكم الذهب والفضة أم؟ وهل يجوز تبديل بعضها ببعض بدون حضور أحد البدلين في المجلس؟

●● وأجابت اللجنة بما يلي:

إن العملات الورقية المتداولة تقوم بالدور الذي كان يقوم به الذهب والفضة من حيث الثمنية، فينبغي أن يجري عليها حكم الذهب والفضة في التبادل عن طريق الصرف وفي القرض والزكاة وغيرها من الأحكام. وعليه ترى اللجنة أنه لا يجوز تبديل بعضها ببعض بدون حضور أحد البدلين أو كليهما في المجلس.



صفة الحاسد

الحاسد لا يزال زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزالاً، ومكدرا على نفسه ما به من النعمة، فلا يجد لها طعما، ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه، ومتسخطا لمال ينال، فهو كظوم هلوع جزوع، ظالم أشبه شيء بمظلوم، محروم الطَّلبة، منغص العيش، دائم التسخط، لا بما قسم له يقنع، ولا على مالم يقسم له يغلب، والمحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرا للسرور، مهملا فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها علي قطع ولا انتقاص، ولو صبر الحاسد على مابه لكان خيرا له، لأنه كلما أراد أن يطفيء نور الله أعلاه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. [من كلام ابن المقفع في زهر الآداب].

العقل والحلم

عن معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه أنه قال: أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم، فإذا ذكر ذكر، وإذا أساء استغفر وإذا وعد أنجز. وكان يقول: المروءة احتمال الجريرة – الجناية – وإصلاح أمر العشيرة، والنبل: الحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة.

العفو عند المقدرة

قدم ثلاثة من الشباب ممسكين برجل أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا هذا الرجل قتل والدنا واعترف الرجل ولكنه طلب امهاله ثلاثة أيام حتى يخبر أبناءه بثروة مدفونة لا يعلمها سواه وضمنه الصحابي أبوذر الغفاري، وقاربت الثلاثة أيام على الانتهاء وكاد أبو ذر أن يقتل بضمانه وفي آخر لحظة قدم الرجل وعليه غبار الطريق واجهاد السفر. فقال له عمر: لم حضرت وقد كان بامكانك أن تهرب؟ فقال: خوفا من ان يقال ذهب أهل الوفاء بالوعد فقال عمر لابي ذر: وأنت لماذا ضمنته ولم تكن تعرفه؟ فقال: خوفا من ان يقال ذهب أهل المروءة والكرم فقال ابناء القتيل: ونحن عفونا وتسامحنا حتى لا يقال ذهب أهل العفو عند المقدرة!!

من أدب المجالس

روى أبو امامة قال: خرج إلينا النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا إليه فقال: «لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها» فما قام أحد منا بعد ذلك.

أسماء ومدلولات

الشعلول: لهب النار، الأقشر: الكثير السؤال، الصقعاء: الشمس، اللث: الندى، الرباب: السحاب الأبيض، الكدام: الرجل الشيخ، الدبيوب: النمام، الحبل: العهد والذمة، السنديان: اسم نبات مثمر، اللحاظ: مؤخر العين، النتأة: الكمأة، الكناس: بيت الظبي، الفرق: الموجة، الهلهل: الثلج، التداف: الكثير الأكل.

شهادة حق

يقول الفيلسوف كارلايل: إن أجدر الأقوال بالانصات والقبول هي أقوال محمد صلى الله عليه وسلم لأن أقواله وحدها هي التي تمثل الحقيقة» ويتابع قوله: إن كنت في ريب من حقائق الإسلام فالأولى بك أن ترتاب في البديهيات والضرورات القطيعة، لأن الإسلام من أبده الحقائق وأشدها ضرورة.



إعداد: أحمد عبد الجبار

المتغيرات

ستة أشياء لا ثبات لها: ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب والسلطان الجائر، والمال الكثير.. [بدائع السلك في طبائع الملك]

أينما تكونوا يدرككم الموت

قال أعرابي في ولدٍ له هرب من الطاعون فلدغته أفعى فمات:

طاف يبغي نجوة ... من هلك فهلك
والمنايا راصد ... للفتى حين سلك
كل شيء قاتل ... حين تلقى أجلك

أقوال

قال أحد الحكماء: العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل حياته.

دعاء

اللهم أني أسألك عيشا قارا ورزقا حلالا داراً، وعملا باراً، اللهم اغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك، اللهم استر عورتي وأمن روعتي وخفف لوعتي، اللهم أعني على حسن عبادتك، ووفقني لاستفتاح أبواب رحمتك واستمطار سماحتك.

وصية

يا بني أوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا.. ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك وجهك – أي غضبك – عن الكريم واللئيم، واحفظ اخوانك، وصل أقاربك،وأمنهم من قول ساع – أي واشٍ بهم – أو سماع باغ، يريد افسادك ويروم خداعك... وليكن اخوانك من إذا فارقتهم أو فارقوك، لم تعبهم أو يعيبوك.

ظننتك ساهراً

دخلت عجوز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنوده الذين سرقوا ما شيتها بينما كانت نائمة.

فقال لها السلطان: كان عليك أن تسهري على مواشيك لا أن تنامي. فأجابته: ظننتك ساهراً علينا يا مولاي فنمت مطمئنة البال.

هل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم في اللغة العربية:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي — وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني — عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي — رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية — وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة — وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن — فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فلا تكلوني للزمان فإنني — أخاف عليكم أن تحين وفاتي

سراج أمير المؤمنين

جلس أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ذات ليلة يتناقش مع بعض أصحابه في أمور الدولة والخلافة ولاحظ المجتمعون أن ضوء المصباح بدأ يخفت فقد كان عبارة عن وعاء مصنوع من الزجاج مملوء بالزيت وفي وسط الزيت فتيل مشتعل فإذا سقط الفتيل أكثر مما يجب في الزيت خفت الضوء أو انطفأ المصباح.

قطع أمير المؤمنين الحديث وقام إلى السراج فأصلحه، وعندما عاد إلى المجلس، قال له بعض الجالسين: يا أمير المؤمنين، لماذا لم تطلب فتنادي من يقوم بإصلاح السراج؟

فأجاب الخليفة: وهل أصابني ضرر.. قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز ورجعت وأنا عمر بن عبدالعزيز!!

ما أفلح قوم ظلموا

كتب أبوبكر الصديق رضي الله عنه إلى بعض قواده: إذا سرت فلا تعنف أصحابك في السير ولا تغضبهم، وشاور ذوي الآراء منهم، واستعمل العدل وباعد عنك الجور، فإنه ما افلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم، وإذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وإذا نصرتم عليهم فلا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تحرقوا زرعا ولا تقطعوا شجراً ولا تذبحوا بهيمة إلا مايلزمكم للأكل ولا تغدروا إذا هادنتم، ولا تنقضوا إذا صالحتم، وستمرون على أقوام في الصوامع ورهبان ترهبوا لله فدعوهم وما انفردوا إليه وما ارتضوه لأنفسهم فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم والسلام.

قصة آية

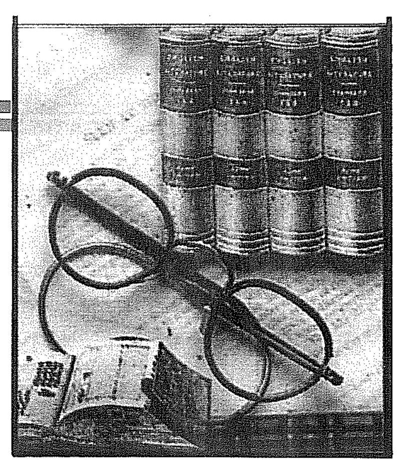
كان بعض العرب يستخدمون الاماء المملوكات لهم في الكسب بالبغاء، فكان الواحد منهم يدفع امته إلى هواة المتعة الحرام لقاء مبلغ من المال.

فلما جاء الإسلام وحرم الزنا امتنع الناس عن ذلك، ولكن رأس المنافقين عبدالله بن أبي استمر على هذه العادة المنكرة. ويروى أنه كانت له جاريتان: معاذة ومسيكة.. وكان يكرههما على الزنا نتيجة لوجود ضريبة له عليهما سابقا. فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين: فإن يك خيراً فقد استكثرنا عنه، وأن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه.

فأنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾.

من محاسن الشيم

قال أحد الحكماء: إذا استخار العبد ربه واستشار صديقه واجتهد رأيه، فقد قضى ما عليه ويقضي الله في أمره ما أحب. وقيل عليك بالمشورة فإنها تأمر بالتي هي أحسن وتهدي للتي هي أقوم، وقالوا: لا تستبد بتدبيرك، ولا تستخف بأميرك فمن استبد بتدبيره زل، ومن استخف بأميره ذل، ولا تدخل في مشورتك بخيلاً في عطاء فيقصر بك ولا جبانا في حرب فيخوفك، ولا حريصاً في بذل فيصدك، فإن البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله.



إعـــــداد: التحريـــــر

ثمـــــرات المطـــــابع

يزيد بن معاوية: الخليفة المفترى عليه

○ الشمّري، هزّاع بن عيد

○ الرياض - توزيع دار أمية، ١٤١٣هـ

يتناول هذا الكتاب تاريخ يزيد بن معاوية، وهو سادس خلفاء الدولة الإسلامية، وأول الخلفاء التابعين، وما ادّعاه عليه خصومه فرد المؤلف حجتهم عليهم بسند صحيح مصادره وآراء العلماء والرواة من السلف الصالح الذين شهدوا عصره والذين لحقوهم ممن يثبت قولهم وتصدق نياتهم ويحتج بها.

من أهم مباحث هذا الكتاب: ترجمة يزيد بن معاوية، وخلافة يزيد، وأعماله أيام خلافته والقلاقل والفتن الداخلية في عهد يزيد، وفتاوى العلماء، وأغاليط الروايات وردها.. إلخ.

الاستشراق وتعريب العقل التاريخي العربي

○ د. محمد ياسين عريبي

○ المجلس القومي للثقافة العربية - المغرب

تتناول ابحاث الكتاب الموضوعات التالية: تأسي الأنا المنطقية والمذهب السينوي، والأنا الجدلية وصراعها مع الأنا المنطقية، والصورة التخطيطية لمناهج العقل التاريخي العربي وتطوره، والمنهج التجريبي بين العلوم الموضوعية والاجتهادية، والاستشراق ومرحلة التبني والاستيعاب للعقل التاريخي العربي، ومرحلة التمثل والاستشراق والقطيعة بين العقل التاريخي القديم والعقل التاريخي العربي؛ وفيه عرض لنماذج تمثل هذا العقل واستلاباته.

كتاب الأربعين

○ للإمام الحافظ أبي العباس الحسن بن سفيان النسوي

○ تحقيق: محمد بن ناصر العجمي

○ دار البشائر الإسلامية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

وهو ثالث الأربعينات في الحديث الشريف، جمعه الإمام الحافظ أبو العباس، الحسن بن سفيان النسوي (ت٣٠٣هـ) رحمه الله، وعلماء الحديث اعتنوا بالأربعينات، فمن مؤلف على أبواب الفقه لما فيها من التمييز بين الحلال والحرام، ومن مؤلف على الأبواب الزهدية والوعظية، ومنهم من ألف على الشيوخ والبلدان، إلى غير ذلك من المقاصد، ومن أوائل الأربعينات (اربعين الحسن بن سفيان النسوي) رحمه الله، وهي ثالث الاربعينات بعد اربعين (ابن المبارك) و(محمد بن أسلم الطوسي) رحمهم الله جميعاً..

وقد جعل الإمام الحسن بن سفيان أربعينه على الأبواب، وأراد المحقق أن يكون له أجر إحياء رسالة عالم تشبهاً بإحياء الأرض الموات، فسعى جاهداً للحصول على صورة المخطوط الأصلي من تركيا إلى أن يسّر الله له ذلك، وجعل لكتابه مقدمة في ترجمة المصنف، ووصف النسخ المعتمدة في التحقيق، وتراجم رواة الكتاب، وميزات نسخة الظاهرية وما عليها من السماعات، وتوثيق نسبة الكتاب إلى مصنفه، ومنهج المحقق في عمله، ثم النص، فجزاه الله خيراً.

رحلة الشاه الأخيرة (مصير حليف)

○ شوكروس، وليام - ط١ - ١٩٩٢م - دمشق، الأهالي

يكشف هذا الكتاب حقائق غالبا ما تخفى على الناس، ولا سيما في الغرب. فهو من جهة يفضح السياسات الغربية، كما يسلط الضوء من جهة أخرى على حكم الشاه، وما طفح به بلاطه من فساد، ومجون، وارتكابات، وتبذير للأموال العامة، ويصور الفجوة التي كانت بين الشاه وبين شعبه بسبب تعاليه وغروره، وبسبب ما أوقعه من تعذيب وقتل بالشعب الإيراني على يد «السافاك».

وقد أوضح الكاتب كيف كان الشاه طوال حكمه يأتمر بأمر المخابرات الأمريكية والبريطانية، وحين أسقط عن عرشه راح الغرب يعامله كأجير سابق لا كحليف مخلص، ولذلك ظل منذ مغادرته طهران في ١٦/١/١٩٧٩م وحتى موته في ٢٧/٧/١٩٨٠م مشردا ذليلا، تتقاذفه المنافي النائية، وينبذه حلفاؤه وأسياده السابقون ولا يقبل أن يأويه أحد.

العقل والغيب

○ الدكتور محمد حسن هيتو

○ نشر دار البشائر - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

الكاتب هو الفقيه الشافعي المعروف، المدرس بكلية الشريعة بجامعة الكويت، وله مؤلفات في الأصول والفروع وغيرها، ويرى أن الردّ على الحملة العالمية على الإسلام يكون بالعمل العلمي الجاد الموصل إلى الحق، المبعد عن الزيغ والباطل والضلال، وهو يرى للخصوم والاعداء في ديار المسلمين قواعد يركنون إليها ويعتمدون عليها، وقد أنشأت جيلاً يحمل بكل جرأة فكرها، ويلحن بمنطقها، ويلبس لبوسها ولا يقل في حقده على الإسلام عن حقدها، بل ربما فاقها وتجاوزها، وتلك طبيعة الإمعات والأذناب..

والكاتب لا يرى أن يكون عمل الدعاة ردة فعل وانفعالات لفعل الاعداء، ولا نتيجة استثارة وتفريق طاقات، ويتطرق إلى موضوع (العقل والغيب) لكثرة ما اثار بعضهم الشبهات حوله، وإن كانت شبهات لا تقوى على مواجهة حجج الاسلام الداحضة..

ومن عناوين الكتاب: لا جدال مع الكافر في أمور الغيب، الكلام في المعيبات مع المؤمن فقط، الإيمان بالله والغيب متلازمان، الايمان كل لا يتجزأ، الايمان بالغيب تكريم للعقل لا تعطيل له، لا يجوز إخضاع الغيبيات والتعبديات لحكم العقل، العقل عاجز عن استيعاب ما وراء طاقته من وقائع الحياة. والكتاب إضافة في ميدان العقائد يحتاجه المثقف المعاصر، وهو موجّه إليه بشكل خاص.

الخداع

○ المؤلف: بول فندلي - مشرف الترجمة: د. محمد يوسف

○ مراجعة: أحمد خليفة

○ نشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت، ١٩٩٣م

صدر للمؤلف كتاب سابق أثار ضجة عالمية هو: (من يجرؤ على الكلام)، وقد اختار لكتابه هذا أسلوباً آخر لفضح خداع اسرائيل، وهو نشر الأساطير والأكاذيب التي تروّجها ثم تفنيد كل منها بالاستناد إلى أحدث المراجع وأوثقها، وقد ألقى في كتابه هذا أضواء جديدة على مختلف جوانب القضية الفلسطينية بفضل حصوله على وثائق ومراجع جديدة وخصوصا على علاقة رجال الإدارة الأمريكية وأعضاء الكونجرس باللوبي الصهيوني الموالي لإسرائيل، والتواطؤ الرسمي مع الدولة اليهودية، على ما يتعلّق بانتهاكات المعاهدات الدولية وتمرد دولة إسرائيل على الأمم المتحدة وعدم الالتزام بقراراتها. والكتاب مفيد للسياسيين والدبلوماسيين العرب المعنيين بالقضية الفلسطينية أو بالعلاقات العربية - الأمريكية..

ولقد لخّص المؤلف هدفه في عبارته التالية الواردة في تقديم الكتاب للقارىء: (لو قدّر لتاريخ النزاع العربي - الإسرائيلي أن يُكتَب اليوم، لسجّل أن الغالبية العظمى من مواطني الولايات المتحدة، يهوداً كانوا أو مسيحيين، إما التزمت الصمت إزاء السياسات غير الإنسانية التي تنتهجها إسرائيل أو انها تواطأت مباشرة على تنفيذها، والغرض من هذا الكتاب هو تقديم المعلومات التي توحي لأصحابها الفكر من المواطنين بالمطالبة بالتغيير).

قضايا عربية

○ ادوار حشوة - دار العربي الاشتراكي

يضم كتاب المحامي ادوار حشوة (عضو المكتب السياسي لحركة الاشتراكيين العرب) بالإضافة إلى الأبحاث السياسية المهمة عن الحرب الأهلية اللبنانية والسلام في عقل الشرق، دراسات عن القيادات العربية المعاصرة، والحرية، والدولة العلمانية، وأزمة الديمقراطية، وحرب الخليج، والصراع العربي الاسرائيلي، ضمن تحليل سياسي منطلق قومي عربي. ويعتبر المؤلف أن حرية الكلمة من أصعب القضايا في هذا الشرق، وأن كتابه ما هو إلا خطوة متواضعة للدفاع عنها.

الثورة العالمية الأولى

○ تاليف: الكسندر كينج وبرتراند شنيدر

○ ترجمة: وفاء عبد الإله - تقديم: د. ابراهيم حلمي

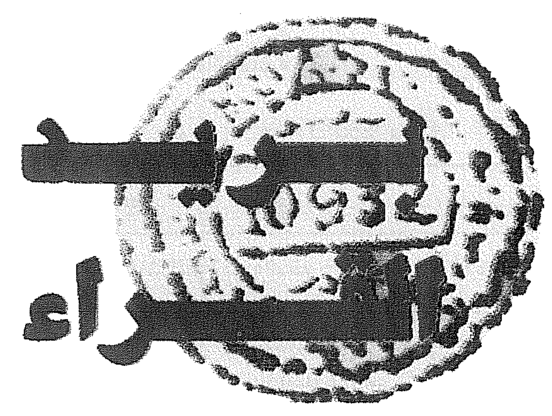
○ نشر: مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ١٩٩٢م

تقرير صدر عن (نادي روما) وهو مؤسسة فكرية غير حكومية، تهتم بمستقبل الانسان على الأرض بصورة جامعة، تتجاوز حدود الدول الكبرى والصغرى، وقد أسستها مجموعة من المفكّرين في عام ١٩٦٨م، ولا يتعدّى عدد أعضائها المائة..

والكتاب موجّه إلى كل من يحمل بين جنباته قبساً من حب الريادة والكشف وخوض المخاطر وبحور العلم، وإلى أولئك المهتمين بمستقبل كوكبنا ومستقبل الإنسان الذي يعيش على ظهره، فهؤلاء هم الذين يمكن الاعتماد عليهم في التصدي للقضايا الصعبة التي يشير إليها هذا الكتاب، وهم القادرون على تحديد الأهداف ومحاولة الوصول إليها والتعلم من إخفاقاتهم ونجاحاتهم والاستمرار في المحاولة والتعلم.. وهذا الكتاب موجّه كذلك إلى الشباب حتى يتمكنوا من إجراء تقدير أكثر تكاملاً لأوضاع العالم الذي ورثوه عن الأجيال السابقة، وحتى يمكن أيضاً حفزهم على العمل من أجل بناء مجتمع جديد قادر على الاستمرار والنمو، وعلى توفير الرخاء لحياة كريمة لأبنائهم وللأجيال القادمة..

يحاول هذا الكتاب عرض التغيرات الرئيسية التي حدثت خلال العقدين الماضيين، وتحديد عدد من أهم القضايا والأخطار التي يتعين على البشرية أن تتحد في مواجهتها، وتقديم عدد من الإجراءات التي يبدو من الضروري اتخاذها في هذه المرحلة، ويتناول بوجه خاص الحاجة إلى خلق التضامن العالمي..





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

بين الإسلام وحالة المسلمين

من ميت غمر بالدقهلية، بجمهورية مصر العربية كتب إلينا الأخ محمد عبد الرحمن السحرتي عن حالة المسلمين بين ما ينبغي وما هو واقع فعلاً، وهي مساهمة في رفع الصوت تنبيهاً وتذكيرا. جزاه الله خيراً:

عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب. وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل. والسمع والطاعة، وأن تأمَّرَ عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل بدعة ضلالة» [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

إن من يمعن النظر في أحوال المسلمين يرى بعين الحقيقة هذه التيارات التي أخذت تعصف بهم داخل بلادهم. والأهوال التي أحاطت بهم من كل جانب، أبرزها تداعي الأمم عليهم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

والمؤمن الآن عندما يجيل الطرف يرى أن الثقافة الغربية بطابعها المادي قد غزت ديار المسلمين. فنتج عنها ما نتج من المساوىء. مع العلم أن كسب العلوم والمعارف أمر ضروري جداً لهذه الأمة.

فإذا أخذ أعداء الإسلام قسطاً وافراً من هذه العلوم، فلا بد للمسلمين أن يحظوا بقسط وافر. هكذا يأمرهم الدين: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾، إلا أن عليهم أن ينتبهوا للخطر. عليهم أن يأخذوا العلوم والمعارف ويصبغوها بطابعهم الإسلامي. بحيث يشمل مناهج التعليم من رياض الأطفال حتى الجامعة. آخذين بعين الاعتبار المربي الصالح الذي هو حجر الأساس. والا تجرعوا غصص هذه الثقافة المسمومة التي يشاهدها الحريص على دينه وأمته والتي لا تخفى على كل ذي بصيرة.

ومن هذه الشرور الزيغ في العقائد والإلحاد. وهذه التحلل الخلقي. وحتى ضعف المستوى الذي تسبب عن انشغال الأذهان بأمور لا فائدة فيها. كما أن هذه الشرور برزت لدى الساسة وقادة الفكر في البلاد الإسلامية بأشكال عديدة منها: الدعوة إلى العلمانية. وفصل الدين عن سياسة الأمة، ظانين (وظنهم خاطىء)، أن العلاقة بين الدين وسياسة الأمة أشبه بعلاقة الكنيسة وحالة الشعوب. (شعوب أوروبا)، ذلك لأن الذي يحصل على ثقافته من علوم الغرب المادية، لابد وأن يكون على يقين بأن الدين شيء، والنظر في المصالح الناس الناس شيء آخر، وهذا لا شك منتهى الشرور.

فهذا المؤمن المسلم الحريص على أمنه عندما يري هذا يقوى عزمه، ويوصي المسلمين جميعاً (حكاماً ومحكومين). إن الثقافة أمر مهم وحيوي، ولا غنى عن الأخذ بأسبابها.

إلا أن عليهم أن يأخذوا النافع منها بإطار الإسلام، ويزيدوا عليه كما فعل أجدادهم من قبل في علوم اليونان حينما ترجموها وزادوا عليها فكان البون شاسعاً بين الترجمة والزيادة، فلابد إذن من ثقافة إسلامية صحيحة ومناهج تربوية مدروسة مع الاسترشاد بأحكام الإسلام في كل الأمور.

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة (ثلاثا). قلنا لمن (يا رسول الله)؟ قال: لله (عز وجل) ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم». [رواه مسلم].

ثم لنسر مع هذا المؤمن الصالح ليحدثنا ماذا يرى. لابد وأننا نسمع منه آهات حينما يصف لنا هذه المبادىء الفكرية الوافدة التي وضعها غير المسلمين لمعالجة النواحي الاقتصادية في بلادهم. والتي برزت فكرتها في روسيا الاشتراكية وامتدت منها إلى بعض البلدان. ثم ظهرت في بلاد المسلمين كمبادىء أشبه بهذا الطراز الاشتراكي ولو أنها محلية لا دولية.

إن هذا المؤمن الحريص على دينه يرى أن هذه المبادىء من عقل البشر. وهو عاجز عن إدراك حقيقته فما يبرمه اليوم ينقضه غداً. وما الصراع الفكري بين الدول الاشتراكية.

والويلات التي مرت ببلاد المسلمين نتيجة الرغبة في السيطرة على الحكم (والتي لا يمحى أثرها من الأذهان إلى أمد بعيد، كل هذه المصائب ليست عنا ببعيد.

إن علاج هذا الأمر يكون بتطبيق أحكام الإسلام في بلاد المسلمين. فهي الكفيلة بجلب السعادة لهم وتخليصهم من هذه الشرور.

ثم لننتقل أخيراً مع هذا الرجل الصالح لنسمع منه ما يحدثنا عما ابتليت به غالبية بلاد المسلمين. يقول لنا: إن أجزاءً كثيرة من بلاد المسلمين ترزح الآن تحت سيطرة المستعمر الكافر .. كما أن قسماً عزيزاً وفيه الأقصى الشريف قد اغتصب منهم من قبل اليهودية العالمية وأصبح ما يسمى بإسرائيل تسندها دول الكفر «والكفر ملة واحدة».

إن هذا الرجل الذي عرف ربه تزداد ثقته به في مثل هذه الظروف الحالكة التي تمر ببلاد المسلمين. ويعلنها للدنيا صيحة مدوية. (صيحة الحق)، إن الله عز وجل أعز المسلمين بالإسلام. ولا يصلح أمرهم إلا بما صلح به أولهم. فالمؤمن الذي يفهم الإسلام فهما صحيحاً يعيش عزيز الجانب موفور الكرامة، لا يفكر إلا بالأخذ بأسباب العدة. ويتصور دوما أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة. ويوصي من ولاهم الله عل وجز أو المسلمين بقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾.

ذلك لأن المؤمن إذا أخذ بأسباب العدة حسب استطاعته. وتوكل على الله عز وجل حق توكله. واعتقد أن نيل الشهادة في سبيل الله تعالى غاية ما يتمناه. حينذاك يتحقق ظنه بالله عز وجل بألا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً. وما النصر إلا من عند الله.

كنيسة محروسة

من أرض الكنانة، كتب إلينا الأخ عبد الرحمن شادي، مقارنا ما بين رعاية الإسلام وبرّه بأتباع الأديان الأخرى وحفاظه على مؤسساتهم ومعابدهم، وبين تعرّض مساجد المسلمين للاعتداء في أكثر من بلد:

تحرس الحكومات المصرية المتعاقبة من عهد الرئيس السادات إلى اليوم؛ جميع الكنائس الموجودة داخل مصر بصفة دائمة ليلاً ونهاراً بواسطة جنود مسلمين مسلحين.

وإذا كانت هذه هي القاعدة المتبعة في حماية الحكومات المسلمة لدور عبادة الأقليات الدينية في أراضيها، مما يدل أعظم الدلالة على تسامح المسلمين مع أهل الأديان الأخرى، وضمان حرية العبادة داخل دورها قولاً وعملاً، من عهد عمر بن الخطاب إلى اليوم، فهل يفعل ذلك أهل الأديان الأخرى من باب المعاملة بالمثل مع الأقليات المسلمة داخل أراضيها؟

الجواب على السؤال مؤلم مع الأسف الشديد .. لقد تعرضت مساجد المسلمين في كثير من بلاد العالم، وفي مختلف عصور التاريخ للعدوان الغاشم، ومن ذلك أن إسرائيل تركت المستوطنين المتطرفين من اليهود أتباع حركة (كاخ) يحملون السلاح ويطلقون نار الرشاشات التي تقذف في الدقيقة الواحدة مئات الطلقات على المصلين في الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل، وهم بين يدي الله ركع سجود في صلاة الفجر، فراح ضحية المذبحة ٩٠ شهيداً و٣٠٠ جريح في ١٥ رمضان ١٤١٤هـ، وكان السفاح جولد شتاين – وهو يهودي من أصل أميركي ومهنته طبيب يعالج الأمراض، ويداوي الجراح – هو الذي قام بهذه المهمة، ومعه بعض أعوانه.

ولم تكن هناك حراسة بالمرة على مساجد المسلمين في مدن وقرى فلسطين الواقعة تحت حكم إسرائيل، كما تفعل حكومات مصر المتعاقبة في الكنائس المحروسة.

وقد تعرض المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين ومسرى خاتم الرسل ﷺ لعدوان المستوطنين من قبل، فحاولوا حرقه، وتهدمت أجزاء منه سنة ١٩٦٩م، وتكررت المحاولات في سنة ١٩٨٠، ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٦م، ووقعت مذبحة في ساحته سنة ١٩٩٠م، فقتل ثلاثون وجرح المئات، أليست كل دولة مسئولة وضامنة لحرية العبادة داخل أراضيها لجميع رعاياها، سواء كانوا ينتسبون إلى دينها، أو إلى أديان أخرى.

وإذا وقعت حادثة من المستوطنين أو المتطرفين أو الإرهابيين، فلماذا لا يأخذ الجناة جزاءهم العادل وهو القصاص الرادع عن الفساد في الأرض.

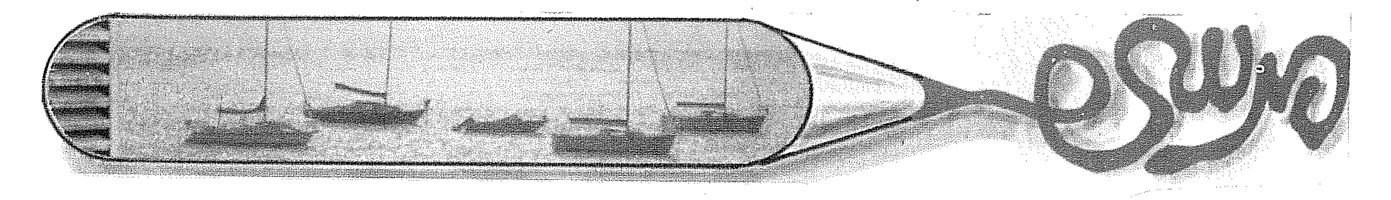
ثم تقوم الحكومة بدورها في المحافظة على الأمن واتخاذ الاحتياطات الكفيلة بمنع تكرار حوادث العدوان على الركع السجود الآمنين في بيوت الله. ومنها الحراسة المستمرة بصفة دائمة ليلاً ونهاراً بواسطة جنود من القوات الدولية التي تشارك فيها دول إسلامية وعربية، كما شاركت في البوسنة والصومال والكويت.. إلخ.

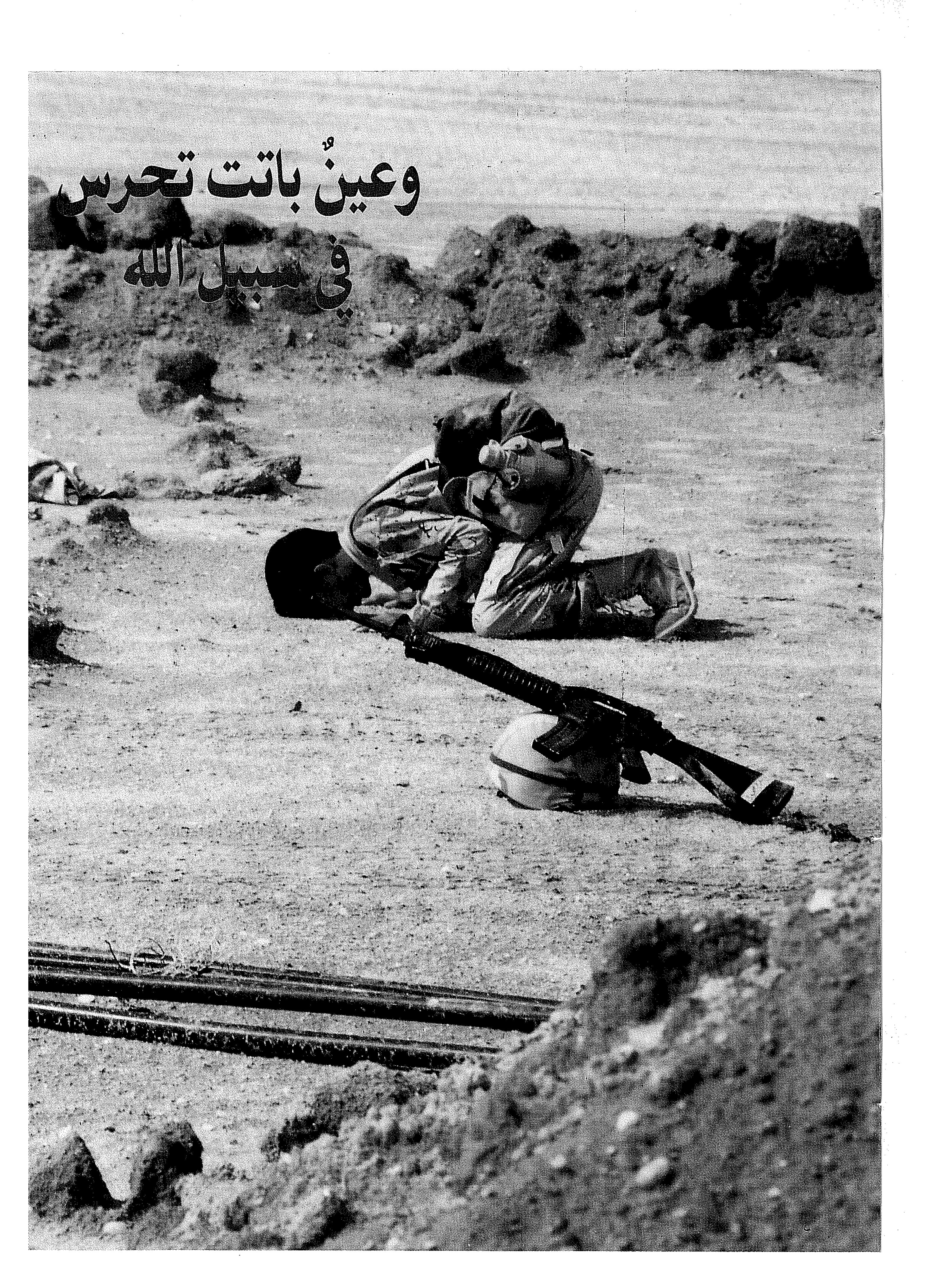
هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

قراءة في واقع أمة

الأمة بناء تتضح شماخته في إثبات الوجود والإحساس بمعانيه التي تفتح لأفراد الأمة الإحساس بكيان الأمة تبعا لإدراك الماهية التي تنطلق من خلالها عقلياتهم وتتحرك من خلالها فلسفة إيمانهم بموجد الأمة والموفق لها في خطاها صوب ما يصلحها ويعلي من شأنها بين الأمم الأخرى، وقراءتي لواقع الأمة يرتكز على عدة محاور ومن أهمها عقد مقارنة بين الأمة بالأمس والأمة اليوم ووضع عدة مقاييس ومعايير لهذه المقارنة وكذلك كيف كانت تطبيقات الدين بفلسفاته ومنطقة في التعامل مع مشكلات الأمة وماتمثله هذه المشكلات في ضمير الأمة من معترضات تقف أمام تقدم الأمة وصياغة واقعها الملموس بين الأمم الأخرى وهل كانت هذه المشكلات هي نفس المشكلات المختلفة اليوم من بعض عناصر العمل الإسلامي والتي تمثل قوقعة العقلية في فلسفتها لمشكلات الحياة والتوقف عند غلق محاور انطلاق العقلية صوب مايمس الواقع التعاملي والتطبيقي للدين في شتى مجالاته الحياتية، فمثلا مشكلة النقاب وزيارة الأضرحة والزكاة هي تمثل قطاعا بسيطا جدا من المشكلات التي تعترض واقع الأمة اليوم فالبحث عن الأزمة الحقيقية التي تحياها الأمة هي فساد الأجيال التي تحيا بين أعين أفراد الأمة الكبار في السن والذين يمثلون جيلا قد انقضت لحظات كبيرة من أعماره وهذه المشكلة، أي مشكلة الأجيال الشابة اليوم أنها تفتقد روح التماسك وتحتكم إلى التفكك والانحلال والتحلل من الدين واعتبار الدين بتطبيقاته وفلسفاته حجرا على تحرر العقلية والقضاء على أهدافها التي لا ترتبط بجوهر الإيمان ولا بماهية العقل وتحليل هذه الظاهرة تحتاج إلى المتخصصين الذين يعملون مدى أهمية دور البحث عن أسباب وتنامي هذه الظاهرة وتحليل عقليات هذه الأجيال مع وضع برنامج جدولي للقضاء على مشكلات هذه الأجيال من الارتباط بالدين والإيمان بأهميته في صياغة واقع جيد للأمة الضائعة في ظلمات الشيطان□

بقلم أ. د: حاتم محمد أبوالعباس




وعينٌ باتت تحرس
في سبيل الله

عديدون هم أسرى الحرب والمفقودون من الكويت في سجون العراق



ألم يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين